جلد هفتم

۷۹/۶/۷

بخشی از تفسیر

ناقص و افتادگی

در آخر از اولی ۲/ بدون جلد

از مجموعهٔ آقای حسینی

۲۰۰۰۰ ت

بیست هزار تومان

جلسه هفدهم
۷۹/۴/۷

بخشی از تفسیر
ناقص و افتادگی
در آغاز و پایان / بدون جلد

از مجموعه آقای حسینی

۲۰۰۰۰ ر
بیست هزار تومان

أو منسوب إليه ولذلك فضّل ما حكى الله عن حبيبه حيث قال لا تحزن إن الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال إن معي
ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على أنه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس
الآي ويعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة وأقول لما نسب المتكلم العبادة
إلى نفسه أوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله وإياك نستعين ليدل على أن العبادة
أيضا مما لا يتم ولا يستتب له إلا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك
وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فإنهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء إذا لم ينضم ما بعدها **اهدنا**
الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا أو إفراد لما هو المقصود الأعظم
والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي
الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى وأصله أن يعدى باللام أو إلى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى
واختار موسى قومه وهداية الله تتنوع أنواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في أجناس مترتبة الأول إفاضة
القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء إلى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني
نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد وإليه أشار حيث قال وهديناه النجدين أي طريقي
الخير والشر وأصله المرتفع من الأرض وقال وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية
بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإياها عنى بقوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله إن هذا القرآن يهدي للتي
هي أقوم والرابع أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي والإلهام والمنامات الصادقة
وهذا قسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء وإياه عنى بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب إما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول
المراتب المرتبة عليه فإذا قاله العارف بالله الواصل عنى به أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا
وتميط عنا غواشي أبداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والأمر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى
ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام إذا ابتلعه فكأنه يسترط السابلة
ولذلك سمي لقما لأنه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الإطباق وقد يشم الصاد
صوت الزاي ليكون أقرب إلى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالأصل وحمزة
بالإشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الإمام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير
والتأنيث **صراط الذين أنعمت عليهم** بدل من الأول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث إنه
المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على
آكد وجه وأبلغه لأنه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذي لا خفاء فيه أن الطريق المستقيم
ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين أنعمت عليهم الأنبياء عليهم السلام وقيل أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام
قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من أنعمت عليهم والإنعام إيصال النعمة وهي في الأصل الحالة التي
يستلذها الإنسان فأطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وإن كانت لا تحصى كما
قال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي وأخروي والأول قسمان موهبي وكسبي والموهبي
قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وإشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن

والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الأعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق
والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني أن يغفر
ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين والمراد هو القسم الأخير وما
يكون وصلة إلى نيله من القسم الآخر فإن ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر **غير المغضوب عليهم ولا الضالين**
بدل من الذين على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال أو صفة له مبينة أو مقيدة على معنى أنهم
جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك إنما يصح إما بإجراء
الموصول مجرى النكرة إذ لم يقصد به معهود كالمحلى باللام في قوله ولقد أمر على اللئيم يسبني وقولهم
إني لأمر على الرجل مثلك فيكرمني أو جعل غير معرفة بالإضافة لأنه أضيف إلى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم
فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل أنعمت أو بإضمار
أعني أو بالاستثناء إن فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس إرادة الانتقام فإذا أسند
إلى الله أريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لأنه نائب مناب الفاعل بخلاف الأول ولا
مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى النفي فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب
كما جاز أنا زيدا لا ضارب وإن امتنع أنا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن
الطريق السوي عمدا أو خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين أدناه وأقصاه كثير وقيل المغضوب
عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل
وأضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه أن يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله
لأن المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل إحدى قوتيه العاقلة
والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعقل جاهل
ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء
الساكنين **آمين** اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن معنى آمين فقال افعل وبني على الفتح لالتقاء الساكنين وجاء مد ألفه وقصرها قال ويرحم الله
عبدا قال آمينا وقال أمين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة
به لقوله عليه السلام علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال إنه كالختم على الكتاب وفي
معناه قول علي آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الإمام ويجهر به في الجهرية لما روي
عن وائل بن حجر أنه عليه السلام كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن أبي حنيفة
رحمه الله أنه لا يقوله والمشهور عنه أنه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وأنس والمأموم يؤمن معه
لقوله عليه السلام إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين
الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ألا
أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها قال بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع
المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذ أتاه ملك فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ

بالرحمة

كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات أمر الرسول عليه السلام
واستعلاء شأنه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد في إعلاء أمره وإشادة ذكره ونفوسهم كانت
مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله تعالى ذلك بالطبع
أو بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان إسناد الزيادة إلى الله تعالى من حيث إنه مسبب
من فعله تعالى وإسنادها إلى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل أن يراد بالمرض ما تداخل
قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله عز وجل لهم بالملائكة وقذف الرعب
في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد للرسول عليه السلام نصرة على الأعداء وتبسطا في البلاد **ولهم عذاب أليم**
أي مؤلم يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع
على طريقة قولهم جد جده **بما كانوا يكذبون** قرأها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم أو ببدله جزاء
له وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لأنهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم وإذا خلوا إلى شياطينهم
أو من كذب الذي هو للمبالغة أو التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم أو من كذب الوحشي إذا جرى شوطا ووقف
لينظر ما وراءه فإن المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء بخلاف ما هو به وهو حرام كله
لأنه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد
التعريض ولما شابه الكذب في صورته سمي به **وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض** عطف على يكذبون أو يقول وما
روي عن سلمان أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله أراد به أن أهلها ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون
بعد من حاله حالهم لأن الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال
والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الأرض تهييج الحروب والفتن بمخادعة
المسلمين وممالأة الكفار عليهم بإفشاء الأسرار إليهم فإن ذلك يؤدي إلى فساد ما في الأرض من الناس
والدواب والحرث ومنه إظهار المعاصي والإهانة بالدين فإن الإخلال بالشرائع والإعراض عنها مما
يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى أو الرسول أو بعض المؤمنين **قالوا إنما نحن
مصلحون** جواب لإذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك فإن شأننا ليس
إلا الإصلاح وإن حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لأن إنما تفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل إنما
زيد منطلق وإنما ينطلق زيد وإنما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من
المرض كما قال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا **ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** رد لما
ادعوه أبلغ رد للاستئناف به وتصديره بحرفي التأكيد ألا المنبهة على تحقق ما بعدها فإن همزة
الاستفهام التي للإنكار إذا دخلت على النفي أفادت تحقيقا ونظيره أليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد تقع
الجملة بعدها إلا مصدرة بما يتلقى به القسم وإن المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل
لرد ما في قولهم إنما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون **وإذا قيل لهم آمنوا**
من تمام النصح والإرشاد فإن كمال الإيمان بمجموع الأمرين الإعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا
تفسدوا في الأرض والإتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا **كما آمن الناس** في حيز النصب على
المصدر وما مصدرية أو كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الإنسانية

العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقاً يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به
والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما
الشاعر في قوله. اذ الناس ناس والزمان زمان. او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم
كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايماناً مقروناً بالاخلاص متمحضاً عن شوائب النفاق مماثلاً لايمانهم واستدل
به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما آمن السفهاء
الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم
فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة
بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل
والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على
خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات
والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقاً لذكر السفه ولان الوقوف
على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما
يدرك بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم
مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي
ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة رضي الله عنهم فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء
عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحباً بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل
نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحباً بسيد بني عدي الفاروق القوي
في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحباً بابن عم رسول الله
وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته
اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا
الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون
الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا
الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين
والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح
ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم
اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا
بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة
فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف
ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزئون تأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على
خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا
انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف

يقال هزأت واستهزأت بمعنى كأجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ
فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء
الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلاً له في القدر او يرجع
وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض
منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال
والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار باباً الى الجنة فيسرعون
نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف
به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين الى ان يعارضوهم وان استهزاءهم
لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء
يحدث حالاً فحالاً ويتجدد حيناً بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال او لا يرون انهم يفتنون في كل عام
مرة او مرتين ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج
والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كأملي لهم ويدل عليه قراءة
ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي
يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم
ريناً وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحاً ونوراً او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغياناً اسند ذلك
الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة
ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي او كان اصله
يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا او يطيعوا فما زادوا الا طغياناً وعمهاً فحذفت اللام
وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحاً وهم مع ذلك يعمهون في
طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر واصله تجاوز
الشيء عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر
يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال. اعمى الهدى بالجاهلين العمه. اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان
كان احد العوضين ناضاً تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمناً وبذله اشتراء والا فاي العوضين
تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض
عما في يده محصلاً به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه. اخذت بالجمة رأساً ازعرا. وبالثنايا
الواضحات الدردرا. وبالطويل العمر عمراً جيدرا. كما اشترى المسلم اذ تنصرا. ثم اتسع فيه فاستعمل
للرغبة عن الشيء طمعاً في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس
عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت
تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلاً لخسارهم ونحوه
ولما رأيت النسر عز ابن داية. وعشش في وكريه جاش له صدري. والتجارة طلب الربح بالبيع

بالرتبة لانا نقول من الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث
انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم
واما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة
حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص
لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه عليه السلام تبسم تعجبا من جهلهم
وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع
اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريق بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها
فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق
للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو
مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل
عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو
مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد
ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله وقيل انه سر استأثره الله تعالى بعلمه وقد روي عن
الخلفاء الاربعة وعن غيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله
ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن
او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة
الله لافعلن بالنصب وغيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة
او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى
وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر
وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن فتكون جملة قسمية
بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب
كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها
وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم
آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه **ذلك الكتاب** ذلك اشارة
الى الم ان اول به المؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل
من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة
لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله
بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة
او فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب
الجمع ومنه الكتيبة **لا ريب فيه** معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح

والشرا والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها
بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران **وما كانوا مهتدين** لطرق التجارة فان المقصود منها
سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما
اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق
ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** لما جاء بحقيقة
حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك
المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء عليهم السلام
والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل
مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة
او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى
والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا
ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم مقام القائمين لانه غير مقصود بالوصف
بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع
كما لا يجمع اخواته ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى
ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف
ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقد
او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها
واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا **فلما اضاءت ما حوله** اي النار حول
المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتأنيث لان ما حوله اشياء واماكن
او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران
وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم** جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما
قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استئناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم
شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين
للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن اللبس واسناد الاذهاب الى الله تعالى
اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك
عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله
اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه
لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم
رأسا الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله تعالى **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التي هي عدم النور
وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل
بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر

ذكونه وحيا بالغا حد الاعجاز لان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
الاية فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا
فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب
للمتقين وهدى حال عن الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني
الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي
الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه **هدى للمتقين**
يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والبكى وهو الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل
الضلال في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه
بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار
قال تعالى هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات والنظر في المعجزات
وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واشار اليه
بقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل
والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان يعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط
الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب
المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او
ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب
بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقد فسر المتقون ههنا على الوجوه الثلاثة واعلم ان الاية يحتمل اوجها من الاعراب
ان يكون الم مبتدا على انه اسم القران او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من
المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى
درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا
او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهور مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية
للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى
ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب
كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك
وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى للمتقين وان يكون ذلك
مبتدا والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره
والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف
بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب
جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدا
اي هو جملة رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع

الدليل المدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به على انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته
استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه
الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي
الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف
حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم
وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه
الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقي على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما
لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم
فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة
فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي
غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين
والزكاة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة
بالذكر اظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى وعلى انه مدح منصوب او مرفوع
بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف
على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق
من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث
ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب
واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام كالتوحيد والنبوة والبعث
والجزاء ومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة
والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق
وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق
وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم
تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي
فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير وانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى
بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب كاف لانه المقصود او لا بد من انضمام
الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من الجاهل المقصر وللمانع
ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار به للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة
في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا والخمصة التي تلي الكلية
غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل
وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب

على دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر وأحواله وهو المراد به في هذه الآية هذا إذا جعلته صلة للإيمان وأوقعته موقع المفعول به وإن جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى أنهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم أو عن المؤمن به لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال والذي لا إله غيره ما آمن أحد أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الأول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة **ويقيمون الصلاة** أي يعدلون أركانها ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها من أقام العود إذا قومه أو يواظبون عليها من قامت السوق إذا نفقت وأقمتها إذا جعلتها نافقة قال أقامت غزالة سوق الضراب لأهل العراقين حولا قميطا فإنه إذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وإذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه أو يتشمرون لأدائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالأمر وأقامه إذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الأمر وتقاعد أو يؤدونها عبر عن الأداء بالإقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والأول أظهر لأنه أشهر وإلى الحقيقة أقرب وأفيد لتضمنه التنبيه على أن الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع والإقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلاة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلاة فعلة من صلى إذا دعا كالزكاة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وإنما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل أصل صلى حرك الصلوين لأن المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الأول لا يقدح في نقله عنه وإنما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا على الله تعالى أن يمكن من الحرام لأنه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق ألا ترى أنه تعالى أسند الرزق هاهنا إلى نفسه إيذانا بأنهم ينفقون الحلال الطلق فإن إنفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وأصحابنا جعلوا الإسناد للتعظيم والتحريض على الإنفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله وبأنه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها والإنفاق والإنفاد أخوان ولو استقريت الألفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دل على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الإنفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان أو نفلا ومن فسره بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه أو خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤوس الآي وإدخال من التبعيضية عليه للكف عن الإسراف المنهي عنه ويحتمل أن يراد به الإنفاق من جميع المعاون التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام إن علما

في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها **كلوا من ثمره** من ثمر كل واحد من ذلك **إذا أثمر** وإن لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله تعالى **وآتوا حقه يوم حصاده** يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لأنها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه **ولا تسرفوا** في التصدق كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط **إنه لا يحب المسرفين** لا يرتضي فعلهم **ومن الأنعام حمولة وفرشا** عطف على جنات أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها **كلوا مما رزقكم الله** كلوا مما أحل لكم منه **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** في التحليل والتحريم من عند أنفسكم **إنه لكم عدو مبين** ظاهر العداوة **ثمانية أزواج** بدل من حمولة وفرشا أو مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما أو فعل دل عليه أو حال من ما بمعنى مختلفة أو متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال للمجموع والمراد الأول **من الضأن اثنين** زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالإبل وجمعه ضئين أو جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه **ومن المعز اثنين** التيس والعنز وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى **قل آلذكرين** ذكر الضأن وذكر المعز **حرم أم الأنثيين** أم أنثييهما ونصب الذكرين والأنثيين بحرم **أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين** أو ما حملت إناث الجنسين ذكرا كان أو أنثى **نبئوني بعلم** بأمر معلوم يدل على أن الله تعالى حرم شيئا من ذلك **إن كنتم صادقين** في دعوى التحريم عليه **ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت** كما سبق والمعنى إنكار أن الله تعالى حرم من الأجناس الأربعة ذكرا كان أو أنثى وما تحمل إناثها ردا عليهم فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وأولادها كيف كانت تارة زاعمين أن الله تعالى حرمها **أم كنتم شهداء** بل أكنتم حاضرين شاهدين **إذ وصاكم الله بهذا** حين وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم إلى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة والسماع **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا** فنسب إليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحي المؤسس له **ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا أجد في ما أوحي إلي** أي في القرآن أو فيما أوحي إلي مطلقا **محرما** طعاما محرما **على طاعم يطعمه إلا أن يكون** إلا أن يكون الطعام **ميتة** وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على أن كان هي التامة وقوله **أو دما مسفوحا** عطف على أن مع ما في حيزه أي إلا وجود ميتة أو دما مسفوحا أي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال **أو لحم خنزير فإنه رجس** فإن الخنزير أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسات أو خبيث مخبث **أو فسقا** عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل **أهل لغير الله به** صفة له موضحة وإنما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز أن يكون فسقا مفعولا له من أهل وهو عطف

على أن يكون المستثنى فيه راجع إلى ما يرجع إليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة إلى تناول شيء
من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فإن ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لأنها
تدل على أنه لم يجد فيما أوحي إليه تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا
يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الأشياء استصحابا وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر كل ما له إصبع كالإبل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا
ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والإضافة
لزيادة الربط إلا ما حملت ظهورهما إلا ما علقت بظهورهما أو الحوايا أو ما اشتمل على الأمعاء جمع حاوية
أو حاوياء كقاصعاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما وأو
بمعنى الواو أو ما اختلط بعظم هو شحم الألية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم أو الجزاء جزيناهم
ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون في الإخبار والوعد والوعيد فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم
على التكذيب فلا تغتروا بإمهاله فإنه يمهل ولا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل أو ذو
رحمة واسعة على المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فأقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه
التنبيه على إنزال البأس عليهم مع الدلالة على أنه لاحق بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين أشركوا
إخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على إعجازه لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء أي لو شاء
خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله تعالى فلو شاء لهداكم أجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا وما
أرادوا بذلك أنهم على الحق المشروع المرضي عند الله تعالى لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح
بإرادة الله تعالى إياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب
الذين من قبلهم أي مثل هذا التكذيب لك في أن الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم
الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في أشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي
أنزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا
فتظهروه لنا إن تتبعون إلا الظن ما تتبعون في ذلك إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون تكذبون على الله
تعالى وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الأصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع إذ
الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الإثبات
أو بلغ صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد إثبات الحكم وتطلبه
فلو شاء لهداكم أجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم
أحضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم وأصله عند
البصريين ها لم من لم إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل وعند
الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل لا تدخل الأمر
ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلم إلينا الذين يشهدون أن الله حرم هذا يعني قدوتهم
فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم
ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فإن شهدوا فلا تشهد معهم

فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فإن تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا
من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وأن متبع الحجة لا يكون
إلا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الأوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا أمر
من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم أتل أقرأ ما حرم ربكم
منصوب بأتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة بحرم
والجملة مفعول أتل لأنه بمعنى أقل أي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم أو أتل أن لا تشركوا به
أي لا تشركوا ليصح عطف الأمر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فإن التحريم باعتبار
الأوامر يرجع إلى أضدادها ومن جعل أن ناصبة فمحلها النصب بعليكم على أنه للإغراء أو بالبدل
من ما أو من عائده المحذوف على أن لا زائدة أو الجر بتقدير اللام أو الرفع على تقدير المتلو أن لا تشركوا
أو المحرم أن تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين إحسانا أي وأحسنوا بهما إحسانا
وضعه موضع النهي عن الإساءة إليهما للمبالغة وللدلالة على أن ترك الإساءة في شأنهما غير
كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا أولادكم من إملاق من أجل فقر ومن خشيته لقوله تعالى خشية إملاق
نحن نرزقكم وإياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لأجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر
الذنوب أو الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منها وهو مثل قوله تعالى ظاهر الإثم وباطنه ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله إلا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم إشارة إلى ما ذكر مفصلا
وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فإن كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي
أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ أشده حتى يصير بالغا وهو
جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد ككصر وآصر وقيل مفرد كآنك وأوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل
والتسوية لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الأمر معناه
أن إيفاء الحق عسر عليكم فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم وإذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا
فيها ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله أوفوا يعني ما عهد
إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وأن هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه الإشارة فيه إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة
وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح
والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام على أنه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر
صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربك وهذا صراط ربكم ولا تتبعوا السبل
الأديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوى فإن مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد
لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الحق
واقتفاء البرهان ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق
ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم به وثم للتراخي في الإخبار والتفاوت في الرتبة
كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب تماما

للكرامة والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام به وهو يؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه
وهو موسى صلى الله عليه وسلم او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي الزيادة على علمه
وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا
لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة
لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك كثير النفع
فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه
انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ
من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة واللام الفارقة
اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي ولا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص
والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل
فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها
فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم
هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك لكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر
شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء
ها هنا وفي النحل او يأتي ربك اي امره بالعذاب او كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله او يأتي
بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة بن اليمان والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة فقال انها لا تقوم حتى تروا
قبلها عشر آيات الدجال ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة
العرب والدخان وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن
يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع
بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف
على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير
كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا
الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت
عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه
خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ
لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه
قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة
والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من
السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ

بآية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات
امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من
الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني
ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى
وهداني صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما
فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم والمستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار
الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما
كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما كان
من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي
واموت عليه من الايمان والطاعة او الطاعات المضافة الى الحياة او الخيرات المضافة الى الممات
كالوصية والتدبير او الحياة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل
مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص
امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي
وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء حال في موضع العلة للانكار والدليل له اي كل
ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه
ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا
او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب
للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب
لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى
نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة
تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك
لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك
بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية الا ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله تعالى واذ نتقنا محكم كلها وقيل الا قوله تعالى واعرض عن الجاهلين وآياتها مائتان وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدأ
محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك
حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في

القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ها هنا والفاء تحتمل العطف والجواب وكأنه قيل
اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله
جسر على الانذار وكذا اذا لم يخشهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار
فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على
كتاب او خبر لمحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القران والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي لا تتبعوا
من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا
تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب
قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون
على ان الخطاب بعد مع النبي عليه السلام وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها
او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع
موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال
استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو العطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه
غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين
ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم و
استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم
فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم اي الامم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل
ولنسألن المرسلين عما اجيبوا والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا
يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم
على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل
والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين
عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء
والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا
للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم
ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد
البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه
ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدأ الذي هو
الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما
يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة

السليمة

السليمة التي فطروا عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق
ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون
بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما
صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه
وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما
منعك ألا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة
على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك الى
ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف
به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل
ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين
اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر
وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة
وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو
ملاكه ولذلك امر الملائكة بالسجود له لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل
الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان
الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه
على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فما يكون لك
فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله
فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني او لا تعجل
عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا
بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه
ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني بعد ان امهلتني لأجتهدن في اغوائهم
باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت
لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم
لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه
على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن
ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع ولذلك مثل قصده اياهم
بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم
ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم

من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن
خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهات يتيسر لهم ان يعلموا ان
يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء
لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة لان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على
عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا
لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا
وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤما مذموما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول
ومكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم
وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبره
لاملان على معنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف
ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطبين ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من
حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا
من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس
لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة
ومنه وسوس الحلي وقد سبق في سورة البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام
للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك
عبر عنها بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة
قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها
من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت
في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها
على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا كراهة
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل
الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في
ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة
وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه
على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن
الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه
اهبطهما من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى
الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين
بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة
وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت

السنبلة

السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان
ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف
اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن
تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه
دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعرض للاخراج
من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت
المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة
المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا
الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا
او اخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار
او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى ان تنقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء
يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وانزل
لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم
عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا
الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء
اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به
والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب
وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه
بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير
وقرا نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات
الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون ويتورعون عن القبائح
يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمتحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن
ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهي بني آدم عن اتباعه والافتتان به
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم
هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث
لا نراهم في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا
بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود
القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة
في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله
واعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر
بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه

وكانوا يطوفون بالبيت عراة

اً جلاً عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل
هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين
يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن
الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط
والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة
عند كل مسجد في وقت كل سجود او مكانه وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها
حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم
كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا
لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة
غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم
الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا
الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم وتحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ
والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم
ثيابكم لمواراة عوراتكم عند كل مسجد لطواف او صلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن
هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان
بني عامر كانوا في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم
فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام
والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت واشرب ما شئت ما اخطأتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب في نصف آية فقال وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل
به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع
والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم
والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا
بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها
على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا
هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج
ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل
شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد لمعنى
وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة اجل
مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او كان وقتهم

لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر والتقدم
لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز
غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه
فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار والمعنى فمن اتقى التكذيب
واصلح عمله منكم والذين كذبوا بها منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة
في الوعد والمسامحة في الوعيد هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب
ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ اي مما اثبت
لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي
يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما كنتم تدعون من دون الله اي الآلهة التي كنتم تعبدونها وما
وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيامة
او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة من الجن
والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار
لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم
دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء
اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا
واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم
ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم
فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم
علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون
من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب
السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين ولارواحهم لتتصل بالملائكة
والتاء في تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي
به وبالياء لان التأنيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب
الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في
عظم الجرم وهو البعير في ما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون
فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل
كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ سم
المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع
نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه بدل عن الاعلال
عند سيبويه والصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم

بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جريا على عادته سبحانه في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب العداوة او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذاتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقراه ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواضع الخمس هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقراه الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقراه ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبة وبالفتح في المنتصب كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول احدهما الى الآخر وعلى الاعراف اي وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء وخيار المؤمنين او علماء او ملائكة يرون في صور الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه الباقية واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار تعوذوا بالله قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا من رؤساء الكفرة يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم

ما وعد ربكم حقا

كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوها وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فيقول اصحاب الاعراف لهم ادخلوا الجنة بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على سبيل الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان ويحتمل ان يكون الاول لاحد الامرين وعلى ان لا يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقراه حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم

مطلب التمني وجوابه

بالتشديد وفيه دلالة على التكرير يطلبه حثيثاً يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء
والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثاً او المفعول بمعنى محثوثاً
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال
وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر ألا له الخلق والأمر فإنه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين
تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله أعلم أن الكفرة كانوا
متخذين أرباباً فبين لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لأنه الذي له الخلق والأمر فإنه
تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه
بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد إلى إيجاد الأجرام السفلية فخلق جسماً قابلاً للصور
المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والأفعال وأشار إليه
بقوله خلق الأرض في يومين أي ما في جهة السفل في يومين ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة
بتركيب موادها أولاً وتصويرها ثانياً كما قال بعد قوله خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أي مع اليومين الأولين لقوله في سورة السجدة
الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم لما تم له عالم الملك عمد إلى تدبيره
كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الأمر من السماء إلى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير
الكواكب وتكرير الليالي والأيام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال ألا له الخلق والأمر
تبارك الله رب العالمين ثم أمرهم بأن يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعاً وخفية أي
ذوي تضرع وخفية فإن الإخفاء دليل الإخلاص إنه لا يحب المعتدين المجاوزين ما أمروا
به في الدعاء وغيره نبه به على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء والصعود
إلى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والإسهاب فيه وعن النبي عليه السلام سيكون قوم
يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل
ثم قرأ إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي بعد إصلاحها ببعث الأنبياء
وشرع الأحكام وادعوه خوفاً وطمعاً ذوي خوف من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمعاً في
إجابته تفضلاً وإحساناً لفرط رحمته إن رحمت الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل
به إلى الإجابة وتذكير قريب لأن الرحمة بمعنى الرحم أو لأنه صفة محذوف أي أمر قريب أو على
تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول أو الذي هو مصدر كالنقيض أو للفرق بين القريب من
النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة
نشراً جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشراً بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشراً
بفتح النون حيث وقع على أنه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فإن
الإرسال والنشر متقاربان وعن عاصم بشراً وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به
وبشرى بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات وبشرى من البشارة بين يدي رحمته قدام
رحمته يعني المطر فإن الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه

لمن

حتى إذا أقلت سحاباً أي حملت واشتقاقه من القلة فإن المقل للشيء يستقله ثقالاً بالماء جمعه لأن السحاب
بمعنى السحائب سقناه أي السحاب وإفراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لأجله أو لإحيائه
أو لسقيه وقرئ ميت فأنزلنا به الماء بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق أو بالريح وكذلك فأخرجنا به ويحتمل
فيه عود الضمير إلى الماء وإذا كان للبلد فالباء للإلصاق في الأول وللظرفية في الثاني وإذا كان لغيره
فهي للسببية من كل الثمرات من كل أنواعها كذلك نخرج الموتى الإشارة فيه إلى إخراج الثمرات أو إلى إحياء البلد
الميت أي كما نحييه بإحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الأجداث
ونحييها برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون
أن من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الأرض الكريمة التربة يخرج نباته بإذن ربه بمشيئته وتيسيره
عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لأنه أوقعه في مقابلة والذي خبث كالحرة والسبخة
لا يخرج إلا نكداً قليلاً عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته
إلا نكداً فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعاً مستتراً وقرئ يخرج أي يخرجه البلد
فيكون إلا نكداً مفعولاً ونكداً على المصدر أي ذا نكد ونكداً بالإسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها
لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها
ولمن لم يرفع إليها رأساً ولم يتأثر بها لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه جواب قسم محذوف لا يكاد تطلق هذه اللام
إلا مع قد لأنها مظنة التوقع فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك بن
متوشلخ بن أخنوخ أول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين فقال يا قوم اعبدوا الله أي اعبدوه
وحده لقوله ما لكم من إله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر نعتاً أو بدلاً على اللفظ وقرئ بالنصب
على الاستثناء إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم إن لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي إلى عبادته واليوم
يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه أي الأشراف فإنهم يملؤون العيون رواء إنا لنراك
في ضلال ذهاب عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة أي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا
في الإثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى
كأنه قال ولكني على هدى في الغاية لأني رسول الله أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون صفات
لرسول أو استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولاً وقرأ أبو عمرو أبلغكم بالتخفيف
وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والأحكام أو لأن
المراد بها ما أوحي إليه وإلى الأنبياء قبله كصحف شيث وإدريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على
إمحاض النصح لهم وفي أعلم من الله تقرير لما أوعدهم به فإن معناه أعلم من قدرته وشدة بطشه
أو من جهته بالوحي أشياء لا علم لكم بها أوعجبتم الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف أي
أكذبتم وعجبتم أن جاءكم من أن جاءكم ذكر من ربكم رسالة أو موعظة على لسان
رجل منكم من جملتكم أو من جنسكم فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون لو شاء الله
لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا
منها بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على أن التقوى غير موجب

والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه فأنجيناه والذين معه
وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل عشرة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به
في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان
انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته
على الثبات والى عاد اخاهم هودا عطف على نوحا هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا
اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود
ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله
وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استأنف به ولم يعطف كأنه جواب سائل قال فما قال
لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكانت قومه اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ
الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا
فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا
لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء عن كلمات الحمقى بما
اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي
لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في
مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر
عمان خوفهم من عذاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة وهو تعميم بعد تخصيص
فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد
الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم
انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه
او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يشتمني فأتنا بما تعدنا من العذاب
المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب عليكم او حق عليكم
او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب
ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها
معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها
بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة
من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم
وفرط عنادهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك
لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا
لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد ونزول العذاب بكم اني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين
معه برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن
وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله

اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ
مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن
عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم
معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا
يشربون الخمور وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك
واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا انه ثقل مقامهم فعلم القينتين ألا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما حتى
غنتا به فأزعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم
فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا
مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء
وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها
اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم
ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا
والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عاد بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا
به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار الاصل وكان
مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماشج بن عبيد
ابن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله
هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم
بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة
الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية
فذروها تأكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع
لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون من سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن
والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال
المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله
ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم
واسترذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل
البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على
الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك
فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر ولذلك قال قال الذين استكبروا انا بالذي
آمنتم به كافرون على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما

فعقروا الناقة فنحروها أسند إلى جميعهم فعل بعضهم للملابسة أو لأنه كان برضاهم وعتوا عن أمر ربهم واستكبروا
عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا
في دارهم جاثمين خامدين ميتين روي أنهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا
أعمارًا طوالًا لا تفي بها الأبنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وأفسدوا
في الأرض وعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم صالحًا من أشرافهم فأنذرهم فسألوه آية فقال أية
آية تريدون قالوا اخرج معنا إلى عيدنا فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع
فخرج معهم فدعوا أصنامهم فلم تجبهم ثم أشار سيدهم جندع بن عمرو إلى صخرة منفردة يقال
لها الكاثبة وقال له أخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فإن فعلت صدقناك فأخذ
عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون
ثم نتجت ولدًا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين ذؤاب بن عمرو
والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد
الماء غبًا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى
تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه
وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة أم غنم
وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلًا اسمه قارة فرغا ثلاثًا
فقال لهم صالح أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة
بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدًا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث
مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض
فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء
فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره أن توليه عنهم
كان بعد أن أبصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
أهل قليب بدر إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا أو ذكر ذلك
على سبيل التحسر والتأسف عليهم ولوطًا وأرسلنا إذ قال لقومه وقت قوله لهم أو واذكر لوطًا
وإذ بدل منه أتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من أحد من العالمين
ما فعلها أحد قبلكم قط والباء للتعدية ومن الأولى لتأكيد النفي والاستغراق والثانية
عها للتبعيض والجملة استئناف مقرر للإنكار كأنه وبخهم أولًا بإتيان الفاحشة ثم باختراعها
فإنه أسوأ إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله أتأتون الفاحشة وهو أبلغ في الإنكار
والتوبيخ وقرأ نافع وحفص إنكم على الإخبار المستأنف وشهوة مفعول له أو مصدر في
موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن
يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل أنتم قوم مسرفون إضراب

عن الإنكار إلى الإخبار عن حالهم التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل
شيء أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معايبهم أو عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم
الإسراف وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم أي ما جاؤوا بما يكون جوابًا عن كلامه ولكنهم قابلوا
نصحه بالأمر بإخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا إنهم أناس يتطهرون
أي من الفواحش فأنجيناه وأهله أي من آمن به إلا امرأته فإنها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين
من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وأمطرنا عليهم مطرًا أي نوعًا من المطر
عجيبًا وهو مبين بقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي أن لوط بن
م هاران بن تارح لما هاجر مع عمه إبراهيم إلى الشام نزل بالأردن فأرسله الله إلى أهل سدوم ليدعوهم
إلى الله وينهاهم عما اخترعوا من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا
وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وإلى مدين أخاهم شعيبًا أي وأرسلنا
إليهم وهم أولاد مدين بن إبراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب
الأنبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له
وليس في القرآن أنها ما هي وما روي من محاربة عصى موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها
إليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من أولادها ووقوع عصى آدم على يده في المرات السبع
فمتأخرة عن هذه المقالة ويحتمل أن تكون كرامة لموسى أو إرهاصًا لنبوته فأوفوا الكيل أي
آلة الكيل على الإضمار أو على إطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش والميزان كما قال
في سورة هود أو فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان مصدرًا كالميعاد ولا تبخسوا
الناس أشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وإنما قال أشياءهم للتعميم تنبيهًا على أنهم كانوا
مطلب إنما قال أشياءهم
يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئًا إلا مكسوه
عم ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والحيف بعد إصلاحها بعدما أصلح أمرها أو أصلحها الأنبياء وأتباعهم
بالشرائع أو أصلحوا فيها والإضافة إليها كالإضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين
إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقًا أو في الإنسانية
وحسن الأحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان
وصراط الحق وإن كان واحدًا لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام وكانوا إذا رأوا
أحدًا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبًا
إنه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق
وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانًا لكل صراط
ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحًا لما كانوا عليه أو الإيمان بالله من آمن به أي بالله
أو بكل صراط على الأول ومن مفعول تصدون على إعمال الأقرب ولو كان مفعول توعدون لقال
وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجًا
وتطلبون لسبيل الله عوجًا بإلقاء الشبه أو وصفها للناس معوجة واذكروا إذ كنتم قليلًا عددكم

او عودكم في ملتهم بالنبوة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا
بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد
للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك
من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن
في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه
بخطابهم وعلى ذلك اجري الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا
فيها في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف
دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد
لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا
وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا
وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيته
وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه
بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر
امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير
الفاتحين على المعنيين وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم
ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط
والقسم الموطا باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من
مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها اي
استوصلوا كان لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه
واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول
واستانف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تاسفا بهم
لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم
ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ
والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف
ايسى عليكم بالامالة وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء بالبوس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا
ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة
والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه
اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من
عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم
بغتة فجاة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا

في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا
عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرا ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن
كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة
وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا تبييتا
او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا اوامن اهل القرى
وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل
ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا
مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من
حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون
الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى
يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو
فاعل يهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون
عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا
لانه في سياقه جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك
القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته
بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها
ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا
من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم
بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام
لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع
على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر
الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا
ما عهد الله اليهم من الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في
ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين
من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدا والخبر
والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى
الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها
بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا
وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق

لعله جواب لتكذيبه إياه في دعوى الرسالة وإنما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان أصله حقيق علي أن لا أقول كما قرأ نافع فقلب لأمن الإلباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر أو لأن ما لزمك فقد لزمته أو للإغراق في الوصف بالصدق والمعنى أنه حق واجب علي القول الحق أن أكون أنا قائله لا يرضى إلا بمثلي ناطقا به أو ضمن حقيق معنى حريص أو وضع على مكان الباء لإفادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبي بالباء وقرئ حقيق أن لا أقول **قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل** فخلهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الأعمال **قال إن كنت جئت بآية** من عند من أرسلك **فأت بها** فأحضرها عندي ليثبت بها صدقك **إن كنت من الصادقين** في الدعوى **فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين** ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وهي الحية العظيمة روي أنه لما ألقاها صارت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصا **ونزع يده** من جيبه أو من تحت إبطه **فإذا هي بيضاء للناظرين** بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظار أو بيضاء للنظار لا أنها كانت بيضاء في جبلتها روي أنه كان آدم شديد الأدمة فأدخل يده في جيبه أو تحت إبطه ثم نزعها فإذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس **قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم** قيل قاله هو وأشراف قومه على سبيل التشاور في أمره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ها هنا **يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون** تشيرون في أن نفعل **قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم** كأنه اتفقت عليه آراؤهم فأشاروا به على فرعون والإرجاء التأخير أي أخر أمرهما وأصله أرجئه كما قرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب من أرجأت وكذلك أرجئهو على قراءة ابن كثير على الأصل في الضمير أو أرجهي من أرجيت كما قرأ نافع في رواية ورش وإسماعيل والكسائي وأما قراءته في رواية قالون أرجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وقراءة حمزة وعاصم وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كإبل في إسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر أرجئه بالكسر في الهمزة والهاء فلا يرتضيه النحاة فإن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أو ياء ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيها وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء **وجاء السحرة فرعون** بعدما أرسل الشرط في طلبهم **قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين** استئناف كأنه جواب سائل قال ما قالوا إذ جاؤوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص إن لنا على الإخبار وإيجاب الأجر كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم **قال نعم وإنكم لمن المقربين** عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم **قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين** خيروا موسى مراعاة للأدب أو إظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل فلذلك **قال ألقوا** كرما وتسامحا أو ازدراء بهم ووثوقا على شأنه **فلما ألقوا**

في تعريف الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه إنما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لأن السؤالات الأول كانت في أوقات متفرقة والثلاثة الأخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع **قل هو أذى** أي الحيض شيء مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه **فاعتزلوا النساء في المحيض** فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم وهو الاقتصاد بين إفراط اليهود وتفريط النصارى فإنهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وإنما وصفه بأنه أذى ورتب الحكم عليه بالفاء إشعارا بأنه العلة **ولا تقربوهن حتى يطهرن** تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن أي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله **فإذا تطهرن فأتوهن** فإنه يقتضي تأخر جواز الإتيان عن الغسل وقال أبو حنيفة رحمه الله إن طهرت لأكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل **من حيث أمركم الله** أي المأتى الذي أمركم به وحلله لكم **إن الله يحب التوابين** من الذنوب **ويحب المتطهرين** المتنزهين عن الفواحش والأقذار كمجامعة الحائض والإتيان في غير المأتى **نساؤكم حرث لكم** مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف بالبذور **فأتوا حرثكم** أي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله **أنى شئتم** من أي جهة شئتم روي أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت **وقدموا لأنفسكم** ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء **واتقوا الله** بالاجتناب عن معاصيه **واعلموا أنكم ملاقوه** فتزودوا ما لا تفتضحون به **وبشر المؤمنين** الكاملين في الإيمان بالكرامة والنعيم الدائم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل أمره منهم **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس** نزلت في الصديق لما حلف أن لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله عنها أو في عبد الله بن رواحة حلف أن لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للأمر ومعنى الآية على الأول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من أنواع الخير فيكون المراد بالأيمان الأمور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وأن مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز أن تكون للتعليل ويتعلق أن بالفعل أو بعرضة أي ولا تجعلوا الله عرضة لأن تبروا لأجل أيمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوا الله معرضا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وأن تبروا علة للنهي أي أنهاكم عنه إرادة بركم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس فإن الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في إصلاح ذات البين **والله سميع** لأيمانكم **عليم** بنياتكم **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم** اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان أو تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد **ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما أو بأحدهما بما قصدتم من الأيمان والمعنى لا يؤاخذكم بما أخطأتم فيه من الأيمان ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم الكذب فيها **والله غفور** حيث لم يؤاخذ باللغو **حليم** حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد

وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وقال أبو حنيفة اللغو أن يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذبة

تربصًا للتوبة. للذين يؤلون من نسائهم أي يحلفون أن لا يجامعوهن، والإيلاء الحلف، وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا
القسم معنى البعد عدي بمن. تربص أربعة أشهر مبتدأ ما قبله خبره أو فاعل الظرف على خلاف سبق، والتربص
الانتظار والتوقف، أضيف إلى الظرف على الاتساع، أي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا
طلاق، ولذلك قال الشافعي رحمه الله: لا إيلاء في أقل من أربعة أشهر، ويؤيده: فإن فاءوا أي رجعوا في اليمين
بالحنث. فإن الله غفور رحيم للمولي إثم حنثه إذا كفّر، أو ما توخى بالإيلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي
كالتوبة. وإن عزموا الطلاق وإن صمموا قصده فإن الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه. وقال أبو حنيفة رحمه الله:
الإيلاء في أربعة أشهر فما دونها، وحكمه أن المولي إن فاء في المدة بالوطء إن قدر والوعد إن عجز صح الفيء ولزم
الواطئ أن يكفّر، وإلا بانت بعدها بطلقة. وعندنا يطالب بعد المدة بأحد الأمرين فإن أبى عنهما طلق عليه
الحاكم. والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الأقراء لما دلت الآيات والأخبار أن حكم غيرهن خلاف
ما ذكر. يتربصن خبر في معنى الأمر، وتغيير العبارة للتأكيد والإشعار بأنه مما يجب أن يسارع إلى امتثاله فكأن
المخاطب قصد أن يمتثل الأمر فيخبر عنه، كقولك في الدعاء: رحمك الله، وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد.
بأنفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فإن نفوس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن بأن يقمعنها ويحملنها
على التربص. ثلاثة قروء نصب على الظرف أو المفعول به أي يتربصن مضيها. والقروء جمع قرء وهو يطلق
للحيض لقوله عليه السلام: دعي الصلاة أيام أقرائك، وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الأعشى: لما ضاع فيها
من قروء نسائكا. وأصله الانتقال من الطهر إلى الحيض، وهو المراد به في الآية لأنه الدال على براءة الرحم
لا الحيض كما قالت الحنفية لقوله تعالى: فطلقوهن لعدتهن أي وقت عدتهن، والطلاق المشروع لا يكون في الحيض.
وأما قوله عليه السلام: طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان، فلا يقاوم ما رواه الشيخان في
قصة ابن عمر: مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق
قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء. وكان القياس أن يذكر بصيغة القلة التي هي
الأقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البناءين مكان الآخر، ولعل الحكم لما عم المطلقات
ذوات الأقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها. ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن من الولد والحيض استعجالا
في العدة وإبطالا لحق الرجعة، وفيه دليل على أن قولها مقبول في ذلك. إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد
منه تقييد نفي الحل بإيمانهن بل التنبيه على أنه ينافي الإيمان وأن المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له أن يفعل.
وبعولتهن أي أزواج المطلقات أحق بردهن إلى النكاح والرجعة إليهن، ولكن إذا كان الطلاق رجعيًا للآية
التي تتلوها، فالضمير أخص من المرجوع إليه، ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه. والبعولة جمع
بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة، أو مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به أو أقيم
مقام المضاف المحذوف أي وأهل بعولتهن. وأفعل ههنا بمعنى الفاعل. في ذلك أي في زمان التربص. إن أرادوا
إصلاحا بالرجعة لا إضرار المرأة، وليس المراد منه شرطية قصد الإصلاح للرجعة بل التحريض عليه
والمنع من قصد الضرار. ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف أي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق
المطالبة عليها لا في الجنس. وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لأن حقوقهم في أنفسهن وحقوقهن
المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها، أو شرف وفضيلة لأنهم قوّام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج

ويخصون

ويخصون بفضيلة الرعاية والإنفاق. والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الأحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح.
الطلاق مرتان أي التطليق الرجعي اثنتان لما روي أنه عليه السلام سئل أين الثالثة فقال عليه السلام أو تسريح
بإحسان. وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق، ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين
والثلاث بدعة. فإمساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الأول. أو تسريح بإحسان بالطلقة
الثالثة أو بأن لا يراجعها حتى تبين، وعلى المعنى الأخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب تعليمهم كيفية الطلاق.
ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا أي من الصدقات. روي أن جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول كانت تبغض زوجها
ثابت بن قيس فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: لا أنا ولا ثابت، لا يجمع رأسي ورأسه شيء، والله ما أعتب
عليه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام، ما أطيقه بغضا، إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل
في عدة فإذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها. فنزلت فاختلعت منه بحديقة أصدقها.
والخطاب مع الحكام وإسناد الأخذ والإيتاء إليهم لأنهم الآمرون بهما عند الترافع. وقيل إنه خطاب للأزواج
وما بعده خطاب للحكام، وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة. إلا أن يخافا أي الزوجان، وقرئ
يظنا، وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن. ألا يقيما حدود الله بترك إقامة أحكامه من مواجب الزوجية. وقرأ
حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وإبدال أن بصلته من الضمير بدل الاشتمال، وقرئ تخافا وتقيما
بتاء الخطاب. فإن خفتم أيها الحكام ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في أخذ ما افتدت به نفسها
واختلعت، وعلى المرأة في إعطائه. تلك حدود الله إشارة إلى ما حد من الأحكام. فلا تعتدوها أي فلا تتعدوها
بالمخالفة. ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد. واعلم أن ظاهر الآية
يدل على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق، ولا بجميع ما ساق الزوج إليها فضلا عن الزائد، ويؤيد ذلك
قوله عليه السلام: أيما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة، وما روي أنه عليه السلام
قال لجميلة: أتردين عليه حديقته؟ فقالت: أردها وأزيد عليها، فقال عليه السلام: أما الزائد فلا. والجمهور استكرهوه
ولكن نفذوه، فإن المنع عن العقد لا يدل على فساده، وأنه يصح بلفظ المفاداة فإنه تعالى سماه افتداء. واختلف
في أنه إذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ أو طلاق، ومن جعله فسخا احتج بقوله: فإن طلقها، فإن تعقيب الخلع
بعد ذكر الطلقتين يقتضي أن يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا. والأظهر أنه طلاق لأنه فرقة باختيار الزوج
فهو كالطلاق بالعوض. فإن طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله أو تسريح بإحسان، اعترض بينهما
ذكر الخلع دلالة على أن الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض أخرى، والمعنى فإن طلقها بعد الثنتين فلا تحل له
من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره، والنكاح يسند إلى كل منهما كالتزوج، وتعلق بظاهره
من اقتصر على العقد كابن المسيب، واتفق الجمهور على أنه لا بد من الإصابة لما روي أن امرأة رفاعة قالت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم: إن رفاعة طلقني فبت طلاقي وإن ما معه مثل هدبة الثوب، فقال عليه السلام: أتريدين أن
ترجعي إلى رفاعة؟ قالت: نعم، قال: لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك. فالآية مطلقة قيدتها السنة، ويحتمل
أن يفسر النكاح بالإصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج. والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع
إلى الطلاق والعود إلى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها، والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الأكثر، وجوزه
أبو حنيفة رحمه الله مع الكراهة، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له. فإن طلقها الزوج الثاني

فلا جناح عليهما ان يتراجعا اي يرجع كل من المراة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما
انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن ههنا بالعلم غير سديد لان عواقب الامور غيب
يظن ولا يعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي
الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن
والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر
ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشي وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في
الاية ليصح ان يترتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن
من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام ولا تمسكوهن
ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول
العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا
لتظلموهن بالتطويل والالجا الى الافتدا واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد
ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم
يجد في الامر انما انت هازي كانه نهي عن الهزو واراد الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول
كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا
نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة القران والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله
بكل شي عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي دل سياق الكلامين
على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين
عضل اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ
لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج
الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم
وقيل الاوليا والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون
به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج
اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنسا وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه
المروة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل
عن التزوج من غير كفو غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل او كل
واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول عليه السلام
على طريقة قوله يايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به
من كان منكم يومن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من
دنس الاثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر
عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر

او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده
بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة
وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقول ارضعت فلانة لفلان
ولده وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي
الوالد له لوله يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب
الارضاع ومون المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه
ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها
تعليل لايجاب المون عليه والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع
امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل منهما الاخر ما ليس في وسعه
ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على
القرائتين تضارر بالكسر على البنا للفاعل وعلى الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والبا من صلته اي لا تضر الوالدة
بالولد فتفرط في تعهده وتقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه
مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليهما تارة واليهما اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه
على انه حقيق بان يتفقا على اصلاحه والاشفاق عليه ولا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث
مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث
وارث الاب وهو الصبي اي مون المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام
واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل
واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك
اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا
عن تراض منهما وتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج الراي
من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك لما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا
ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض او غيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي ان تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال
ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه كقوله انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول
للاستغنا عنه فلا جناح عليكم فيه وظاهره يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع
اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرا ابن كثير ما اتيتم من
اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم
اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم
لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما
شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم

السمن سواء بربهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام
ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا
ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر
اقصى الاجلين واستظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي
المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف
المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس
انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون
جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليهن للعدة بالمعروف اي بالوجه الذي لا ينكره الشرع
ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكر فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا
كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد
للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة
بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافعة ومن
غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم
ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك
عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه يسر
ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى المواعدة بالسر والمواعدة بما
يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا
مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك
لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت
معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة
في النهي عن العقد اي لا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل
العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز
فاحذروه ولا تعزموا عليه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة
لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله
عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن او تفرضوا
لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى
مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر
اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير
ممسوسة ولكن سمي لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي
الوجوب على الجملة في الاخريين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر

وذي عليها العشر
عليهن
اوتفرضوا
اولى

ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويشهد له قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة
والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان
يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن
ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق
بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه
الذي يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون
الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات
فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني
لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة
النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق
قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن
وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو
الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة
واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فان لم يسترد
فقد عفي عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة فطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو
ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم
حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج
لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلاة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلاة
العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله تعالى بيوتهم
نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها في وسط النهار
وكانت اشق الصلوات لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلاتي النهار
والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار
وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين في طرفي الليل وعن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان يقرا والصلاة
الوسطى وصلاة العصر فتكون صلاة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب
على الاختصاص والمدح وقوموا لله في الصلاة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال
ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين
ورجال جمع راجل او رجل كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلاة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي
وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلاة
الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلاة حالتي الامن والخوف او شكرا
يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم

فكانت افضل
والمدح
الوتر عندهم
جم

قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون يوصون وصية او ليوصوا
وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويويد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا
الى الحول مكانه وقرا الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون
اهل وصية او كتب عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا
فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر موكد كقولك هذا القول غير
ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا
لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله
اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها
الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة رحمه الله فان خرجن عن منزل الازواج فلا
جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه
لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج
وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم يراعي مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة
للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق
بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم
المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرير القصة كذلك اشارة
الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلايل والاحكام ما
يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها وتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير
لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب
الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم
الله ثم احياهم ليعتبروا او يتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد
ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل
سبعون وقيل متالفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله
موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله
ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل
داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله
فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفايدة القصة تشجيع المومنين على الجهاد والتعرض
للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا
ويفوزوا او قص عليكم حالهم لتستبصروا وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار من الموت غير مخلص وان المقدر
لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع عليم من
استفهام مرفوع الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفته ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل
الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض

الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرا
عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرا
ابن كثير فيضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد
بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة
معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض
ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كي لا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم
على ما قدمتم الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض
من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا
نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب
وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف
لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال
ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع عما هو المتوقع عندي تقريرا وتثبيتا وقرا نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا
الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث
عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد من الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا
من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر
والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود
وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس
بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل
ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له
يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم
النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق
قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يوتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط
نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا
بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب
واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال
راسه وثالثا بان الله تعالى مالك الملك على الاطلاق وله ان يوتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل
يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة
على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه
لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ومن قراه بالهاء فلعله ابدله
منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد

سمّوها بالذهب نحواً من ثلاثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للإتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة
او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدّمه فتسكن نفوس
بني اسرائيل ولا يفرّون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان
فتئنّ فيزفّ التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء
من آدم الى محمد عليهم السلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه تصيير
قلبه مقرّ العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه
وعمامة هارون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما
تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون
به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملّك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت
خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم
ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عليه السلام وان يكون ابتداء خطاب من الله فلما فصل طالوت بالجنود
انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي
انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت
قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما
اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه
من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي
ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي عليه السلام الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما
قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم والصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى
الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه
اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم
وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل منهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر
رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل الف روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب
عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه
اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين
يظنون انهم ملاقوا الله اي الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب
فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف
وتخذيلا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم تحتمل
الاستفهام والخبر ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او فاء اذا
رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصرة والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا ودنوا
منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاؤا الى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ
اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم

فيروزه ١٢

النقاخ الماء البارد العذب

النصر

النصر على العدو المرتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم
وقتل داود جالوت قيل كان ايشا في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم
فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمته في الطريق ثلاثة احجار وقالت له
انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك اي ملك
بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر
المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم وقرأ
نافع هنا وفي الحج دفاع الله تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان
التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل
الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة
المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول عليه السلام او جماعة الرسل واللام للاستغراق
فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفضيل له وهو موسى عليه السلام
وقيل موسى ومحمد كلم الله موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او
ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله
بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم
فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل
العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين
وقيل ابراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس عليه السلام لقوله ورفعناه مكانا
عليا وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس خصصه بالتعيين لافراط
اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم
يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات
المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين
الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق
من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل
بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته
خيرا كان او شرا كفرا كان او ايمانا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه
فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحكم به
ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم
وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكاة هم الذين ظلموا انفسهم

مطلب كان داود صغير ابن الغنم

مطلب فيهم من كلم الله

او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر
مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الله لا اله
الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود
او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان
القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة
فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم
والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف
الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود
والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحياة قاصرا في الحفظ
والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج
به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما
فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا
احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا
او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي
او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه
والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون
بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم
الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة
ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين
يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع
والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة
على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه فكانه منسوب
الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظه
السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الاشباه
والانداد العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل الالهية
فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره
اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور
لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت مبدع الاصول
والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له العالم وحده بالاشياء كلها جليها
وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق

ولا

ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم اية في
القرآن اية الكرسي من قراها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من
تلك الساعة وقال من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا
يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره
وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه
خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلائل
على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية
والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج
الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ
بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا
كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى
تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام
او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله
بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى
من الحبل الوثيق وهي مستعار لمتمسك المحق من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا
انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على
النفاق الله ولي الذين امنوا محبهم او متولي امورهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن
يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى
الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من
الموصول او منهما او استئناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشيطان اي
المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة
الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك
والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار
التسبب لا يابى تعلق قدرته وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم
مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته
ان آتاه الله الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله
شكرا له على طريقة العكس كقولك عاداني فلان لاني احسنت اليه او وقت ان آتاه الملك وهو
حجة على من منع ايتاء الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه الله
على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحياة والموت في الاجساد وقرا حمزة رب بحذف
الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه

فما المشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي إلى مثال جلي من مقدوره الذي يعجز عن الإتيان به غيره لا عن حجة
إلى أخرى ولعل نمرود زعم أنه يقدر أن يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه إبراهيم عليه السلام بذلك وإنما حمله عليه
بطر الملك وحماقته أو اعتقاد الحلول وقيل لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه أياماً ثم أخرجه ليحرقه فقال له من
ربك الذي تدعو إليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتاً وقرئ فبهت أي فغلب إبراهيم عليه السلام
الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج
أو سبيل النجاة أو طريق الجنة يوم القيمة أو كالذي مر على قرية تقديره أو أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر
عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لأن المنكر للإحياء كثير والجاهل بكيفيته أكثر من أن يحصى بخلاف مدعي
الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام ألم تر إلى الذي حاج أو الذي مر وقيل إنه عطف محمول على المعنى
كأنه قيل ألم تر كالذي حاج أو كالذي مر وقيل إنه من كلام إبراهيم عليه السلام ذكره جواباً لمعارضته وتقديره
أو إن كنت تحيي فأحي كإحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرحيا أو الخضر أو كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع
نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الألوف وقيل غيرهما واشتقاقها
من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها
اعترافاً بالقصور عن معرفة طريق الإحياء واستعظاماً لقدرة المحيي إن كان القائل مؤمناً واستبعاداً
إن كان كافراً وأنى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى أو الحال بمعنى كيف فأماته الله مائة عام فألبثه
ميتاً مائة عام أو أماته الله فلبث ميتاً مائة عام ثم بعثه بالإحياء قال كم لبثت القائل هو الله تعالى
وساغ أن يكلمه وإن كان كافراً لأنه آمن بعد البعث أو شارف الإيمان وقيل ملك أو نبي قال لبثت يوماً أو بعض يوم
كقول الظان وقيل إنه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر إلى الشمس يوماً
ثم التفت فرأى بقية منها فقال أو بعض يوم على الإضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه
لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء أصلية إن قدرت لام السنة هاء وهاء السكت إن
قدرت واواً وقيل أصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فأبدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي وإنما أفرد الضمير
لأن الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تيناً أو عنباً وشرابه عصيراً أو لبناً وكان الكل
على حاله وانظر إلى حمارك كيف تفرقت عظامه أو انظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء
وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والأول أدل على الحال وأوفق لما بعده ولنجعلك آية للناس
أي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي أنه أتى قومه على حماره فقال أنا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ
ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع إلى منزله كان شاباً وأولاده
شيوخاً فإذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر إلى العظام يعني عظام الحمار أو الأموات الذين
تعجب من إحيائهم كيف ننشزها كيف نحييها أو نرفع بعضها إلى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها
والجملة حال من العظام أي انظر إليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب ننشرها من أنشر
الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى أنشر ثم نكسوها لحماً فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده
تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فحذف الأول لدلالة الثاني عليه أو ما
قبله أي فلما تبين له ما أشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الأمر والآمر مخاطبه أو هو نفسه

خاطبها على طريق التبكيت وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى إنما سأله ذلك ليصير علمه عياناً وقيل لما قال نمرود أنا
أحيي وأميت قال له إن إحياء الله برد الروح إلى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر أن يقول نعم
وانتقل إلى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب إن سئل عنه مرة أخرى قال أولم
تؤمن بأني قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم أنه أعرق الناس في الإيمان
ليجيب بما أجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أي بلى آمنت ولكن سألت لأزيد بصيرة
وسكون قلب بمضامة العيان إلى الوحي والاستدلال قال فخذ أربعة من الطير قيل طاووساً وديكاً وغراباً
وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه إيماء إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة
حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاووس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الأمل
المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة إلى الهوى الموسوم بهما الحمام وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان
وأجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به أو جمع كصحب فصرهن إليك فأملهن واضممهن إليك لتتأملها
وتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال
ولكن أطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح
وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره إذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي
الجمع أيضاً ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً أي جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت أربعة وقيل سبعة
ثم ادعهن قل لهن تعالين بإذن الله يأتينك سعياً ساعيات مسرعات طيراناً أو مشياً روي أنه أمر بأن يذبحها
وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط سائر أجزائها فيوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل
ذلك فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثاً ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن وفيه إشارة إلى أن من أراد
إحياء نفسه بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر
شهوتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل أو الشرع وكفى لك شاهداً على فضل إبراهيم عليه السلام
ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال أنه تعالى أراه ما أراد أن يريه في الحال على أيسر الوجوه وأراه
عزيراً بعد أن أماته مائة عام واعلم أن الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره
مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف
أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة أسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من الأسباب كما يسند إلى الأرض والماء
والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى أنه يخرج منها ساق يتشعب منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها
مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الأراضي المغلة والله يضاعف
تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ومن أجله تفاوتت الأعمال في مقادير
الثواب والله واسع عليم بنية المنفق وقدر إنفاقه الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى
نزلت في عثمان فإنه جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فإنه أتى النبي
صلى الله عليه وسلم بأربعة آلاف درهم صدقة والمن أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه والأذى أن يتطاول
عليه بسبب ما أنعم عليه وثم للتفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا
هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما أسند إليه الموصول معنى الشرط إيهاماً بأنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا

قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل إلحاحه أو نيل مغفرة من الله بالرد الجميل أو عفو من السائل بأن
يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها أذى خبر عنهما وإنما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني
عن الإنفاق بمن وإيذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى
لا تحبطوا أجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كإبطال المنافق الذي يرائي بإنفاقه
لا يريد به رضاء الله ولا ثواب الآخرة أو مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر أو
الحال ورئاء نصب على المفعول له أو الحال بمعنى مرائيا أو المصدر أي إنفاقا رئاء فمثله فمثل المرائي
في إنفاقه كمثل صفوان كمثل حجر أملس عليه تراب فأصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا أملس نقيا
من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى
لأن المراد به الجنس أو الجمع كما في قوله وإن الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين إلى الخير والرشاد وفيه تعريض بأن
الرئاء والمن والأذى على الإنفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن أن يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء
مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم وتثبيتا بعض أنفسهم على الإيمان فإن المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت
بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها أو تصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من أصل أنفسهم
وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة أي ومثل نفقة
هؤلاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فإن شجره يكون أحسن منظرا وأزكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم
بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات أصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت أكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير
ونافع وأبو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل
كما يريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل أربعة أمثال ونصبه على الحال أي مضاعفا
فإن لم يصبها وابل فطل أي فيصيبها طل أو فالذي يصيبها طل أو فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة
هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع
بحال وإن كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم إليها من أحواله ويجوز أن يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة
على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير
عن الرئاء وترغيب في الإخلاص أيود أحدكم الهمزة فيه للإنكار أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار
له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الأشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر
أن فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر أنواع الأشجار ويجوز أن يكون المراد بالثمرات المنافع
وأصابه الكبر أي كبر السن فإن الفاقة والعالة في الشيخوخة أصعب والواو للحال أو للعطف حملا
على المعنى فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على
الكسب فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت عطف على أصابه أو تكون باعتبار المعنى والإعصار ريح
عاصفة تنعكس من الأرض إلى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الأفعال الحسنة
ويضم إليها ما يحبطها كرئاء وإيذاء في الحسرة والأسف فإذا كان يوم القيامة واشتد حاجته إليها
وجدها محبطة بحال من هذا شأنه وأشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره إلى جناب
الجبروت ثم نكص على عقبيه إلى عالم الزور والتفت إلى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين

الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون أي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله وجياده
ومما أخرجنا لكم من الأرض أي ومن طيبات ما أخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا
تيمموا الخبيث ولا تقصدوا الرديء منه أي من المال أو مما أخرجنا وتخصيصه بذلك لأن التفاوت فيه أكثر
وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز أن يتعلق به منه
ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه ولستم بآخذيه أي وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته إلا أن تغمضوا
فيه إلا أن تتسامحوا فيه مجاز من أغمض بصره إذا غضه وقرئ تغمضوا أي تحملوا على الإغماض أو توجدوا
مغمضين وعن ابن عباس رضي الله عنه كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا أن الله غني
عن إنفاقكم وإنما يأمركم به لانتفاعكم حميد بقبوله وإثابته الشيطان يعدكم الفقر في الإنفاق والوعد في الأصل
شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بضم الفاء وسكون وضمتين وفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل
والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه أي يعدكم في الإنفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا
خلفا أفضل مما أنفقتم في الدنيا أو في الآخرة والله واسع أي واسع الفضل لمن أنفق عليم بإنفاقه يؤتي
الحكمة تحقيق العلم وإتقان العمل من يشاء مفعول أول أخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناء للمفعول
لأنه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر أي ومن يؤته الله فقد أوتي خيرا كثيرا أي أي خير كثير إذ حيز له خير الدارين
وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات أو وما يتفكر فإن المتفكر كالمتذكر لما أودع الله في قلبه من العلوم
بالقوة إلا أولو الألباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون إلى متابعة الهوى وما أنفقتم
من نفقة قليلة أو كثيرة سرا أو علانية في حق أو باطل أو نذرتم من نذر بشرط أو بغير شرط في طاعة أو معصية
فإن الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها أو يمنعون الصدقات ولا
يوفون بالنذور من أنصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه إن تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا إبداؤها وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الأصل وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء أي تعطوها مع الإخفاء
فهو خير لكم فالإخفاء خير لكم وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال فإن إبداء الفرض لغيره أفضل لنفي
التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة
علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأه ابن عامر وعاصم في رواية حفص
بالياء أي والله يكفر أو الإخفاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا
على أنه جملة فعلية مبتدأة أو اسمية معطوفة على ما بعد الفاء أي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي
به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير
ترغيب في الإسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك أن تجعل الناس مهديين وإنما عليك الإرشاد والحث على
المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والأذى وإنفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بأن الهداية
من الله وبمشيئته وإنها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلأنفسكم فهو لأنفسكم لا ينتفع
به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله حال وكأنه قال وما تنفقوا من خير فلأنفسكم
غير منفقين إلا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه أو عطف على ما قبله أي وليس نفقتكم إلا لابتغاء وجهه
فما بالكم تمنون وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف إليكم ثوابه أضعافا مضا

عفة

فهو كالمشروط بالسابقة أو ما تخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا
روي أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما أسلموا أن ينفقوا
عليهم فنزلت وهذا في غير الواجب أما الواجب فلا يجوز صرفه إلى الكافر وأنتم لا تظلمون أي لا تنقصون ثواب نفقتكم
للفقراء متعلق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقونه للفقراء أو صدقاتكم للفقراء الذين أحصروا في
سبيل الله أحصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الأرض ذهابا فيها للكسب وقيل هم أهل الصفة
كانوا نحوا من أربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والعبادة
وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء من التعفف من أجل تعففهم
عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول أو لكل أحد لا يسألون الناس إلحافا إلحاحا
وهو أن يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده والمعنى أنهم
لا يسألون وإن سألوا للضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للأمرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على
المصدر فإنه كنوع من السؤال أو على الحال وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ترغيب في الإنفاق وخصوصا على
هؤلاء الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية أي يعمون الأوقات والأحوال بالخير نزلت في أبي بكر الصديق تصدق
بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في أمير المؤمنين علي
لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم جهرا وقيل في ربط الخيل
في سبيل الله والإنفاق عليها فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية
وقيل للعطف والخبر محذوف أي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين يأكلون الربا أي
الآخذون له وإنما ذكر الأكل لأنه أعظم منافع المال ولأن الربا شائع في المطعومات وهو زيادة
في الأجل بأن يباع مطعوم بمطعوم أو نقد بنقد إلى أجل أو في العوض بأن يباع أحدهما بأكثر منه من
جنسه وإنما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون
إذا بعثوا من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان إلا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون
أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس أي الجنون
وهذا أيضا من زعماتهم أن الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون أي لا
يقومون من المس الذي بهم بسبب أكل الربا أو بيقوم أو بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقولهم ولكن لأن الله أربى في بطونهم ما أكلوه من الربا فأثقلهم ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل
الربا أي ذلك العقاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه
استحلاله وكان الأصل إنما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كأنهم جعلوا الربا أصلا وقاسوا به
البيع والفرق بين فإن من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل
مساس الحاجة إليها أو توقع رواجها يجبر هذا الغبن وأحل الله البيع وحرم الربا إنكار لتسويتهم وإبطال للقياس
لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربا فانتهى فاتعظ وتبع
النهي فله ما سلف تقدم أخذه قبل التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف غير معتمد على ما
قبله وأمره إلى الله يجازيه على انتهائه إن كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض

لكم عليه ومن عاد إلى تحليل الربا إذ الكلام فيه فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لأنهم كفروا به يمحق الله الربا يذهب بركته
ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه وعنه عليه السلام إن الله يقبل
الصدقة فيربيها كما يربي أحدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب لا يرتضي
ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات أثيم منهمك في ارتكابه إن الذين آمنوا بالله
ورسله وبما جاءهم عنه وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة عطفهما على ما يعمهما لإنافتهما على سائر الأعمال
لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون على فائت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي واتركوا بقايا
ما شرطتم على الناس من الربا إن كنتم مؤمنين بقلوبكم فإن دليله امتثال ما أمرتم به روي أنه كان لثقيف مال
على بعض قريش فطالبوا عند المحل بالمال والربا فنزلت فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله أي فاعلموا بها
من أذن بالشيء إذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا أي فأعلموا بها غيركم من الأذن
وهو الاستماع فإنه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي أن يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى
يفيء إلى أمر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يد لنا بحرب الله ورسوله وإن تبتم
من الارتباء واعتقاد حله فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون بأخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم
منه أنهم إن لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه إذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء
وإن كان ذو عسرة وإن وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة أي وإن كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم
نظرة أو فعليكم نظرة أو فليكن نظرة وهو الإنظار وقرئ فناظره على الخبر أي فالمستحق ناظره
بمعنى منتظره أو صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الأمر أي فسامحه بالنظرة إلى ميسرة يسار
وقرأ نافع بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة
كقوله وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا وأن تصدقوا بالإبراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم
أكثر ثوابا من الإنظار أو خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه وقيل المراد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والأجر الجزيل
واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله يوم القيمة أو يوم الموت فتأهبوا لمصيركم إليه وقرأ أبو عمرو ويعقوب
بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير أو شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب
وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس
الثمانين والمائتين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل
أحدا وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إذا داين بعضكم بعضا تقول
داينته إذا عاملته نسيئة معطيا أو آخذا وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم
تنوعه إلى المؤجل والحال وأنه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه إلى أجل مسمى معلوم بالأيام
والأشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لأنه أوثق وأدفع للنزاع والجمهور على أنه استحباب وعن
ابن عباس أن المراد به السلم وقال لما حرم الله تعالى الربا أباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل
من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء
مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب أن يكتب كما علمه الله مثل ما علمه

من كتب الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك
فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان تتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن
الامتناع منها مطلقا ثم الامر بها مقيدا وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود
عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس منه شيئا من الحق او مما
املي عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو
او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه
من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار
ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من
رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع
شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد
رجل او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند
ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل
ان احداهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان
الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم ونظيره اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كأنه قيل ارادة
ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل
على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء
الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا
تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق
ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان
الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله
اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس
او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا
واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم
فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين
وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن
التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة
تجارة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انه
الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر
التي في الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها
ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك
الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا

والامنية به قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه
غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله
العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة
جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله
بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد
به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك
وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك
قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل
لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به
كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول
والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من
العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا
او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلاة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او
المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه
ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما
كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها
الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون
وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من
الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة رضي الله عنه ومنع مالك وفرق الشافعي رضي الله عنه
بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي اي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم
بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان
فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا وطهورا فاينما تولوا ففي
اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية
لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته
بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن
عمر انها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء
مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه
التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا
نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله
وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له

عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت
باقية مادام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا
بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات التي من جملته
الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة
لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي
لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل
ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة
الحجة والآية دالة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه
لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظير السميع
في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها
ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع
من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع
مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء
اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة
الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة بمعنى احدث فيحدث
وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور
المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار
ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بنصب النون واعلم ان السبب في هذه
الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاول حتى
قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد
به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد
وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلين من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله
كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا آية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني
جحود لان ما اتاهم آيات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية
مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت
قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وفيه تسلية للنبي قد بينا الآيات لقوم
يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى
انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك
بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم
ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب ولا تسئل على انه نهي للرسول عن السؤال عن حال ابويه

او

او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال
والجحيم المتاجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم
فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه
من امللت الكتاب اذا امليته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله
هو الهدى اي ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم
الزائغة والهوى راي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله
من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب
يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة
والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنو اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون
المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف
من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية
والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف
بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما
والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق
على المعاني ولذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله
ان المسلمين الى آخر الآيتين وقد افلح المؤمنون الى قوله هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم
من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة
على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر وبما تضمنه الآيات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه
دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرا ابن عامر ابرهام
بالالف فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام كقوله تعالى وابراهيم الذي وفى وفي القراءة
الاخرى الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت
ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون
الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع
جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته
عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على
الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب ساكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة
قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولا او فعيلا قلبت همزتها
من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى
ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله

عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت
باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا عند المتكلمين
بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات التي من جملته
الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة
لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي
لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل
ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة
الحجة والآية دالة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه
لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع
في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها
ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع
من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع
مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء
اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة
الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة بمعنى احدث فيحدث
وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور
المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار
ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بنصب النون واعلم ان السبب في هذه
الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاول حتى
قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد
به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد
وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين والمتجاهلين من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله
كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تأتينا آية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني
جحود لان ما اتاهم آيات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية
مثل قولهم فقالوا أرنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت
قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم
يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى
انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك
بالحق متلبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم
ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب ولا تسأل على انه نهي للرسول عن السؤال عن حال ابو

او تعظيم لعقوبة الكفار كأنها لفظاعتها لا تقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال
والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم
فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه
من امللت الكتاب اذا امليته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله
هو الهدى اي ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم
الزائغة والهوى رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله
من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب
يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة
والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنو اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون
المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف
من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية
والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف
بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما
والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق
على المعاني ولذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله
ان المسلمين الى آخر الآيتين وقد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم
من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة
على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر وبما تضمنته الآيات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه
دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام
بالالف فأتمهن فأداهن كملا وقام بهن حق القيام كقوله تعالى وابراهيم الذي وفى وفي القراءة
الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت
ناصب اذ كأنه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فأجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون
الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع
جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته
عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على
الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة
قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها
من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى
ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله

وعهده والظالم لا يصلح لها وانما تنالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل
البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون على ان من نالك فقد نلته **واذ جعلنا**
البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا **مثابة للناس** مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم
او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل واحد **وامنا** وموضع امن لا يتعرض
لاهله كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج
يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة **واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى**
على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا
على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه
والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعى الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه
عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب
الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه
عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان
وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى
وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به
يعني الكعبة قبلة يصلون اليها **وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل** امرناهما **ان طهرا بيتي** بان طهرا ويجوز ان تكون قبلة
مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه
للطائفين حوله **والعاكفين** المقيمين عنده او المعتكفين فيه **والركع السجود** اي المصلين جمع راكع وساجد
واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان **بلدا آمنا** ذا امن كقوله عيشة راضية او آمنا
اهله كقولك ليل نايم **وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر** ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص
قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه
على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدا
تضمن معنى الشرط **فامتعه قليلا** خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله بان
يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه **ثم اضطره الى
عذاب النار** اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب
على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي قال ضمير وقرا ابن
عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف
المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون
العكس **وبئس المصير** المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب **واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت** حكاية
حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز
من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى
هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها ساقات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها بناؤها

وقيل

وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها
واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على
التناوب **ربنا تقبل منا** اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما **انك انت السميع** لدعائنا **العليم**
بنياتنا **ربنا واجعلنا مسلمين لك** مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين اذا استسلم وانقاد والمراد طلب
الزيادة في الاخلاص والاذعان والثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية
من مراتب الجمع **ومن ذريتنا امة مسلمة لك** اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق
بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما علما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة
الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل
لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان تكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين
آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
وارنا من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين **مناسكنا** متعبداتنا في الحج او مذابحنا
والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرا ابن كثير
والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها وقرا الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس **وتب علينا** استتابة لذريتهما او عما فرط
منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما **انك انت التواب الرحيم** لمن تاب **ربنا
وابعث فيهم** في الامة المسلمة **رسولا منهم** ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب
به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي **يتلوا عليهم آياتك** يقرا عليهم ويبلغهم
ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة **ويعلمهم الكتاب** القرآن **والحكمة** ما تكمل به نفوسهم من المعارف
والاحكام **ويزكيهم** عن الشرك والمعاصي **انك انت العزيز** الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد **الحكيم**
المحكم له **ومن يرغب عن ملة ابرهيم** استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي
لا يرغب احد عن ملته **الا من سفه نفسه** الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب
سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل
اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وقول جرير ونأخذ
بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى
في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي **ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين**
حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة
كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر **اذ قال
له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين** ظرف لاصطفيناه او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه
قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة
الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام
روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر

ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه
اذا وصله وفصاه اذا فصله كأن الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت
على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اي ووصى هو ايضا
بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى
عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا هلالا عن يا بنا بالكسر وبنو
ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر
روبين وشمعون ولاوي ويهودا وشيشوخون وزبولون ودوني ونفتوني وكودا واوشير وبنيامين
ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون
ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان لا يكونوا على تلك الحال اذا
ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم
لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد وروي ان
اليهود قالوا لرسول الله الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ
حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه
ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل
الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه
بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام
واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن
اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله آبائك
ابرهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا
للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام الرجل صنو ابيه وكما قال في العباس هذا بقية آبائي
وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا
او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة
وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد
او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون
اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها
الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا
يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا يأتيني الناس
باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون
بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم
احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر
قل بل ملة ابرهيم اي بل نكون ملة ابرهيم او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ بالرفع اي ملته ملتنا او

عكسه

عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم
من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا
بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا القرآن قدم ذكره
لانه اول بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي
وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان
القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب وابناءه وذراريهم فانهم
حفدة ابرهيم وما اوتي موسى وعيسى التوراة والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى
مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا
عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام
فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له مسلمون مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا
من باب التعجيز والتبكيت كقوله فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين
الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم
فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا
بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد
له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما
تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق
الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر وهو السميع العليم اما
من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع
ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي
فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا
حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ
وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر
يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله
تعالى آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن
من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول
قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا
او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا لئلا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا
في الله في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا
فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته
من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه
افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على

المستهزئين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالإخلاص فكأن لكم أعمالا ربما يعتبرها الله في إعطائها فلنا أيضا أعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالإيمان والطاعة دونكم أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى أم منقطعة والهمزة للإنكار وعلى قراءة ابن عامر والكسائي وحفص بالتاء يحتمل أن تكون معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعنى أي الأمرين تأتون المحاجة أو ادعاء اليهودية أو النصرانية على الأنبياء قل أأنتم أعلم أم الله وقد نفى الأمرين عن إبراهيم بقوله ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه أتباعه في الدين وفاقا ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا أحد أظلم من أهل الكتاب لأنهم كتموا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالأمة في الأول الأنبياء وفي الثاني أسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خفت أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الإخبار به توطين النفس وإعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الأصل الحالة التي عليها الإنسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلاة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان بخاصية ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه وإنما العبرة بارتسام أمره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه إلى بيت المقدس تارة والكعبة أخرى وكذلك إشارة إلى مفهوم الآية المتقدمة أي كما جعلناكم مهديين إلى الصراط المستقيم أو جعلنا قبلتكم أفضل القبل جعلناكم أمة وسطا أي خيارا أو عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الأصل اسم للمكان الذي تستوي إليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط كالجود بين الإسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم أطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الأسماء التي يوصف بها واستدل به على أن الإجماع حجة إذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل أي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل عليكم من الكتاب أنه تعالى ما بخل على أحد وما ظلم بل أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والإعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو أعلم بهم إقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وإن كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على أمته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا

القبلة

القبلة التي كنت عليها أي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فإنه عليه السلام كان يصلي إليها بمكة ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفا لليهود أو الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الأول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه إلا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلاة إليها ممن يرتد عن دينك إلفا لقبلة آبائه أو لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الأول معناه ما رددناك إلى ما كنت عليها إلا لنعلم الثابت على الإسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف إيمانه فإن قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا وأشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه أسند إلى نفسه لأنهم خواصه أو لتميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم إما بمعنى المعرفة أو معلق لما في من من معنى الاستفهام أو مفعوله الثاني ممن ينقلب أي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وإن كانت لكبيرة إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى إلا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة أو الردة أو التحويلة أو القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة إلا على الذين هدى الله إلى حكمة الأحكام الثابتين على الإيمان والاتباع وما كان الله ليضيع إيمانكم أي ثباتكم على الإيمان وقيل إيمانكم بالقبلة المنسوخة أو صلاتكم إليها لما روي أنه عليه السلام لما توجه إلى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من إخواننا فنزلت إن الله بالناس لرؤوف رحيم فلا يضيع أجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤوف وهو أبلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤوف بالمد والباقون بالقصر قد نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم وأقدم القبلتين وأدعى للعرب إلى الإيمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا إذا صيرته واليا له أو فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق إليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الأصل لما انفصل عن الشيء من شطر إذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وإن لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم أي محرم فيه القتال وممنوع عن الظلمة أن يتعرضوه وإنما ذكر المسجد دون الكعبة لأنه عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فإن استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب وروي أنه قدم المدينة وصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه إلى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى بأصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وإيجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لأمر القبلة وتحضيضا للأمة على المتابعة وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم جملة لعلمهم بأن عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم أنه يصلي إلى القبلتين والضمير للتحويل أو التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية

برهان وحجة

على أن الكعبة قبلة، واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر وساد مسد جواب الشرط والمعنى
ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وإنما خالفوك مكابرة وعنادا وما أنت بتابع قبلتهم قطع لأطماعهم فإنهم
قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وإن
تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى
مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم
على سبيل الفرض والتقدير أي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي إنك إذا لمن الظالمين
وأكد تهديده وبالغ فيه من سبعة أوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى
واستفظاعا لصدور الذنب عن الأنبياء الذين آتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله وإن لم
يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم أو للقرآن أو للتحويل كما يعرفون أبناءهم يشهد للأولاد يعرفونه
بأوصافه كمعرفتهم أبناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال أنا أعلم به مني بابني قال ولم قال لأني لست أشك في محمد أنه نبي عليه السلام
فأما ولدي فلعل والدته خانت وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء
لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف والحق إما مبتدأ وخبره من ربك واللام للعهد والإشارة
إلى ما عليه الرسول أو الحق الذي يكتمونه أو للجنس والمعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه
لا ما لم يثبت كالذي عليه أهل الكتاب وإما خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق ومن ربك حال أو خبر بعد خبر
وقرئ بالنصب على أنه بدل من الأول أو مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في أنه من ربك
أو في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لأنه غير متوقع منه وليس بقصد
واختيار بل إما تحقيق الأمر وأنه بحيث لا يشك فيه ناظر أو أمر الأمة باكتساب المعارف المزيحة للشك
على الوجه الأبلغ ولكل وجهة ولكل أمة قبلة أو لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين
بدل الإضافة هو موليها أحد المفعولين محذوف أي هو موليها وجهه أو الله تعالى موليها إياه
وقرئ ولكل وجهة بالإضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها أهلها واللام مزيدة للتأكيد وجبر ضعف
العامل وقرأ ابن عامر مولاها أي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من أمر القبلة وغيره
مما ينال به سعادة الدارين أو الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة أين ما تكونوا يأت بكم الله
جميعا أي في أي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الأجزاء أو متفرقها يحشركم الله إلى المحشر للجزاء
أو أينما تكونوا من أعماق الأرض وقلل الجبال يقبض أرواحكم أو أينما تكونوا من الجهات المتقابلة
يأت بكم الله جميعا ويجعل صلاتكم كأنها إلى جهة واحدة إن الله على كل شيء قدير فيقدر على الإماتة
والإحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن أي مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام إذا
صليت وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون (وقرأ أبو عمرو بالياء) ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فإنه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول بابتغاء
مرضاته وجري العادة الإلهية على أن يولي كل أهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز
بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا

حزب
أربعة
عن
بنفسه

وتقريرا

وتقريرا مع أن القبلة لها شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري أن يؤكد أمرها ويعاد ذكرها
مرة بعد أخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى أن التولية عن الصخرة إلى الكعبة تدفع احتجاج
اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وأن محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بأنه يدعي ملة
إبراهيم ويخالف قبلته إلا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس أي لئلا يكون لأحد من الناس حجة إلا المعاندين
منهم فإنهم يقولون ما تحول إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحبا لبلده أو بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك
أن يرجع إلى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لأنهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج
وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
للعلم بأن الظالم لا حجة له وقرئ ألا الذين ظلموا على أنه استئناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فإن
مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما أمرتكم به لمصلحة لكم ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف
أي وأمرتكم لإتمامي النعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم أو عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لأحفظكم عنهم
ولأتم نعمتي عليكم أو لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت
على الإسلام كما أرسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة
كما أتممتها بإرسال رسول منكم أو بما بعده أي كما ذكرتكم بالإرسال فاذكروني يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على
ما تصيرون به أزكياء قدمه باعتبار القصد وأخره في دعوة إبراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر إذ لا طريق إلى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل
على أنه جنس آخر فاذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب واشكروا لي ما أنعمت عليكم ولا تكفرون بجحد النعم
وعصيان الأمر يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلاة التي هي أم العبادات
ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين إن الله مع الصابرين بالنصرة وإجابة الدعوة ولا تقولوا لمن
يقتل في سبيل الله أموات أي هم أموات بل أحياء بل هم أحياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على أن حياتهم ليست
بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وإنما هي أمر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رحمه الله أن
الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح
آل فرعون غدوا وعشيا فيصل إليهم الوجع والآية نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر وفيها دلالة على
أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة
والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد
البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم إصابة من يختبر أحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون
للقضاء بشيء من الخوف والجوع أي بقليل من ذلك وإنما قلله بالإضافة إلى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم
أن رحمته لا تفارقهم أو بالنسبة إلى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وإنما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا
عليه نفوسهم ونقص من الأموال والأنفس والثمرات عطف على شيء أو الخوف وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف
الله والجوع صوم رمضان والنقص من الأموال الزكاة والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات
موت الأولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد
عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون

ح
ظنوا

مطلب فيه فوائد كثيرة متعلقة بحقيقة الروح وبأحوال البرزخ

حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا بيتا لعبدي في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا
انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول او لمن تتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله
عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور
ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على
نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة في الاصل الدعاء
ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه
واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة
من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على
الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام
تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف
في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رضي الله عنهما لقوله فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو
ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم
وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة
فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على
انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعديته الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل
وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب
على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالآيات الشاهدة على امر محمد
صلى الله عليه وسلم والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في
الكتاب في التوراة اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين
الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه
الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم
فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا
وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني من ضرب زيد
وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار واضمارها
قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
اي لا يمهلون او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام
اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها لا اله الا هو تقرير

ده

بهم

للوحدانية

للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما
كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران
آخران لقوله الهكم او لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت باية نعرف
بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات
مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي
تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك
بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في
غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند
المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة
العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر
وتكون النبات به وبث الحيوان في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا
والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر
بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله وقيل مسخر
للرياح تقلبها في الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون
فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها
واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا
تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين
وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر
حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر
على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع المؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما
لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه
بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على
البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم
لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى
يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة
والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها
ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله تعالى للعبد ارادة اكرامه
واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف محبة
الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى
عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا
باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيامة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى

الحيا [illegible] المطر والخصب

مسخر للرياح تقلبه

كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه

أصحاب الجنة أن القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف أي لو يعلمون أن القوة لله جميعا إذا
عاينوا العذاب لندموا أشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا
أندادهم لا تنفع لعلموا أن القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى
على أنه خطاب للنبي عليه السلام أي ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما وابن عامر إذ يرون على البناء
للمفعول ويعقوب إن بالكسر وكذا وأن الله شديد العذاب على الاستئناف أو إضمار القول إذ تبرأ الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من إذ يرون أي تبرأ المتبوعون من الأتباع وقرئ بالعكس أي تبرأ الأتباع
من الرؤساء ورأوا العذاب أي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت
بهم الأسباب يحتمل العطف على تبرأ أو رأوا والحال والأول أظهر والأسباب الوصل التي
كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والأغراض الداعية إلى ذلك وأصل السبب الحبل الذي يرتقى
به الشجر وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا لو للتمني
ولذلك نصبت بالفاء أي ليت لنا كرة إلى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الإراء الفظيع
يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى إن كان من رؤية القلب وإلا فحال وما هم بخارجين
من النار أصله وما يخرجون فعدل به إلى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والإقناط عن الخلاص
والرجوع إلى الدنيا يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا نزلت في قوم حرموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس
وحلالا مفعول كلوا أو صفة مصدر محذوف أو حال مما في الأرض ومن للتبعيض إذ لا يؤكل كل ما في
الأرض طيبا يستطيبه الشرع أو الشهوة المستقيمة إذ الحلال دل على الأول ولا تتبعوا خطوات الشيطان
لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة بتسكين الطاء
وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كأنها
عليها وبفتحتين على أنه جمع خطوة وهي المرة من الخطو إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي
البصيرة وإن كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله تعالى أولياؤهم الطاغوت إنما يأمركم
بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الأمر لتزيينه وبعثه لهم على الشر
تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما أنكره العقل واستقبحه الشرع والعطف
لاختلاف الوصفين فإنه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه إياه وقيل السوء يعم القبائح
والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الأول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وأن
تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الأنداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من
اتباع الظن رأسا وأما اتباع المجتهد لما أدى إليه ظن مستند إلى دليل شرعي فوجوبه قطعي
والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الأصولية وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله الضمير للناس وعدل عن
الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت إلى العقلاء وقال لهم انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا
يجيبون قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر
ما أنزل الله من الحجج والآيات فجنحوا إلى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لأنهم كانوا خيرا منا وأعلم وعلى هذا فيعم ما أنزل الله التوراة

اجيب

لأنها أيضا تدعو إلى الإسلام أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للعطف أو الحال والهمزة للرد والتعجب وجواب
لو محذوف أي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من
التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد وأما اتباع الغير في الدين إذا علم بدليل ما أنه محق كالأنبياء والمجتهدين
في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء
على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق أو مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق
والمعنى أن الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون أذهانهم إلى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم
فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل
هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته
أو تمثيلهم في دعائهم الأصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الإضمار
ولكن لا يساعده قوله إلا دعاء ونداء لأن الأصنام لا تسمع إلا أن يجعل ذلك من باب التمثيل المركب
صم بكم عمي بالرفع على الذم فهم لا يعقلون أي بالفعل للإخلال بالنظر يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم لما وسع الأمر على الناس كافة وأباح لهم ما في الأرض سوى ما حرم عليهم أمر المؤمنين منهم أن
يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم وأحل لكم إن كنتم إياه تعبدون
فإن عبادته لا تتم إلا بالشكر عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله إني والإنس والجن في نبإ عظيم
أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري إنما حرم عليكم الميتة أكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير
ذكاة والحديث ألحق بها ما أبين من حي والسمك والجراد أخرجهما العرف عنها أو استثناء الشرع والحرمة
المضافة إلى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا إلا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ
والدم ولحم الخنزير إنما خص اللحم بالذكر لأنه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه كالتابع له وما أهل
به لغير الله أي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والإهلال أصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة
أن يرفع الصوت بالتكبير إذا رئي سمي ذلك إهلالا ثم قيل لرفع الصوت وإن كان لغيره فمن اضطر غير
باغ بالاستئثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد
بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول أحمد فلا إثم عليه في تناوله
إن الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فإن قيل إنما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم
يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا أو قصر حرمته على حال الاختيار كأنه
قيل إنما حرم عليكم هذه الأشياء ما لم تضطروا إليها إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا
حقيرا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار إما في الحال لأنهم أكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل
النار كقوله ٭ أكلت دما إن لم أرعك بضرة ٭ بعيدة مهوى القرط طيبة النشر ٭ يعني الدية أو في المآل
أي لا يأكلون يوم القيامة إلا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل في بطنه وأكل في بعض بطنه كقوله
كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال
مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله تعالى ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم عذاب أليم مؤلم أولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والأغراض الدنيوية فما أصبرهم على النار تعجب من حالهم في

ولا يتأملون

فالمعلق بفعل العبادة هو الأمر بالشكر لإتمامه وهو عدم عند عدمه

يقال أهل الهلال وأهللته

الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر أهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف **ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق** اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان **وان الذين اختلفوا في الكتاب** اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين **لفي شقاق بعيد** لفي خلاف بعيد عن الحق **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشأنه عن غيره امرها **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن بالله او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن **وآتى المال على حبه** اي على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال **ذوي القربى واليتامى** يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم افضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صدقة وصلة **والمساكين** جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر **وابن السبيل** المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به **والسائلين** الذين الجأتهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه **وفي الرقاب** وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها **واقام الصلاة** المفروضة **وآتى الزكاة** يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكاة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها ومن الثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكاة وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة **والموفون بعهدهم اذا عاهدوا** عطف على من آمن **والصابرين في البأساء والضراء** نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض **وحين البأس** وقت مجاهدة العدو **اولئك الذين صدقوا** في الدين واتباع الحق وطلب البر **واولئك هم المتقون** عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلاة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى** كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر

فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التوراة فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب كذا كل فعل جاء في القرآن **فمن عفي له من اخيه شيء** اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه **فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان** اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر بادائها على مطلق العفو وللشافعي في المسألة قولان **ذلك** اي الحكم المذكور في العفو والدية **تخفيف من ربكم ورحمة** لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم **فمن اعتدى بعد ذلك** فقتل بعد العفو واخذ الدية **فله عذاب اليم** في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية **ولكم في القصاص حياة** كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحياة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحياة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة او في القرآن حياة القلوب **يا اولي الالباب** ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس **لعلكم تتقون** في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل **كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت** اي حضر اسبابه وظهر اماراته **ان ترك خيرا** مالا وقيل

ما لا كثيرا لما روي عن علي ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا
والخير هو المال الكثير وعن عائشة ان رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم
عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين
والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في
قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة
جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر
وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه
الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية
مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية
بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى الله
به عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك
حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه
فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه لانهم هم الذين خانوا وخالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل
بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء جنفا ميلا بالخطأ في الوصية
او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل
لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم
وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن آدم وفيه
توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطييب للنفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع
الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر
الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان له وجاء او الاخلال باداءه لاصالته
وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا
ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان
او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء او ثلاثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرف
او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي
ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة
لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر عليه او
على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم
عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب
اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة
وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او
صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا

بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر باضافة فدية الى الطعام وجمع المساكين
وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه
او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من
فيعل وتفيعل بمعنى يطوقونه ويتطوقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده
وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه
جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها
المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر
خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التأخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم
من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من
اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر محذوف
تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ
بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر
رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع
دأية في ابن دأية علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف
المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب
فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيث ما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن
اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او
انزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم
عليه السلام اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع
وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن
معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق
بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا
فليصم فيه والاصل ومن شهد فيه فليصم فيه ولكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف
وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول
به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر
والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما
هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر
والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف
فان قوله ولتكملوا علة للامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون

علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعل ومعطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون
ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي يريد بكم لتكملوا كقوله تعالى يريدون ليطفؤا والمعنى بالتكبير تعظيم
الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر
والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد وإذا سألك عبادي عني فإني قريب اي فقل لهم اني قريب
وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان
اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت أجيب دعوة الداع
إذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم
اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد
وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة
وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع
لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال
أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان
يصلوا العشاء الآخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله
عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء وليلة الصيام الليلة التي
يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى
عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة
وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة
اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد
منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت عليه فكانت لباسا
او لان كل منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها
للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب
عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل
على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم
واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح المحفوظ من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون
غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل
عن المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر
شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود
واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن
الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت
ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا
لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او

اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح
الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم أتموا الصيام إلى الليل بيان آخر وقته
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة
والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا
عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء محرم
فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا
تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام
ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز
ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر
والنواهي ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على
الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء
الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب
اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع
العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة
فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه السلام ان الذين يشترون بعهد
الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي
لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض
فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من النار يسألونك
عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد
حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج انهم سألوا عن الحكمة في اختلاف
حال القمر وتبدل امره فامره الله تعالى ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون
بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء
وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد
حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تأتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما
يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى
المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج
وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة
وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق
بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بتمثيل حال من
ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى ليس البر ان تعكسوا مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر

على مثله وأتوا البيوت من أبوابها إذ ليس في العدول بر فباشروا الأمور من وجوهها واتقوا الله في تغيير أحكامه والاعتراض
على أفعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لإعلاء كلمته وإعزاز دينه الذين
يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل أن أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم
القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم فإنهم بصدد
قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الأول ما روي أن المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يفوا لهم
ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال أو بقتال المعاهد أو المفاجأة به من غير دعوة
أو المثلة أو قتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان إن الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم
حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل أو حرم وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء علما كان أو عملا فهو يتضمن
معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فإما تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود وأخرجوهم من حيث أخرجوكم
أي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة أشد من القتل أي المحنة التي يفتتن بها الإنسان كالإخراج
من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم إياكم
عنه أشد من قتلكم إياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد
الحرام فإن قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فإنهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم
حتى يقتلوكم فإن قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو أسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك
جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فإن انتهوا عن القتال والكفر فإن الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فإن انتهوا عن الشرك فلا
عدوان إلا على الظالمين أي فلا تعتدوا على المنتهين إذ لا يحسن أن يظلم إلا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي
جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم
ظالمين وينعكس الأمر عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام
الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر
الحرام بالشهر الحرام أي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه أي كل
حرمة وهو ما يجب أن يحافظ عليها يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله
وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير
واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم واعلموا أن الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وأنفقوا
في سبيل الله ولا تمسكوا كل الإمساك ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف
عن الغزو والإنفاق فيه فإنه يقوي العدو ويسلطهم على إهلاككم ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري
أنه قال لما أعز الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت أو
بالإمساك وحب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الأصل انتهاء الشيء
في الفساد والإلقاء طرح الشيء وعدي بإلى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالأيدي الأنفس
والتهلكة والهلاك والهلك واحد وهي مصدر كالتضرة والتسرة أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك وقيل معناه

لا تجعلوا

لا تجعلوها آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها فحذف المفعول وأحسنوا أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا على
المحاويج إن الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على وجوبهما
ويؤيده قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة وما روى جابر أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن
أن تعتمر خير لك فمعارض بما روي أن رجلا قال لعمر رضي الله عنه إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي فأهللت
بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال إنه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله أهللت بهما فجاز أن يكون
الوجوب بسبب إهلاله بهما لأنه رتب الإهلال على الوجدان وذلك يدل على أنه سبب الإهلال دون العكس
وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل منهما سفرا أو تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي
أو أن تكون النفقة حلالا فإن أحصرتم منعتم يقال حصره العدو وأحصره إذا حبسه ومنعه عن
المضي مثل صده وأصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي رضي الله عنهما لقوله فإذا أمنتم
ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر إلا حصر العدو وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما عند أبي
حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر أو عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما إذا شرط
الإحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر
من الهدي فعليكم ما استيسر أو فالواجب ما استيسر أو فأهدوا ما استيسر والمعنى إن أحصر المحرم وأراد
أن يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الأكثر لأنه عليه السلام ذبح
عام الحديبية بها وهي من الحل وعند أبي حنيفة رضي الله عنه يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم أمارة فإذا جاء
اليوم وظن أنه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله أي لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدي المبعوث
إلى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب أن ينحر فيه وحمل الأولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه
فيه حلا كان أو حرما واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء وقال أبو حنيفة رحمه الله يجب القضاء
والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع الهدية كمطي
ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه إلى الحلق أو به أذى من رأسه كجراحة وقمل ففدية أي فعليه
فدية إن حلق من صيام أو صدقة أو نسك بيان لجنس الفدية وأما قدرها فقد روي أنه عليه السلام قال لكعب
ابن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة
مساكين أو انسك شاة والفرق ثلاثة آصع فإذا أمنتم الإحصار أو كنتم في حال أمن وسعة فمن تمتع
بالعمرة إلى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب إلى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في أشهره وقيل فمن استمتع
بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب
التمتع فهو دم جبران يذبحه إذا أحرم بالحج ولا يأكل منه وقال أبو حنيفة رحمه الله إنه دم نسك فهو
كالأضحية فمن لم يجد أي الهدي فصيام ثلاثة أيام في الحج في أيام الاشتغال به بعد الإحرام وقبل التحلل
وقال أبو حنيفة رحمه الله في أشهره بين الإحرامين والأحب أن يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا
يجوز يوم النحر وأيام التشريق عند الأكثر وسبعة إذا رجعتم إلى أهليكم وهو أحد قولي الشافعي أو نفرتم وفرغتم
من أعماله وهو قوله الثاني ومذهب أبي حنيفة رحمه الله وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام
تلك عشرة كاملة فذلكة الحساب وفائدتها أن لا يتوهم أن الواو بمعنى أو كقولك جالس الحسن وابن سيرين وأن يعلم

العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه
يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ
به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع
عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن
اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم بالحرم او في حكمه
ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره
ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج
اشهر اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة بليلة
النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه او
وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة
وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض
مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا
او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه
الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب
المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلاثة على قصد النهي للمبالغة
وللدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلاة والتطريب
بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرا ابن كثير وابو عمرو الاولين
بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك
ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا
بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا
فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون
ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل
على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان
يكون المقصود بها هو الله فيتبرأ عن كل ما سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك
خص اولو الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم
عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها
مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم
منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت
من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين
المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف
وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف

التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها
كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما
ابصره عرفه او لان جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان ادم وحواء التقيا
فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف
وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المامور
به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقدير انه واجب فهو واجب مقيد لا مطلق حتى تجب مقدمته
والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين عند المشعر الحرام
جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه
السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا
حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه
ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا
كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين
بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين
ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة
ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن
الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي
يريد ادم عليه السلام من قوله فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله
من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم
فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون
بذكر ابائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر
ابائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى
واذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا
واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المبني للمفعول بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من ابائكم او بمضمر
دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا
يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا اتنا
في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصورة
بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الاخرة حسنة
يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المراة
الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار المراة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة
وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة
للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من

اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع
الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا
الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي
الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام
التشريق بعد رمي الجمار عندنا وطلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه ومن تاخر
في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة رحمه الله يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم
بالتعجل والتاخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى
اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما
يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبا بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم
المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب الجهل
باسباب المتعجب منه في الحياة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من
ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الحياة الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة
لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على
ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان
يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان
حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك
وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم
واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه
القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته
عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهي في الاصل مرادف للنار
وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ
للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء
مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال
اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه واتى المدينة
والله رؤوف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء
يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام
فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من
الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال الشاعر: السلم تاخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من انفاسها
جرع * والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام
بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل

العفو حتى دعا موسى وهارون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا
والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة
الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم
تقديره ان فعلتم فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات كانه
قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة
والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق
منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق
التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر
لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها
على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة
او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة الاف
من قومه والمؤمن به ان الله اعطاك التوراة وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت
وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات
والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في
الاخرة وللافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة
وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه
او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله
تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما رايتم باس الله بالصاعقة وظللنا
عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى
الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني
وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم
على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا
امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب
اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه
السلام سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجكم من التيه وقولوا حطة
اي مسالتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا
ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط
في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرا نافع بالياء وابن عامر بالتاء
على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة
لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين

قالوا لسنابل وعن الخليل ... على الباب ثم نفعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد الا انه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله تعالى وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انها لا تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا تتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من

والبانها او في شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره او باسه كقوله او ياتي امر ربك فجاءها باسنا او ياتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قراه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقراه الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول عليه السلام او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آياته فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحياة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من

الكتاب يعني ملتبساً بالحق شاهداً به ليحكم بين الناس أي الله أو النبي المبعوث أو كتابه فيما اختلفوا فيه أي في الحق الذي
اختلفوا فيه أو فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق أو الكتاب إلا الذين أوتوه أي الكتاب المنزل لإزالة الخلاف أي
عكسوا الأمر فجعلوا ما أنزل مزيحاً للاختلاف سبباً لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم حسداً بينهم
وظلماً لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه أي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما
اختلفوا فيه بإذنه بأمره أو بإرادته ولطفه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم لا يضل سالكه أم حسبتم أن تدخلوا الجنة
خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الأمم على الأنبياء بعد مجيء الآيات
الآيات تشجيعاً لهم على الثبات مع مخالفتهم ولم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ولما يأتكم ولم يأتكم وأصل لما لم
زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم
البأساء والضراء بيان له على الاستئناف وزلزلوا وأزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشدائد حتى يقول
الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على أنها
حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتأخره ألا إن نصر الله قريب
استئناف على إرادة القول أي فقيل لهم ذلك إسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر وفيه إشارة إلى أن الوصول
إلى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمرو بن الجموح
الأنصاري كان شيخاً ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت قل ما أنفقتم من خير
فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فأجيب عن المصرف لأنه أهم فإن اعتداد النفقة
باعتباره ولأنه كان في سؤال عمرو وإن لم يكن مذكوراً في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله
ما أنفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فإن الله به عليم جوابه أي إن تفعلوا خيراً فإن الله
يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق
عليكم مكروه طبعاً وهو مصدر نعت به للمبالغة أو فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على أنه لغة
فيه كالضعف والضعف أو بمعنى الإكراه على المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى
حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فإن الطبع يكرهه
وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فإن النفس تحبه وتهواه
وهو يفضي بها إلى الردى وإنما ذكر عسى لأن النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وأنتم
لا تعلمون ذلك وفيه دليل على أن الأحكام تتبع المصالح الراجحة وإن لم يعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روي
أنه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيراً
لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة نفر معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف
وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف
ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم وشق على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله
صلى الله عليه وسلم العير والأسارى وعن ابن عباس لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهي أول
غنيمة في الإسلام والسائلون هم المشركون كتبوا إليه في ذلك تشنيعاً وتعييراً أو قيل أصحاب السرية قتال فيه

إلى الاستقبال وقصته أنه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه طمعاً في ميراثه وطرحوه على باب المدينة
ثم جاؤوا يطالبون بدمه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا أتتخذنا
هزواً مكان هزو أو أهله أو مهزواً بنا أو الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعاداً لما قاله واستخفافاً
به وقرأ حمزة وإسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واواً قال أعوذ بالله أن أكون
من الجاهلين لأن الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان وأخرج ذلك
في صورة الاستعاذة استفظاعاً له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أي ما حالها وصفتها وكان حقه أن يقال
أي بقرة هي أو كيف هي لأن ما يسأل به عن الجنس غالباً لكنهم لما رأوا ما أمروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسها
أجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية
يقال فرضت البقرة فروضاً وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للأولية ومنه البكرة والباكورة
عوان نصف قال نواعم بين أبكار وعون بين ذلك أي ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك أضيف إليه
بين فإنه لا يضاف إلا إلى متعدد وعود هذه الكنايات وإجراء تلك الصفات على بقرة يدل على أن
المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن أنكر ذلك زعم أن المراد بها بقرة من
شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فإن التخصيص
إبطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه
عليه السلام لو ذبحوا أي بقرة أرادوا لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم
بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون أي تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قولك
أمرتك الخير فافعل ما أمرت به أو أمركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة
صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال أصفر فاقع كما يقال أسود حالك وفي إسناده
إلى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن
الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر جمالات صفر قال الأعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن
صفر أولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لأنها من مقدماته ولأن سواد الإبل يعلوه
صفرة وفيه نظر لأن الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين أي تعجبهم والسرور أصله
لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الأول واستكشاف
زائد وقوله إن البقر تشابه علينا اعتذار عنه أي إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه
علينا وقرئ إن الباقر وهو اسم لجماعة البقر والأباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه
بطرح التاء وإدغامها على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففاً ومشدداً وتشبه بمعنى تتشبه
وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة وإنا إن شاء الله لمهتدون إلى المراد
ذبحها أو إلى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد واحتج به أصحابنا
على أن الحوادث بإرادة الله تعالى وأن الأمر قد ينفك عن الإرادة وإلا لم يكن للشرط بعد
الأمر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الإرادة وأجيب بأن التعليق باعتبار التعلق قال إنه
يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث أي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى

غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الأولى والفعلان صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة ولا ساقية وقرئ
لا ذلول بالفتح أي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان أي حيث هو وتسقي من أسقى مسلمة سلمها
الله تعالى من العيوب وأهلها من العمل أو أخلص لونها من سلم له كذا إذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها
يخالف لون جلدها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق
أي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة وإلقاء
حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون
لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل أو لغلاء ثمنها إذ روي أن شيخا صالحا
منهم كان له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني استودعتكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة
بتلك الصفات فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة
دنانير وكاد من أفعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فإذا دخل عليه النفي قيل معناه الإثبات مطلقا
وقيل ماضيا والصحيح أنه كسائر الأفعال ولا ينافي قوله تعالى وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها
لاختلاف وقتيهما إذ المعنى أنهم ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ثم
فعلوا كالمضطر الملجأ إلى الفعل وإذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها
اختصمتم في شأنها إذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا أو تدافعتم بأن طرح كل قتلها عن نفسه إلى
صاحبه وأصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون
مظهره لا محالة وأعمل مخرج لأنه حكاية مستقبل كما أعمل باسط ذراعيه لأنه حكاية حال ماضية
فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص
أو القتيل ببعضها أي بعض كان وقيل بأصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها وقيل بالأذن وقيل [اليمنى]
بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حياة القتيل
أو نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا أن [او تعملوا على قضيته]
من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلها ولعله تعالى إنما لم يحيه ابتداء وشرط ما شرط فيه
لما فيه من التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الأولاد وأن من
حق الطالب أن يقدم قربة والمتقرب أن يتحرى الأحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه
أنه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وأن المؤثر في الحقيقة هو الله والأسباب أمارات لا أثر
لها وأن من أراد أن يعرف أعدى عدوه الساعي في إماتته الموت الحقيقي فطريقه أن يذبح بقرة
نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة
المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها بحيث يصل أثره [لا سمة]
إلى نفسه فتحيى بها حياة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم
من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر [التدارؤ]
وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني
إحياء القتيل أو جميع ما عدد من الآيات فإنها مما توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها

أو أشد قسوة منها والمعنى أنها في القساوة مثل الحجارة أو زائد عليها أو أنها مثلها أو مثل أشد
منها قسوة كالحديد فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر عطفا على الحجارة
وإنما لم يقل أقسى لما في أشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة
وأو للتخيير أو للترديد بمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بما هو أقسى منها وإن من الحجارة
لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل
والمعنى أن الحجارة تتأثر وتنفعل فإن منها ما يتشقق فينبع منه الماء وينفجر منه الأنهار ومنها ما يتردى
من أعلى الجبل انقيادا لما أراد الله تعالى وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل والتفجر التفتح بسعة وكثرة [عن أمره تعالى]
والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ إن على أنها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين
النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير بالياء ضما إلى ما بعده [ونافع ويعقوب وخلف وأبو بكر]
أفتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يؤمنوا لكم أن يصدقوكم أو يؤمنوا لأجل دعوتكم
يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من أسلافهم يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت
محمد عليه السلام وآية الرجم أو تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين
سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء
فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه أي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون
أنهم مفترون مبطلون ومعنى الآية أن أحبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم
وجهالهم وأنهم إن كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك وإذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بأنكم
على الحق ورسولكم هو المبشر به في التوراة وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على
من نافق أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت محمد عليه السلام أو الذين نافقوا لأعقابهم
إظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن إبداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام
على الأول تقريع وعلى الثاني إنكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا
محاجتهم بكتاب الله تعالى وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به أنه في كتابه وحكمه وقيل
عند ذكر ربكم أو بما عند ربكم أو بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر إذ الإخفاء
لا يدفعها أفلا تعقلون إما من تمام كلام اللائمين وتقديره أفلا تعقلون أنهم يحاجونكم به فيحجونكم
أو خطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله أفتطمعون والمعنى أفلا تعقلون حالهم وأن لا مطمع
لكم في إيمانهم أولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين أو اللائمين أو كليهما أو إياهم والمحرفين أن الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان وإخفاء ما فتح الله عليهم وإظهار
غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا
التوراة ويتحققوا ما فيها أو التوراة إلا أماني استثناء منقطع والأماني جمع أمنية
وهي في الأصل ما يقدره الإنسان في نفسه من منى إذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما
يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليدا من المحرفين أو مواعيد فارغة
سمعوها منهم من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة

وقيل الا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور
على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق
الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق
بشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من
جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه
دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد
كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا
فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف
وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشا وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتاثر
الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة
روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة
وانما نعذب مكان كل الف يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص
باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا
فلن يخلفه الله وفيه دليل على ان الخلف في خبره تعالى محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة
الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون
على التقرير والتوبيخ بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا
على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق
بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من
الخطا والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم واحاطت
به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه
وهذا انما يصح في شأن الكافرين لان غيرهم ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه لم تحط
الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره
الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتاخذ
بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها
مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى
ان كذبوا بايات الله وقرا نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما
فاولئك اصحاب النار ملازموها في الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون خلود
او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين امنوا
وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته تعالى على ان يشفع وعده بوعيده
لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي

لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون
على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى
كانه قال وحلفناهم لا تعبدون وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا
به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا وذي القربى
واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون
كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرئ حسنا بضمتين وهو وحسنا
لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلاة واتوا الزكاة
يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد
به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض
عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم لبعض بالقتل والاجلاء
عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا
وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم
عن الحياة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه
الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على
نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا
ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار والشهادة عليه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره
على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير
الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد
والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون
عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر
وقرا عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التاءين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون
وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا
عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا
له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد
والوعظ مع تضييعكم انفسكم وقرا حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه
كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرا ابن كثير
وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم

وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر
واخراجهم بدل او بيان أفتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاخراج فما
جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل
الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب لان عصيانهم اشد
وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد اي الله تعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم في رواية
المفضل يردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن أولئك الذين اشتروا
الحياة الدنيا بالآخرة آثروا الحياة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب
في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعها عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة وقفينا من بعده بالرسل
اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به
اذا اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم
بمعنى الخادم وهي بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزن
مفعل اذ لم يثبت فعيل وأيدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم
الجود ورجل صدق اراد به جبريل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان
او لكرامته على ربه ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث والانجيل او اسم الله
الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن أفكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم اذا سقط
ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك بهذا او تعجيبا من شأنهم
ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا
كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ
المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع او مراعاة
للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم
له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه
مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل غلف جمع غلاف وأصله غلف بالتثقيل والمعنى انها اوعية للعلم
لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم
رد لما قالوه والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم كما قال تعالى
فأصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا
ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب
وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ
بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان

المنعوت في التوراة او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار
بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله
على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا
فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن
واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا
ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا
للفصل ان ينزل الله لان ينزل او على ان ينزل من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره
للرسالة فباؤوا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى عليهما السلام
او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة
لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتوراة ويكفرون بما
وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما
يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق
الضمير لما وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما
يوافق التوراة فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض
عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل
آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله
تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى عليه السلام
او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او باخلال آياته او
اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا
والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا الآية التي
بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التوراة
بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ
في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان
الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية
ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي بالتوراة
والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر وما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث الزاما
عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتوراة وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لما امركم بهذه
القبائح ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان
لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان لا يأمر به فلستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونصبها على الحال من الدار
من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه

من أهل الجنة اشتاقها وأحب التخلص إليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا أبالي سقطت على الموت أو سقط الموت علي وقال عمار رضي الله عنه بصفين الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة رضي الله عنه حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا أفلح من ندم أي على التمني سيما إذا علم أنها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ﴿ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم﴾ من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالإنسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها أكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة أخرى وهذه الجملة إخبار بالغيب وكان كما أخبر لأنهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فإن التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو أن يقول ليت لي كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي ﴿والله عليم بالظالمين﴾ تهديد لهم وتنبيه على أنهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم أحرص وتنكير حياة لأنه أريد بها فرد من أفرادها وهي الحياة المتطاولة وقرئ باللام ﴿ومن الذين أشركوا﴾ محمول على المعنى كأنه قال أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وإفرادهم بالذكر للمبالغة فإن حرصهم شديد إذ لم يعرفوا إلا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فإنه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بأنهم صائرون إلى النار ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وأن يكون خبر مبتدأ محذوف صفته ﴿يود أحدهم﴾ على أنه أريد بالذين أشركوا اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله أي ومنهم ناس يود أحدهم وهو على الأول بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف ﴿لو يعمر ألف سنة﴾ حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان أصله لو أعمر فأجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر﴾ الضمير لأحدهم وأن يعمر فاعل مزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر وأن يعمر بدل منه أو مبهم وأن يعمر موضحه وأصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة إذا أتت عليها السنون والزحزحة التبعيد ﴿والله بصير بما يعملون﴾ فيجازيهم ﴿قل من كان عدوا لجبريل﴾ نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه وإلا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وإنه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن أربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم وجبريل كقنديل قراءة الباقين وأربع في الشواذ جبرائيل وجبرائل وجبرال وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف وقيل معناه عبد الله

فإنه نزله

﴿فإنه نزله﴾ البارز الأول لجبريل والثاني للقرآن وإضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج إلى سبق ذكره ﴿على قلبك﴾ فإنه القابل الأول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كأنه قال قل ما تكلمت به ﴿بإذن الله﴾ بأمره أو تيسيره حال من فاعل نزل ﴿مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ أحوال من مفعوله والظاهر أن جواب الشرط فإنه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الإنصاف أو كفر بما معه من الكتاب بمعاداته إياه لنزوله عليك بالوحي لأنه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علته مقامه أو من عاداه فالسبب في عداوته أنه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا أو فهو عدو لي وأنا عدوه كما قال ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾ أراد بعداوة الله مخالفته عنادا أو معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنهم كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة وأن من عادى أحدهم فكأنه عادى الجميع إذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولأن المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنه تعالى عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وأبو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد والباقون ميكائيل ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ أي المتمردون من الكفرة والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي دل على أعظمه كأنه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها ﴿أوكلما عاهدوا عهدا﴾ الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على أن التقدير إلا الذين فسقوا أو كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا ﴿نبذه فريق منهم﴾ نقضه وأصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وإنما قال فريق لأن بعضهم لم ينقض ﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ رد لما يتوهم أن الفريق هم الأقلون أو أن من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم﴾ كعيسى ومحمد عليهما السلام ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله﴾ يعني التوراة لأن كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الإيمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول لأنه مع الرسول وهو القرآن ﴿وراء ظهورهم﴾ مثل لإعراضهم عنه رأسا بالإعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات إليه ﴿كأنهم لا يعلمون﴾ أنه كتاب الله يعني أن علمهم به يقين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم أنه تعالى دل بالآيتين على أن جل اليهود أربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم الأقلون المدلول عليهم بقوله أكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الأكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ عطف على نبذ أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها أو تتبعها الشياطين من الجن والإنس أو منهما ﴿على ملك سليمان﴾ أي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب

ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب
وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم
ذلك وعبر عن الكفر بالسحر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا
باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر
اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشياطين
مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب
شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب
الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز
او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما
واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم
السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركبت فيهما
الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت
منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان
سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما
كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد
من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت
والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض
وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول
ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم
وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز
اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا
تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون
سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثر بالذات بل بامره
تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون
ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير
مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل
ما تتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الآخرة
من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او
يعلمون قبحه على التعيين وحقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل
الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون
بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم والكتاب

في مقابلتها ما يستحق لاجله مثالبها ويشكر بسبب مناقبها ومن ثم قال عليه السلام جعلت قرة عيني
في الصلاة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتوكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا
وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي
زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله
من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك
وهو ضعيف واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من
الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه وعلى هذا
تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد
فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري
مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله ام مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس
الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل
فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع والثاني اما
باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان
المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله
التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت
عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي
والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة
لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان
الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل
لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة
وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك
وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل
اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه الوليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان
بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب
في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه
على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير
كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف
وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهاده
من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله
الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار
بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه

تخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى
فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا
بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا
الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا
آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن
كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغني بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق
البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر
بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون
وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه
اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها
كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده
فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله على بني اسرائيل ومن الآيات
الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع
عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره
عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك
فرعون وعد الله موسى عليه السلام ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة
وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه
تعالى وعده الوحي ووعده موسى عليه السلام المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا
من بعده من بعد موسى ومضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة
من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفونا واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني
التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين
المحق والمبطل في الدعوى وبين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي
فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر
في الآيات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع
الى من خلقكم بريئا من التفاوت وميز بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب
لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء
كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات
كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا
وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر
المضي لامر الله تعالى فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى

الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها
تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد
به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو
لغة فيه قال اي الله او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب
في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ
ادنأ من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي
اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم
والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل
البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب فان لكم ما سألتم وضربت عليهم
الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة
لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف
جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا
بان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر
واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان
وآية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه السلام من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا
ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع
الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي
والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها
كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما
لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة
الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر
او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرة فيها خطوط من سواد وبلق
كانه في الجلد توليع البهق ان الذين آمنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد عليه السلام المخلصين
منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود
اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل
واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كالندامى
والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية
يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل
دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا
فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم

مالوا عن سائر الأديان إلى دينهم أو من الحق إلى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل أن نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا ودخل في الإسلام دخولا صادقا فلهم أجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو بدل من اسم إن وخبرها فلهم أجرهم والفاء لتضمن المسند إليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر إن من حيث إنها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم وإذ أخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى أعطيتم الميثاق روي أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على إرادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي أو رجاء منكم أن تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف أي قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد عليه السلام يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي أو بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الأصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فإذا دخل على لا أفاد إثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت وأصله القطع أمروا بأن يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك أنهم كانوا يسكنون على الساحل قرية يقال لها أيلة وإذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا حضر هناك وأخرج خرطومه وإذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا إليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والذل والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله كونوا ليس بأمر إذ لا قدرة لهم عليه وإنما المراد به سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك كما أراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها أي المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها أي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الأمم إذ ذكرت حالهم في زبر الأولين واشتهرت قصتهم في الآخرين أو لمعاصريهم ومن بعدهم أو لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها أو لأهل تلك القرية وما حواليها أو لأجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم أو لكل متق سمعها وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة أول هذه القصة قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وإنما فك عنه وقدم عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة

مطلب في بيان اشتقاق آدم

في موضع الحال أي ملتبسين بحمدك على ما ألهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما أوهم إسناد التسبيح إلى أنفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لأجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو أعظم الأفعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم الأسماء كلها إما بخلق علم ضروري بها فيه أو إلقاء في روعه ولا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم أعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الأدمة أو الأدم بالفتح بمعنى الأسوة أو من أديم الأرض لما روي عنه عليه السلام أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه أخيافا أو من الأدم أو الأدمة بمعنى الألفة تعسف كاشتقاق إدريس من الدرس ويعقوب من العقب وإبليس من الإبلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ والصفات والأفعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا أو مفردا مخبرا عنه أو رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة والمراد في الآية إما الأول أو الثاني وهو يستلزم الأول لأن العلم بالألفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الأشياء وخواصها وأسمائها وأصول العلم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا إذ التقدير أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا لأن العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الأسماء ولا سيما إن أريد به الألفاظ والمراد به ذوات الأشياء أو مدلولات الألفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فإن التصرف والتدبير وإقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والإنباء إخبار فيه إعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم أو أن خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وإن لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق إلى الكلام باعتبار منطوقه فقد يتطرق إليه بغرض ما يلزمه مدلوله من الإخبار وبهذا الاعتبار يعتري الإنشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور وإشعار بأن سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وأنه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الإنسان والحكمة في خلقه وإظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للأدب بتفويض العلم كله إليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل إلا مضافا منصوبا بإضمار فعله كمعاذ الله وقد أجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام

سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية
الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك
مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا
هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي
اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه
ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم
الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين
لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة
وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة
للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية
العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى
وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على
الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي
سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على
مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء
منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل
من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما
لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل
ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا
لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه
على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في
الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى
فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور
به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه
او سببا لوجوبه وكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها
ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات
ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من
عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان
أليس أول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك

استغفر لهم لعل الله يتوب عليهم وضرب اعناقهم فان هؤلاء تقوية اصحابك وقال عمر رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانهم
ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب
اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن
وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني
فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر
يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء
ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون
وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو
ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية
التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو
نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم
من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبيب والسبب محذوف
تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا
حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك
المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور
غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس
كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال
يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال اين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك
وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله والفضل
وقثم فقال ما يدريك قال اخبرني به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك
رسول الله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني
الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم
ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي يعني الموعود بقوله
ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك يعني الاسرى نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله من قبل بالكفر
ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة
فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا اوطانهم وهم المهاجرون هجروا اوطانهم حبا
لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم
في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم
على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة دون الا

قارب

هو منسوخ بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض أو بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شيء حتى يهاجروا أي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيهاً لها بالعمل والصناعة
كالكتابة والإمارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملاً وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم أن
تنصروهم على المشركين إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فإنه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير
والذين كفروا بعضهم أولياء بعض في الميراث أو المؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والمؤازرة بينهم وبين المسلمين
إلا تفعلوه أن لا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع
العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الأرض تحصل فتنة فيها وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر وفساد
كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لما قسم المؤمنين
ثلاثة أقسام بين أن الكاملين في الإيمان منهم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد
وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه
ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم أي من
جملتكم أيها المهاجرون والأنصار وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في التوارث من الأجانب في كتاب الله في
حكمه أو في اللوح أو القرآن واستدل به على توريث ذوي الأرحام إن الله بكل شيء عليم من المواريث
والحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام والمظاهرة أولاً واعتبار القرابة ثانياً عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي
عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته

سورة براءة مدنية وقيل إلا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول

وهي آخر ما نزلت ولها أسماء أخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة
والبحوث والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة
العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين
وإثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم

وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون

وإنما تركت التسمية فيها لأنها نزلت لرفع الأمان وبسم الله أمان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزلت
عليه سورة أو آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الأنفال
وتناسبها لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت إليها وقيل لما اختلفت الصحابة
في أنهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال أو سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله
براءة من الله ورسوله أي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله
ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها إلى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا
براءة والمعنى أن الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وإنما علقت البراءة بالله
ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة
بإذن الله واتفاق الرسول فإنهما بريئان منها وذلك أنهم عاهدوا المشركين من العرب فنكثوا إلا

أناساً منهم بنو ضمرة وكنانة فأمرهم بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا
أين شاؤوا فقال فسيحوا في الأرض أربعة أشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لأنها نزلت في شوال وقيل
هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشر من ربيع الآخر لأن التبليغ كان يوم النحر
لما روي أنها لما نزلت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً كرم الله وجهه راكب العضباء
ليقرأها على أهل الموسم وقد كان بعث أبا بكر رضي الله عنه أميراً على الموسم فقيل لو بعثت بها إلى أبي بكر
فقال لا يؤدي عني إلا رجل مني فلما دنا علي سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب
أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس إني رسول
رسول الله إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب
البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم
إلى كل ذي عهد عهده ولعل قوله ولا يؤدي عني إلا رجل مني ليس على العموم فإنه عليه السلام
بعث لأن يؤدي عنه كثير لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فإن عادة العرب أن لا يتولى
العهود ونقضها على القبائل إلا رجل منها ويدل عليه أنه في بعض الروايات لا ينبغي لأحد أن
يبلغ هذا إلا رجل من أهل بيتي واعلموا أنكم غير معجزي الله لا تفوتونه وإن أمهلكم وأن الله مخزي الكافرين
بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب في الآخرة وأذان من الله ورسوله إلى الناس أي إعلام فعال بمعنى
الإفعال كالأمان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الأكبر يوم العيد لأن
فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن الإعلام كان فيه ولما روي أنه عليه السلام وقف يوم النحر
عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة
ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو لأن المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من
أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال أو لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده
أعياد أهل الكتاب أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين أن الله أي بأن الله بريء من
المشركين أي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء أو على محل إن واسمها في قراءة
من كسرها إجراء للأذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفاً على اسم إن أو لأن الواو بمعنى مع ولا
تكرير فيه فإن قوله براءة من الله إخبار بثبوت البراءة وهذا إخبار بوجوب الإعلام بذلك
ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فإن تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوبة خير لكم
وإن توليتم عن التوبة أو ثبتم على التولي عن الإسلام والوفاء فاعلموا أنكم غير معجزي الله لا تفوتونه
طلباً ولا تعجزونه هرباً في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب أليم في الآخرة إلا الذين عاهدتم من المشركين
استثناء من المشركين أو استدراك وكأنه قيل لهم بعد أن أمروا بنبذ العهد إلى الناكثين
ولكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئاً من شروط العهد ولم ينكثوا أو لم يقتلوا منكم ولم
يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم أحداً من أعدائكم فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إلى تمام مدتهم ولا تجروهم
مجرى الناكثين إن الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على أن إتمام عهدهم من باب التقوى فإذا انسلخ انقضى

وأصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الأشهر الحرم التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها وقيل هي
رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للإجماع فإنه يقتضي بقاء حرمة الأشهر
الحرم إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم وأسروهم
والأخيذ الأسير واحصروهم واحبسوهم وحيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر
لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فإن تابوا عن الشرك بالإيمان وأقاموا الصلاة وآتوا
الزكاة تصديقا لتوبتهم وإيمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على
أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله إن الله غفور رحيم تعليل للأمر أي فخلوهم لأن الله
غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعدهم بالثواب بالتوبة وإن أحد من المشركين المأمور بالتعرض
لهم استجارك استأمنك وطلب منك جوارك فأجره فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع
على حقيقة الأمر ثم أبلغه مأمنه موضع أمنه إن لم يسلم وأحد رفع بفعل يفسره ما بعده
لا بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل ذلك الأمن أو الأمر بأنهم قوم لا يعلمون ما الإيمان وما
حقيقة ما تدعوهم إليه فلا بد من أمانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله استفهام بمعنى الإنكار والاستبعاد لأن يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغر صدورهم
أو لأن يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام أو للمشركين أو عند الله
وهو على الأولين صفة للعهد أو ظرف له أو ليكون وكيف على الأخيرين حال من العهد وللمشركين
إن لم يكن خبرا تبيين إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام أو لكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم أي فتربصوا أمرهم فإن استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء فهو كقوله فأتموا
إليهم عهدهم غير أنه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية إن الله يحب المتقين سبق
بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد وإيفاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل
للعلم به كما في قوله • وخبرتماني أنما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب • أي كيف مات
وإن يظهروا عليكم أي وحالهم أنهم إن يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم إلا حلفا وقيل قرابة
قال حسان • لعمرك إن إلك من قريش • كإل السقب من رأل النعام • وقيل ربوبية ولعله
اشتق للحلف من الإل وهو الجؤار لأنهم كانوا إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه ثم استعير
للقرابة لأنها تعقد بين الأقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية واشتقاقه من أل
الشيء إذا حدده أو من أل البرق إذا لمع وقيل إنه عبري بمعنى الإله لأنه قرئ إيلا كجبرئيل
وجبريل ولا ذمة عهدا أو حقا يعاب الشخص على إغفاله يرضونكم بأفواههم استئناف لبيان حالهم
المنافية لثباتهم على العهد المؤدية إلى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من
فاعل لا يرقبوا فإنهم بعد ظهورهم لا يرضون ولأن المراد إثبات إرضائهم المؤمنين بوعد
الإيمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث إن ظفروا
لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما تتفوه به أفواههم وأكثرهم فاسقون متمردون
لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الأكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف

عما يجر إلى أحدوثة السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الأهواء
والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل إليه أو سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة
على أن اشتراءهم أداهم إلى الصد إنهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا أو ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن
إلا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الأول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا
وهم اليهود أو الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم وأولئك هم المعتدون في الشرارة فإن تابوا
عن الكفر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فهم إخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات
لقوم يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل من أحكام المعاهدين وخصال التائبين وإن نكثوا أيمانهم
من بعد عهدهم وإن نكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان والوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب
وتقبيح الأحكام فقاتلوا أئمة الكفر أي فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا
بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر أحقاء بالقتل وقيل المراد بالأئمة رؤساء الكفر والمشركين
فالتخصيص إما لأن قتلهم أحق به أو للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين على الأصل وإظهار الثانية والتصريح بالياء لحن
إنهم لا أيمان لهم أي لا أيمان على الحقيقة وإلا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على أن الذمي
إذا طعن في الإسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على أن يمين الكافر ليست يمينا وهو
ضعيف لأن المراد نفي الوثوق عليها لا أنها ليست بأيمان لقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم وقرأ ابن عامر
لا إيمان بمعنى لا أمان أو لا إسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز أن
يكون بمعنى لا يؤمنون على الإخبار عن قوم معينين أي ليس لهم إيمان فتراقبوا الأجله لعلهم ينتهون متعلق
بقاتلوا أي ليكن غرضكم من المقاتلة أن ينتهوا عما هم عليه لا إيصال الأذى بهم كما هو طريقة المؤذين
ألا تقاتلون قوما تحريض على القتال لأن الهمزة دخلت على النفي للإنكار فأفادت المبالغة في الفعل
نكثوا أيمانهم التي حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا
بني بكر على خزاعة وهموا بإخراج الرسول عليه السلام حين تشاوروا في أمره بدار الندوة على ما مر ذكره
في قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا بإخراجه من المدينة
وهم بدءوكم أول مرة بالمعاداة والمقاتلة لأنه عليه السلام بدأهم بالدعوة وإلزام الحجة بالكتاب
والتحدي به فعدلوا عن معارضته إلى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم
أتخشونهم أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم فالله أحق أن تخشوه فقاتلوا أعداءه ولا
تتركوا أمره إن كنتم مؤمنين فإن قضية الإيمان أن لا يخشى إلا الله قاتلوهم أمر بالقتال بعد بيان
موجبه والتوبيخ على تركه والوعيد عليه يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعدهم إن قاتلوهم
بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم وإذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن
وسبأ قدموا مكة وأسلموا فلقوا من أهلها أذى فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
أبشروا فإن الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات
ويتوب الله على من يشاء ابتداء إخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك أيضا وقرئ ويتوب بالنصب

على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين
والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين
كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي
المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على
جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم
وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح
لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد
فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر
الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك
وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله
وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي في القول
فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب البيت ونسقي الحاج
ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله
انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية
والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم
فيها وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في الارض
المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور
ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة
قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية من المحاذير
جبلية لا يكاد الرجل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع
المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا
كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باعمالهم ويتكلوا
عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا
سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم
سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرا سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى
انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون
عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة
الرسول منهمكين في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد
بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم
درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم

واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها
في الجنات نعيم مقيم دائم وقرا حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين
والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر
دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا
بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل
نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان
ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك
هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ
من العشرة وقيل من العشيرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرا ابو بكر
وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف
والتحفظ عنه فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح
مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر وايام مواطن
او يفسر المواطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع
في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع
المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا
اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا
اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم
فاقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم
مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه
ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس
فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك
لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه السلام الآن حمي الوطيس ثم اخذ
كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا
من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن
اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين
منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا
على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا
مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر
على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم

في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للإسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي
أن أناسا منهم جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم
وقد سبي أولادنا وأهلونا وأخذت أموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم
ما لا يحصى فقال اختاروا إما سبيكم وإما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن هؤلاء جاؤونا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا
بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى
نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا إلينا
فرفعوا إليه أنهم قد رضوا يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس لخبث باطنهم أو لأنه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الأنجاس
أو لأنهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على أن ما الغالب نجاسته نجس
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون ونجس بكسر النون
وهو ككبد في كبد وأكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وإنما نهى عن الاقتراب
للمبالغة أو للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا وإليه ذهب
أبو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون
بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وإن خفتم عيلة فقرا بسبب
منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والأرفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه
أو تفضله بوجه آخر وقد أنجز وعده بأن أرسل السماء عليهم مدرارا ووفق أهل تبالة وجرش فأسلموا
وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض وقرئ عائلة على أنها
مصدر كالعافية أو حال إن شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال إلى الله ولينبه على أنه متفضل
في ذلك وأن الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام إن الله عليم بأحوالكم حكيم
فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر أي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في أول
البقرة فإن إيمانهم كلا إيمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو
الذي يزعمون اتباعه والمعنى أنهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت
الذي هو ناسخ الأديان ومبطلها من الذين أوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر
عليهم أن يعطوه مشتق من جزى دينه إذا قضاه عن يد حال من الضمير أي عن يد مواتية بمعنى منقادين
أو عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن غنى ولذلك
قيل لا تؤخذ من الفقير أو عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين أذلاء أو من الجزية بمعنى نقدا مسلمة
عن يد إلى يد أو عن إنعام عليهم فإن إبقاءهم بالجزية نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون أذلاء
وعن ابن عباس رضي الله عنهما تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص
الجزية بأهل الكتاب ويؤيده أن عمر رضي الله عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن
ابن عوف أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر وأنه عليه السلام قال سنوا بهم سنة أهل
الكتاب وذلك لأن لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابيين وأما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا

وعند أبي حنيفة تؤخذ منهم إلا من مشركي العرب لما روى الزهري أنه صالح عبدة الأوثان إلا من كان من العرب
وعند مالك تؤخذ من كل كافر إلا المرتد وأقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال أبو حنيفة
على الغني ثمانية وأربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على
الفقير غير الكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله إنما قاله بعضهم من متقدميهم أو ممن كانوا بالمدينة وإنما
قالوا ذلك لأنه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما أحياه الله بعد مائة عام
أملى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا إلا لأنه ابن الله والدليل على أن هذا القول
كان فيهم أن الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب
عزير بالتنوين على أنه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الأخرى إما
لمنع صرفه للعجمة والتعريف أو لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين أو لأن الابن وصف
والخبر محذوف مثل معبودنا أو صاحبنا وهو مزيف لأنه يؤدي إلى تسليم النسب وإنكار الخبر
المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو أيضا قول بعضهم وإنما قالوه استحالة لأن يكون ولد بلا أب
أو لأن يفعل ما فعله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى من لم يكن إلها ذلك قولهم بأفواههم
إما تأكيد لنسبة هذا القول إليهم ونفي للتجوز عنها أو إشعار بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق
مماثل للمهمل الذي يوجد في الأفواه ولا يوجد مفهومه في الأعيان يضاهئون قول الذين كفروا أي يضاهي
قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه من قبل أي من قبلهم والمراد قدماؤهم
على معنى أن الكفر قديم فيهم أو المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله أو اليهود على أن الضمير للنصارى
والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل
للتي شابهت الرجال في أنها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك
أو تعجب من شناعة قولهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله
بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم أو بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بأن جعلوه ابنا لله
وما أمروا أي وما أمر المتخذون أو المتخذ أربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ إلا ليعبدوا
ليطيعوا إلها واحدا وهو الله وأما طاعة الرسول وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة
طاعة الله لا إله إلا هو صفة ثانية أو استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له
عن أن يكون له شريك يريدون أن يطفئوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد
أو القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب إطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد
الله أن يطفئه بنفخه وإنما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لأنه في معنى النفي ولو كره الكافرون
محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
كالبيان لقوله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون
للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق أو للرسول واللام
في الدين للجنس أي على سائر الأديان فينسخها أو على أهلها فيخذلهم يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان
ليأكلون أموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشا في الأحكام سمي أخذ المال أكلا لأنه الغرض الأعظم

ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار والرهبان
فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به وأن يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه
ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه أنه لما نزل كبر على المسلمين
فذكر عمر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وقوله
عليه السلام ما أدي زكاته فليس بكنز أي بكنز أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما
أمر الله أن ينفق فيه وأما قوله من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها
لقوله عليه السلام فيما أورده الشيخان مرويا عن أبي هريرة رضي الله عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة
لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة جعلت صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره
فبشرهم بعذاب أليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم أي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها وأصله
تحمى بالنار فجعل الإحماء للنار مبالغة ثم حذف النار وأسند الفعل إلى الجار والمجرور تنبيها على
المقصود فانتقل من صيغة التأنيث إلى صيغة التذكير وإنما قال عليها والمذكور شيئان لأن المراد بهما
دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه أربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله
ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز أو الأموال فإن الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لأنهما قانون التمول ل
أو للفضة وتخصيصها لقربها ولدلالة حكمها على أن حكم الذهب كذلك بطريق الأولى فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم لأن جمعهم وإمساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس
البهية أو لأنهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه ظهورهم أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة
فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد أو لأنها أصول الجهات الأربع
التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه هذا ما كنزتم على إرادة القول لأنفسكم لمنفعتها وكان
عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون أي وبال كنزكم أو ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم
النون إن عدة الشهور أي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لأنها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح
المحفوظ أو في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق السموات والأرض متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو
بالكتاب إن جعل مصدرا والمعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق الله الأجرام والأزمنة
منها أربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم أي تحريم
الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا
فيهن أنفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولوا
الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الإحرام وعن
عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم والأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا ويؤيد الأول ما روي أنه
عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة
جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله
مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم إنما النسيء أي تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر
كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر

واعتبروا

واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش إنما النسي بقلب الهمزة ياء وإدغام الياء فيها وقرئ
النسي بحذفها والنسي والنساء وثلاثتها مصادر نسأه إذا أخره زيادة في الكفر لأنه
تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر آخر ضموه إلى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا
زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على أن الفعل لله
يحلونه عاما يحلون النسيء من الأشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على
حرمته قيل أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي إن آلهتكم قد
أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي في القابل إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان
تفسير للضلال أو حال ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة واللام متعلقة
بيحرمونه أو بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة
الوقت زين لهم سوء أعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم وأضلهم حتى حسبوا
قبيح أعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة إلى الاهتداء يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا
في سبيل الله اثاقلتم وقرئ تثاقلتم على الأصل وأثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ إلى الأرض متعلق به
كأنه ضمن معنى الإخلاد والميل فعدي بإلى وكان ذلك في غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من
الطائف في وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم أرضيتم بالحياة الدنيا وغرورها
من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحياة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة إلا قليل مستحقر
إلا تنفروا إن لا تنفروا إلى ما استنفرتم إليه يعذبكم عذابا أليما بالإهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو
خ ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن وأبناء فارس ولا تضروه شيئا إذ لا يقدح
تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فإنه الغني عن كل شيء وفي كل أمر وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه
فإن الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب
والنصرة بلا مدد كما قال الله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله أي إن لم تنصروه فسينصره الله كما نصره
إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه إلا رجل واحد فحذف الجزاء وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه
أو إن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره وإسناد
الإخراج إلى الكفرة لأن همهم بإخراجه أو قتله سبب لإذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون
على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الإعراب ونصبه على الحال إذ هما في الغار بدل من إذ أخرجه
بدل البعض إذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة
ساعة مكثا فيه ثلاثا إذ يقول بدل ثان أو ظرف لثاني لصاحبه وهو أبو بكر رضي الله عنه لا تحزن إن الله
معنا بالعصمة والمعونة روي أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله عنه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن
الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في
أسفله والعنكبوت فنسجت عليه فأنزل الله سكينته أمنته التي تسكن عندها القلوب عليه على
النبي أو على صاحبه وهو الأظهر لأنه كان منزعجا وأيده بجنود لم تروها يعني الملائكة أنزلهم

ليعرفوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى
وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده
اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على
كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا
اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا وثقالا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته
عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك
لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا
باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكنكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه
خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا
اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة
المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر الشين والعين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك
معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو
تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا
من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من يحلفون
لان الحلف الكاذب ايقاع النفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا
مستطيعين للخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم
بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك
واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذ الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما
لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا
فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوك في التخلف عنه او ان
يستأذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم على ذلك بثوابه
انما يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار
بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون اي يتحيرون
ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين باضافة وغير اضافة ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم
قوله ولو ارادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم
للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم
او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل
المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم معكم شيئا الا خبالا فسادا وشرا

ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا ازادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء
ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا
ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب في الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة
يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا
وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم
بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم
احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة ٥
اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء
في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون اي على
رغم منهم والآيات لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره
انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة لاعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة
الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي
العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي وفيه اشعار بانه متخلف لا محالة اذن له او لم يأذن او في الفتنة
بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس
قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في
الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور النفاق لا ما احترزوا عنه
وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الآن لان احاطة اسبابها بهم كوجودها ان تصبك
في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او
شدة كما اصابك يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم في التخلف
ويتولوا عن متحدثهم ومجمعهم الى اهليهم وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا
ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم
ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب
السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا ومتولي
امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا الا احدى
الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا
احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر
فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر
اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول
كأنهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول الجد بن قيس اعينك بمالي فاتركني
ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يأخذه منهم وان لا يثيبهم عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل
الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم

الا كرهم وقرأ حمزة والكسائي أن يقبل بالياء لأن تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ نقبل على أن الفعل لله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون إلا وهم كارهون لأنهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فإن ذلك استدراج ووبال لهم كما قال إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من المصائب وتزهق أنفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله إنهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤون إليه أو مغارات غيرانا أو مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا أي مكانا يدخلون فيه أنفسهم ومندخلا من اندخل لولوا إليه لأقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون إسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون قيل إنها نزلت في أبي الجواظ المنافق قال ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك إن لم أعدل فمن يعدل وإذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما أعطاهم الرسول عليه السلام من الغنيمة أو الصدقة وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على أن ما فعله الرسول كان بأمره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة أو غنيمة أخرى ورسوله أكثر مما آتانا إنا إلى الله راغبون في أن يغنينا من فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال إنما الصدقات للفقراء والمساكين أي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على أن المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز أسكنه ويدل عليه قوله أما السفينة فكانت لمساكين وأنه عليه السلام سأل المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم أو أشراف قد يترقب بإعطائهم ومراعاتهم إسلام نظرائهم وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل أشراف يستألفون على أن يسلموا فإنه عليه السلام كان يعطيهم والأصح أنه عليه السلام كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله وكثر أهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بأن يعاون المكاتب بشيء منها على أداء النجوم وقيل بأن يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك وأحمد أو بأن تفدى الأسارى

لا يكفيه

بهم

والعدول عن اللام إلى في للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للإيذان بأنهم أحق بها والغارمين المديونين لأنفسهم في غير معصية إذا لم يكن لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين وإن كانوا أغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لغاز في سبيل الله أو لغارم أو رجل اشتراها بماله أو رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني أو لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالإنفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية أي فرض لهم الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الأشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك وإليه ذهب الشافعي رحمه الله وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها إلى صنف واحد وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمه الله على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج عنهم لا إيجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك أو اشتق له فعل من أذن أذنا إذا استمع كأنف وشلل روي أنهم قالوا محمد أذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل أذن خير لكم تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث إنه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الأدلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعنى التسليم وإيمان الأمان ورحمة أي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على أنها علة فعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع أذن بالتخفيف فيهما وقرئ أذن خير على أن خير صفة له أو خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم بإيذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله أحق أن يرضوه أحق بالإرضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أو لأن الكلام في إيذاء الرسول وإرضائه أو لأن التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك إن كانوا مؤمنين صدقا ألم يعلموا أي الشأن وقرئ بالتاء أنه من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فأن له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر أي فحق أن له أو على تكرير أن للتأكيد ويحتمل أن يكون معطوفا على أنه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فإن بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم أستارهم ويجوز أن يكون الضمائر للمنافقين فإن النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث إنه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم أيضا في كفرهم وأنهم لم يكونوا على بت في أمر الرسول بشيء وقيل إنه خبر في معنى الأمر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء

مطلب الفرق بين إيمان التصديق وإيمان الأمان

بقوله قل استهزئوا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره
من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله
نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما
يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم
بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا
باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد
اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة
بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ
بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء للمفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان
ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد
وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل
على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان
والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته
فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير
وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم
عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما
يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة
واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا
واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين
باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي
في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في
الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة
ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم
اهلك نمرود ببعوضة واهلك اصحابه واصحاب مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم
الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة
من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات
يعني الكل فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله

في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما
يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس
او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن
اقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير
ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل
ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا
بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه
محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما
تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار عليين لا يعتريهم فيها
فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة
وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه السلام ان الله تعالى يقول لاهل
الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا
اعطيكم افضل من ذلك فيقولون وما افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا
ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها
يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم
ومأواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه السلام اقام في غزوة
تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد
لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب
الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام
وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه
عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها
وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال
اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان
لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم
فاستغنوا والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي
حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما
في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا
من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله
ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه

ومساكن طيبة

قد دوام

قال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمي الدود
حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى
لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا
بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هي إلا أخت الجزية
فارجعا حتى أرى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال إن الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو على رأسه
فقال يا ثعلبة هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها إلى أبي بكر فلم
يقبلها ثم جاء بها إلى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا
حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الإعراض عنها فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم أي
فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقاً وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للبخل والمعنى فأورثهم
البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم إلى يوم يلقونه يلقون الله بالموت أو يلقون عملهم أي جزاءه يوم القيمة
بما أخلفوا الله ما وعدوه بسبب إخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم
كاذبين فيه فإن خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين أو المقال مطلقاً وقرئ يكذبون بالتشديد
ألم يعلموا أي المنافقون أو من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات أن الله يعلم سرهم ونجواهم ما أسروه في
أنفسهم من النفاق أو العزم على الإخلاف وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن وتسمية
الزكاة جزية وأن الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع أو منصوب أو
بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي
أنه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان
لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأتيه عن نصف
الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع
تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله
أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء ولقد
كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت
والذين لا يجدون إلا جهدهم إلا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الأمر إذا بالغ فيه فيسخرون منهم
يستهزئون بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب أليم على كفرهم
استغفر لهم أو لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم كما نص عليه بقوله إن تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مرض أبيه أن يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه السلام لأزيدن على
السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لأنه عليه السلام
فهم من السبعين العدد المخصوص لأنه الأصل فجوز أن يكون ذلك حداً يخالفه حكم ما وراءه
فبين له أن المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها

في التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنه العدد بأسره ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله إشارة
إلى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم
بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق
فإن مغفرة الكافر بالإقلاع عن الكفر والإرشاد إلى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا
ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول عليه السلام في استغفاره وهو عدم يأسه من إيمانهم
ما لم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي
والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال أقام خلاف الحي أي بعدهم
ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة أو الحال وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله
إيثاراً للدعة والخفض على طاعة الله تعالى وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه
ببذل الأموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر أي قاله بعضهم لبعض أو قالوه للمؤمنين تثبيطاً
قل نار جهنم أشد حراً وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون أن مآبهم إليها أو أنها
كيف هي ما اختاروها بإيثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون
إخبار عما يؤول إليه حالهم في الدنيا والآخرة أخرجه على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم
واجب ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم
فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فإن ردك الله إلى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فإن
كلهم لم يكونوا منافقين أو من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلاً فاستأذنوك للخروج إلى غزوة أخرى
بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إخبار في معنى النهي للمبالغة إنكم رضيتم بالقعود
أول مرة تعليل له وكان إسقاطهم من ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم وأول مرة هي الخرجة
إلى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين أي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان
وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبداً روي أن ابن أبي دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده
ويصلي عليه فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت
وإنما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهي عن الصلاة عليه لأن الضنة بالقميص كان مخلاً بالكرم ولأنه
كان مكافأة لإلباسه العباس قميصه حين أسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار
له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات أبداً يعني الموت على الكفر فإن إحياء الكافر
للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة إنهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي أو لتأبيد الموت ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا
وتزهق أنفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والأمر حقيق به فإن الأبصار طامحة إلى الأموال والأولاد والنفوس
مغتبطة عليها ويجوز أن تكون هذه في فريق غير الأول وإذا أنزلت سورة من القرآن يجوز أن يراد بها
بعضها أن آمنوا بالله بأن آمنوا ويجوز أن تكون أن المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم

اولوا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة
وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة
وما في التخلف من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد
من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة
وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهو جمع خيرة مخفف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب
اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط
عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طيء على اهالينا ومواشينا والمعذر اما
من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام
التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا
بهما وقرا يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين
والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا
معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا
الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب
او من المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى
كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التاخر
اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما
قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم
جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك
المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم
عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون وكانوا سبعة من الانصار معقل بن يسار
وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة
نغزو معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل
ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا
واعينهم تفيض من الدمع اي دمعا فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو
ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او
المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون
في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف
استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة
الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته

وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء
ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه
لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما
ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام افمن كان على بينة من ربه برهان
من الله يدل على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين
هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على
بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي وقيل مؤمنوا اهل
الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو
القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني التوراة فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو
القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد
ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة
وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على
انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرا من قبل القرآن التوراة اماما كتابا مؤتما به في
الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة
يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك
انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما
لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة
والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله
على الظالمين تهويل عظيم لما يحيق بهم لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا
يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال
انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين
الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكن اخر عقابهم الى هذا اليوم
ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد
ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكانه العلة
لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء
فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا
انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او
خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة
هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا
له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن

كالأعمى والأصم والبصير والسميع يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله وبالأصم لتصامه عن
استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالبصير والسميع لأن أمره بالضد فيكون كل منهما
مشبها باثنين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف
لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان
مثلا تشبيها أو صفة أو حالا أفلا تذكرون بضرب الأمثال والتأمل فيها ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني
لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على إرادة القول نذير مبين أبين لكم موجبات العذاب ووجه
الخلاص أن لا تعبدوا إلا الله بدل من إني لكم أو مفعول مبين ويجوز أن تكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو
بنذير إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده
ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة
وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا أخساؤنا جمع أرذل فإنه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبر أو الأرذل جمع رذل
بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو أو أول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها
وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه على الظرف على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه
اتبعك وإنما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الأحظ بها أشرف
عندهم والمحروم منها أرذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة
بل نظنكم كاذبين إياك في دعوى النبوة وإياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم أرأيتم
أخبروني إن كنت على بينة حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بإيتاء البينة أو النبوة فعميت من ربي
عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لأن البينة في نفسها هي الرحمة أو لأن خفاءها يوجب خفاء
النبوة أو على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار أو لأنه لكل واحد منهما وقرأ حمزة والكسائي
وحفص فعميت أي أخفيت وقرئ فعماها على أن الفعل لله أنلزمكموها أنكرهكم على الاهتداء بها وأنتم لها كارهون
لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس أحدهما مرفوعا وقدم الأعرف منهما جاز في الثاني
الفصل والوصل ويا قوم لا أسألكم عليه على التبليغ وهو وإن لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا إن أجري إلا على الله
فإنه المأمول منه وما أنا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم إنهم ملاقوا ربهم فيخاصمون
طاردهم عنده أو أنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم ولكني أراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم أو بأقدارهم أو
في التماس طردهم أو تتسفهون عليهم بأن تدعوهم أراذل ويا قوم من ينصرني من الله يدفع انتقامه إن طردتهم وهم بتلك
الصفة والمثابة أفلا تذكرون لتعرفوا أن التماس طردهم وتوقيف الإيمان عليه ليس بصواب ولا أقول لكم عندي خزائن الله
رزقه أو أمواله حتى جحدتم فضلي ولا أعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله أي لا أقول أنا أعلم الغيب حتى تكذبوني
استبعادا أو حتى أعلم أن هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على أقول
ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أقول للذين تزدري أعينكم ولا أقول في شأن من استرذلتموهم
لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فإن ما أعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين
إن قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر وإسناده
إلى الأعين للمبالغة والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم

وذلك

وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالى والله عليم بأحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم
والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن
لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وفوضوا أمرهم إلى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا
مسجدا عطف على وآخرون مرجون أو مبتدأ خبره محذوف أي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا أو منصوب على
الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي أن بني عمرو بن عوف لما
بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم
بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد أن يؤمهم أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام فلما أتموه أتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة
والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن
بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه
ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا
يجتمعون للصلاة في مسجد قباء وإرصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فإنه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين
إلى أن انهزم مع هوازن وهرب إلى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الأحزاب فلما انهزموا خرج إلى الشام ومن قبل
متعلق بحارب أو باتخذوا أي اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي أنه بني قبيل غزوة
تبوك فسألوا رسول الله أن يأتيه فقال إنا على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا
فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ما أردنا ببنائه إلا الخصلة الحسنى
أو الإرادة الحسنى وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد إنهم لكاذبون
في حلفهم لا تقم فيه أبدا للصلاة لمسجد أسس على التقوى يعني مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين إلى الجمعة لأنه أوفق للقصة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقول أبي سعيد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة
من أول يوم من أيام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر
أحق أن تقوم فيه أولى بأن تصلي فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا
لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه
إدناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب
مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فأعادها فقال عمر إنهم مؤمنون
وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون
في الرخاء قالوا نعم فقال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال عليه السلام يا معشر
الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا
رسول الله نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا فيه رجال يحبون أن يتطهروا

أفمن أسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها فانهار به في نار جهنم فأدى به لخوره وقلة استمساكه إلى السقوط في النار وإنما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلاً لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيهاً على أن تأسيس ذلك على أمر يحفظه عن النار ويوصله إلى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة أدناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم إن مصيرهم إلى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر أسس على البناء للمفعول وقرئ أساس بنيانه وأس بنيانه على الإضافة وأسس وآساس وإساس بالكسر وثلاثتها جمع أس وتقوى بالتنوين على أن الألف للإلحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين إلى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم أي شكاً ونفاقاً والمعنى أن بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فإنه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول عليه السلام رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم قطعاً بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك والإضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من أعم الأزمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل أو في القبر أو في النار وقيل التقطيع بالتوبة ندماً وأسفاً وقرأ يعقوب إلى حرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما أمر بهدم بنيانهم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لأجله الشراء وقيل يقاتلون في معنى الأمر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت أن الواو لا توجب الترتيب وأن فعل البعض قد يسند إلى الكل وعداً عليه حقاً مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء فإنه في معنى الوعد في التوراة والإنجيل والقرآن مذكوراً فيهما كما أثبت في القرآن ومن أوفى بعهده من الله مبالغة في الإنجاز وتقرير لكونه حقاً فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فإنه أوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح أي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصباً على المدح أو جراً صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة أمتي الصوم شبه بها من حيث إنه يعوق عن الشهوات أو لأنه رياضة نفسانية يتوصل بها إلى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت أو السائحون للجهاد أو لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلاة الآمرون بالمعروف بالإيمان والطاعة

والناهون عن المنكر الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على أنه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله أي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل إنه للإيذان بأن التعداد قد تم بالسابع من حيث إن السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء عدد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك وأن المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن إحاطة الأفهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين روي أنه عليه السلام قال لأبي طالب لما حضرته الوفاة قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبراً فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل علي الآيتين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقض باستغفار إبراهيم لأبيه الكافر فقال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه وعدها إبراهيم أباه بقوله لأستغفرن لك أي لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان فإنه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ أباه أو وعدها إبراهيم أبوه وهي الوعد بالإيمان فلما تبين له أنه عدو لله بأن مات على الكفر أو أوحي إليه بأنه لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره إن إبراهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الأذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوماً ليسميهم ضلالاً ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد إذ هداهم للإسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر الرسول في قوله لعمه أو لمن استغفر لأسلافه المشركين قبل المنع وقيل إنه في قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على أن الغافل غير مكلف إن الله بكل شيء عليم فيعلم أمرهم في الحالين إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبري عنهم رأساً بين لهم أن الله مالك كل موجود ومتولي أمره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة إلا منه ليتوجهوا بشراشرهم إليه ويتبرؤوا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار من إذن المنافقين في التخلف أو برأهم عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التوبة حتى النبي والمهاجرين والأنصار لقوله وتوبوا إلى الله جميعاً إذ ما من أحد إلا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي إليه توبة من تلك النقيصة وإظهار لفضلها بأنها مقام الأنبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل إن الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الإيمان أو اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشأن أو ضمير

القوم والعائد على الضمير في منهم، وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لأن تأنيث القلوب غير حقيقي، وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين. ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على أنه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة، أو المراد أنه تاب عليهم لكيدودتهم. إنه بهم رؤوف رحيم. وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع. الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو أو خلف أمرهم فإنهم المرجون. حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي برحبها لإعراض الناس عنهم بالكلية، وهو مثل لشدة الحيرة. وضاقت عليهم أنفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها أنس ولا سرور. وظنوا أن لا ملجأ من الله من سخطه إلا إليه إلا إلى استغفاره. ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة. ليتوبوا أو أنزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التائبين، أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم. إن الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة. الرحيم المتفضل عليهم بالنعم. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه. وكونوا مع الصادقين في إيمانهم وعهودهم، أو في دين الله نية وقولا وعملا. وقرئ من الصادقين أي في توبتهم وإنابتهم، فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة وأضرابهم. ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه لا يصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الأهوال. روي أن أبا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير، فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح، فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له. وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم. ذلك إشارة إلى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف أو وجوب المشايعة. بأنهم بسبب أنهم لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطئون موطئا مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه. ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والأسر والنهب. إلا كتب لهم به عمل صالح إلا استوجبوا به الثواب، وذلك مما يوجب المشايعة. إن الله لا يضيع أجر المحسنين على إحسانهم، وهو تعليل لكتب وتنبيه على أن الجهاد إحسان، أما في حق الكفار فلأنه سعي في تكميلهم بأقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون، وأما في حق المؤمنين فلأنه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم. ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما أنفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة. ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى إذا سال فشاع بمعنى الأرض. إلا كتب لهم أثبت لهم ذلك. ليجزيهم الله بذلك أحسن ما كانوا يعملون جزاء أحسن أعمالهم. وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم أن ينفروا جميعا أي يتثبطوا جميعا فإنه يخل بأمر المعاش. فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة. ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها. ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة إرشاد القوم وإنذارهم، وتخصيصه بالذكر لأنه أهم.

مطلب [illegible] التفقه [illegible] يقصد

وفيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية وأنه ينبغي أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد. لعلهم يحذرون إرادة أن يحذروا عما ينذرون منه. واستدل به على أن أخبار الآحاد حجة لأن عموم كل فرقة يقتضي أن ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة إلى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الأخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك. وقد أشبع القول فيه تقريرا واعتراضا في كتاب المرصاد. وقد قيل للآية معنى آخر وهو أنه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون إلى النفير وانقطعوا عن التفقه فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الأكبر لأن الجدال بالحجة هو الأصل والمقصود من البعثة، فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي من الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو، وفي رجعوا للطوائف أي ولينذر البواقي قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم. يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار أمروا بقتال الأقرب منهم فالأقرب كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا بإنذار عشيرته الأقربين، فإن الأقرب أحق بالشفقة والاستصلاح، وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر، وقيل الروم فإنهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة. وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال، وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها. واعلموا أن الله مع المتقين بالحراسة والإعانة. وإذا ما أنزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول إنكارا واستهزاء أيكم زادته هذه إيمانا وقرئ أيكم بالنصب على إضمار فعل يفسره زادته. فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى إيمانهم. وهم يستبشرون بنزولها لأنه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم. وأما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا إلى رجسهم كفرا بها مضموما إلى الكفر بغيرها. وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه. أولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء. أنهم يفتنون يبتلون بأصناف البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات. في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم. ولا هم يذكرون ولا يعتبرون. وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون إنكارا لها وسخرية أو غيظا لما فيها من عيوبهم. هل يراكم من أحد أي يقولون هل يراكم من أحد إن قمتم من حضرة الرسول عليه السلام فإن لم يرهم أحد قاموا وإن يرهم أحد أقاموا. ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة. صرف الله قلوبهم عن الإيمان وهو يحتمل الإخبار والدعاء. بأنهم بسبب أنهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم أو لعدم تدبرهم. لقد جاءكم رسول من أنفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من أنفسكم أي من أشرفكم. عزيز عليه شديد شاق عليه. ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه. حريص عليكم أي على إيمانكم وصلاح شأنكم. بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الأبلغ منهما وهو الرؤوف لأن الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل. فإن تولوا عن الإيمان بك فقل حسبي الله فإنه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم. لا إله إلا هو كالدليل عليه. عليه توكلت فلا أرجو ولا أخاف إلا منه. وهو رب العرش العظيم الملك العظيم أو الجسم الأعظم المحيط الذي تنزل منه الأحكام والمقادير، وقرئ العظيم بالرفع. وعن أبي رضي الله عنه أن آخر ما نزل هاتان الآيتان، وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي

الآية آية وحرفا حرفا ما طلا سورة براءة وقل هو الله أحد فإنهما أنزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وأمالها الباقون إجراء لألف الراء مجرى المنقلبة عن الياء. تلك آيات الكتاب الحكيم إشارة إلى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي والمراد من الكتاب أحدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم أو لأنه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ منها شيء. أكان للناس عجبا استفهام إنكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه أن أوحينا وقرئ بالرفع على أن الأمر بالعكس أو على أن كان تامة وأن أوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على أنهم جعلوه أعجوبة لهم يوجهون نحوه إنكارهم واستهزاءهم. إلى رجل منهم من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم وقيل كانوا يقولون إن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة النبوة والوحي هذا وإنه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه إلا في المال وخفة الحال أعون شيء في هذا الباب ولذلك كان أكثر الأنبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من أنه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الأنعام. أن أنذر الناس أن هي المفسرة أو المخففة من الثقيلة فتكون في موضع مفعول أوحينا. وبشر الذين آمنوا عمم الإنذار إذ قلما من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه وخصص البشارة إذ ليس للكفار ما يصح أن يبشروا به حقيقة. أن لهم بأن لهم. قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لأن السبق بها كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وإضافتها إلى الصدق لتحققها والتنبيه على أنهم إنما ينالونها بصدق القول والنية. قال الكافرون إن هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على أن الإشارة إلى الرسول وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول أمورا خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا إلا سحر مبين. إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض التي هي أصول الممكنات في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك أسبابها وتنزيلها منه والتدبير النظر في أدبار الأمور لتجيء محمودة العاقبة. ما من شفيع إلا من بعد إذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له. ذلكم الله أي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهية والربوبية ربكم لا غير إذ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك. فاعبدوه وحدوه بالعبادة. أفلا تذكرون تتفكرون أدنى تفكر فينبهكم على أنه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه. إليه مرجعكم جميعا بالموت أو النشور لا إلى غيره فاستعدوا للقائه. وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله إليه مرجعكم وعد من الله. حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله. إنه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه وهلاكه. ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط أي بالعدل أو بعدلهم وقيامهم على العدل في أمورهم أو بإيمانهم لأنه العدل القويم كما أن الشرك ظلم عظيم وهو الأوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون فإن معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب أليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم العذاب والتنبيه على أن المقصود بالذات

من

من الإبداء والإعادة هو الإثابة والعقاب واقع بالعرض وأنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم والآية كالتعليل لقوله إليه مرجعكم جميعا فإنه لما كان المقصود من الإبداء والإعادة مجازاة المكلفين على أعمالهم كان مرجع الجميع إليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ أنه يبدأ بالفتح أي لأنه ويجوز أن يكون منصوبا أو مرفوعا بما نصب وعد الله أو بما نصب حقا. هو الذي جعل الشمس ضياء أي ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع ضوء كسياط وحوض والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين. والقمر نورا أي ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو أعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بالعرض بمقابلة الشمس والاكتساب منها. وقدره منازل الضمير لكل واحد أي قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذا منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله وإناطة أحكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الأوقات من الأشهر والأيام في معاملاتكم وتصرفاتكم. ما خلق الله ذلك إلا بالحق إلا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة. يفصل الآيات لقوم يعلمون فإنهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء. إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض من أنواع الكائنات لآيات دالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته. لقوم يتقون العواقب فإنه يحملهم على التفكر والتدبر. إن الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لإنكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها. ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها. واطمأنوا بها وسكنوا إليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها. والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف إما لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم أصلا وإما لتغاير الفريقين والمراد بالأولين من أنكر البعث ولم ير إلا الحياة الدنيا وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والإعداد له. أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي. إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة أو لإدراك الحقائق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أو لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وإن دل على أن سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بإيمانهم على استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف. تجري من تحتهم الأنهار استئناف أو خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الأخير وقوله في جنات النعيم خبر أو حال آخر منه أو من الأنهار أو متعلق بتجري أو بيهدي. دعواهم فيها أي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم إنا نسبحك تسبيحا. وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا أو تحية الملائكة إياهم. فيها سلام وآخر دعواهم وآخر دعائهم أن الحمد لله رب العالمين أي أن يقولوا ذلك ولعل المعنى أنهم إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز بأصناف

الكرامات أو لله تحمدونه وأثنوا عليه بصفات الإكرام وأن هي المخففة من الثقيلة وقرئ بالتشديد ونصب الحمد ولو يعجل الله
للناس الشر ولو يسرع إليهم الشر استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير إشعارا بسرعة إجابته لهم في الخير
حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم أو بأن المراد شر استعجلوه كقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء
وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف
منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب
لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل
محذوف دل عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا يعجل ولا يقضي فنذرهم إمهالا لهم واستدراجا وإذا مس
الإنسان الضر دعانا لإزالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه أو قاعدا أو قائما وفائدة الترديد
تعليم الدعاء في جميع الأحوال أو لأصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره
أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع إليه كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال
ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان إلى ضر مسه كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين
ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والإعراض عن العبادات ولقد أهلكنا القرون من قبلكم يا أهل مكة
لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج
الدالة على صدقهم وهو حال من الواو بإضمار قد أو عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام
لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد
النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة
في إمهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال
جرمهم وأنهم أعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكنا
استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف
معمول تعملون فإن معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على أن المعتبر في
الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى وإذا تتلى عليهم
آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرأه ليس فيه ما نستبعد
من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معايب آلهتنا أو بدله بأن تجعل
مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم إليه فيلزموه قل ما
يكون لي ما يصح لي أن أبدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وإنما اكتفى
بالجواب عن التبديل لاستلزام الإتيان بقرآن آخر إن أتبع إلا ما يوحى إلي تعليل لما يكون فإن
المتبع لغيره في أمر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض
ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من أن القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في
الجواب وسماه عصيانا فقال إني أخاف إن عصيت ربي أي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه إيماء
بأنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ولا
أعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام التأكيد أي لو شاء الله ما تلوته عليكم

ولا أعلمكم

ولا أعلمكم به على لسان غيري والمعنى أن الحق الذي لا محيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيري وقرئ ولا أدرأكم
ولا أدرأتكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة أو على أنه من الدرء بمعنى الدفع أي
ولا أجعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى أن الأمر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى أجعله
على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر أربعين سنة من قبله من قبل القرآن
لا أتلوه ولا أعلمه فإنه إشارة إلى أن القرآن معجز خارق للعادة فإن من عاش بين أظهرهم أربعين سنة
لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته
فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الفروع والأصول وأعرب عن
أقاصيص الأولين وأحاديث الآخرين على ما هي عليه علم أنه معلم به من الله أفلا تعقلون أي أفلا تستعملون
عقولكم بالتفكر والتدبر لتعلموا أنه ليس إلا من الله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما أضافوه
إليه كناية أو تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم إنه لذو شريك وذو ولد أو كذب بآياته فكفر
بها إنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لأنه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود
ينبغي أن يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع أو دفع ضر ويقولون هؤلاء الأوثان
شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا أو في الآخرة إن يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين
فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع إلى عبادة ما يعلم قطعا
أنه لا يضر ولا ينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده قل أتنبئون الله أتخبرونه بما لا يعلم وهو
أن له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم أو بأن هؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات
لا يكون له تحقق ما في السماوات ولا في الأرض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على أن
ما تعبدون من دون الله إما سماوي وإما أرضي ولا شيء من الموجودات فيهما إلا وهو حادث
مقهور مثلهم لا يليق أن يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن إشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونهم
به وما كان الناس إلا أمة واحدة موحدين على الفطرة أو متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام
إلى أن قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان أو على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى
والأباطيل أو ببعثة الرسل فتبعهم طائفة وأصرت أخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم
بينهم أو العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه
يختلفون بإهلاك المبطل وإبقاء المحق ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه أي من الآيات التي اقترحوها
فقل إنما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في إنزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف عن إنزالها
فانتظروا لنزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما أنزل علي من الآيات
العظام واقتراحكم غيره وإذا أذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض إذا لهم مكر
في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون
ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله أسرع مكرا منكم قد دبر
عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم وإنما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا
لإذا الشرطية والمكر إخفاء الكيد وهو من الله إما الاستدراج أو الجزاء على المكر إن رسلنا يكتبون ما تمكرون

مفيد للاستقصاء وتنبيه على ان ما تدبروا في ابطال امره لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وقرئ يعقوب يمكرون
بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرأ ابن عامر ينشركم من النشر
في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه تذكر
لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير
للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان
اي الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا
الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا
بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول
دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤوا الفساد وسارعوا
الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفار واحراق زروعهم
وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم
وابناء جنسكم متاع الحياة الدنيا منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر
بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف وتقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم
ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحياة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب
فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل
دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر بغيكم ثم الينا مرجعكم في القيامة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه
انما مثل الحياة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها
كماء انزلناه من السماء فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا نبات الارض مما ياكل الناس والانعام
من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت باصناف النبات واشكالها والوانها
المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على
الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه
ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها
اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو
مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه حطاما بعد
ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه
حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو
الى دار السلام دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار
يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم
هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة
دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى

المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتها
والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة
والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم
ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين
احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدا والخبر جزاء سيئة
على تقدير جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان تجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه
تنبيه على ان الزيادة هي الفضل والتضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب وما بينهما اعتراض
فجزاء سيئة مبتدا خبره محذوف اي فجزاء سيئة واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها
وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله
ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال
من الليل والعامل فيه اغشيت لان العامل في قطعا هو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف
عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى
هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان
الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل
القبلة فلا يتناولهم مقابله ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا
مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب
على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون
مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك
لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل
المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال
ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل
نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة
اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب
كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها
بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما
اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق
ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد
وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها الهة قل من
يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد
منهما توسعة عليكم ومن لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار

أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شيء ومن يخرج
الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الأمر
ومن يلي تدبير أمر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله إذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في
ذلك لفرط وضوحه فقل أفلا تتقون أنفسكم عقابه بإشراككم إياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم
الله ربكم الحق أي المتولي لهذه الأمور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لأنه الذي أنشأكم
وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم فماذا بعد الحق إلا الضلال أي من تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال
استفهام إنكار أي ليس بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون عن الحق إلى الضلال كذلك حقت كلمت ربك أي كما حقت
الربوبية لله أو أن الحق بعده الضلال أو أنهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن
عامر كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح ج
أنهم لا يؤمنون بدل من الكلمة أو تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق
ثم يعيده جعل الإعادة كالإبداء في الإلزام بها لظهور برهانها وإن لم يساعدوا عليها ولذلك أمر
الرسول بأن ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لأن لجاجهم لا يدعهم أن يعترفوا به
فأنى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق بنصب الحجج وإرسال الرسل
والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بإلى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على
أن المنتهي غاية الهداية وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما أسند إلى الله
قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى أم الذي لا يهتدي إلا أن يهدى من قولهم
هدى بنفسه أي اهتدى أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله وهذا حال أشراف شركائهم كالملائكة والمسيح
وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص
بالكسر والتشديد والأصل يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقرأ
أبو بكر يهدي بإتباع الياء الهاء وقرأ أبو عمرو بالإدغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لأن
المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ إلا أن يهدي للمبالغة فما لكم
كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع أكثرهم فيما يعتقدون إلا ظنا مستندا إلى خيالات
فارغة وأقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة والمراد
بالأكثر الجميع أو من ينتمي منهم إلى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف إن الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد
الحق شيئا من الإغناء ويجوز أن يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على أن تحصيل العلم في الأصول
واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز إن الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن وإعراضهم
عن البرهان وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من
الكتب الإلهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على
صحتها ونصبه بأنه خبر لكان مقدرا أو علة لفعل محذوف تقديره لكن أنزله الله تصديق الذي وقرئ
بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا
عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز أن يكون حالا من الكتاب فإنه مفعول في

كلام

[illegible]

المعنى وأن يكون استئنافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين أو متعلق بتصديق أو
بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض أو بالفعل المعلل بهما ويجوز أن يكون حالا من الكتاب أو الضمير في فيه ومساق
الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه أم يقولون بل أيقولون افتراه محمد ومعنى
الهمزة فيه للإنكار قل فأتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فإنكم مثلي
في العربية والفصاحة وأشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن أمكنكم
أن تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فإنه وحده قادر على ذلك إن كنتم صادقين أنه اختلقه
بل كذبوا بل سارعوا إلى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته
ويحيطوا بالعلم بشأنه أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم
ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ أذهانهم معانيه أو ولما يأتهم بعد تأويل ما فيه
من الإخبار بالغيوب حتى يتبين لهم أنه صدق أم كذب والمعنى أن القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى
ثم إنهم فاجؤوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما أنه قد ظهر
لهم بالآخرة إعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها أو لما شاهدوا
وقوع ما أخبر به طبقا لأخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم
أنبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به
من يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند أو من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به
في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك أعلم بالمفسدين بالمعاندين
أو بالمصرين وإن كذبوك وإن أصروا على تكذيبك بعد إلزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم
فقد أعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان أو باطلا أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما
تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم ولما فيه من إيهام الإعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل
إنه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالأصم حم
الذي لا يسمع أصلا أفأنت تسمع الصم تقدر على إسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم إلى صممهم عدم
تعقلهم وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم
وهو لا يتأتى إلا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم
ومشايعة الإلف والتقليد تعذر إفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ
عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر إليك يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا
يصدقون أفأنت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وإن انضم إلى عدم البصر عدم
البصيرة فإن المقصود من الإبصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك
يحدس الأعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الأحمق والآية كالتعليل للأمر بالتبري والإعراض عراض
عنهم إن الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس أنفسهم يظلمون بإفسادها
وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على أن للعبد كسبا وأنه ليس مسلوب الاختيار بالكلية
كما زعمت المجبرة ويجوز أن يكون وعيدا لهم بمعنى أن ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله

لا يظلمهم ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف أسبابه ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يستقصرون مدة
لبثهم في الدنيا أو القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موضع الحال أي يحشرهم مشبهين بمن لم
يلبث إلا ساعة أو صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله أو لمصدر محذوف أي حشراً كأن
لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضاً كأن لم يتعارفوا إلا قليلاً وهذا أول ما نشروا ثم ينقطع
التعارف لشدة الأمر عليهم وهو حال أخرى مقدرة أو بيان لقوله كأن لم يلبثوا أو متعلق الظرف والتقدير
يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز أن يكون حالاً من
الضمير في يتعارفون على إرادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في
تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات أدت بهم إلى الردى والعذاب الدائم وإما نرينك نبصرنك
بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر أو نتوفينك قبل أن نريك فإلينا مرجعهم
فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز
عليه ذكر الشهادة وأراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم أو مؤد شهادته
على أفعالهم يوم القيمة ولكل أمة من الأمم الماضية رسول يبعث إليهم ليدعوهم إلى الحق فإذا جاء هم
رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فأنجي الرسول وأهلك المكذبون
وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل أمة يوم القيمة رسول تنسب إليه فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد
عليهم بالكفر والإيمان قضي بينهم بإنجاء المؤمنين وعقاب الكافرين لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي
بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعاداً له واستهزاء به إن كنتم صادقين خطاب منهم للنبي
والمؤمنين قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً فكيف أملك لكم فأستعجل في جلب العذاب إليكم إلا ما شاء الله أن
أملكه أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل أمة أجل مضروب لهلاكهم إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل أرأيتم إن أتاكم
عذابه الذي تستعجلون به بياتاً وقت بيات واشتغال بالنوم أو نهاراً حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم
ماذا يستعجل منه المجرمون أي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه ولا يلائم الاستعجال وهو
متعلق بأرأيتم لأنه بمعنى أخبروني فالمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن
يفزعوا من مجيء الوعيد لا أن يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا
خطأه ويجوز أن يكون الجواب ماذا كقولك إن أتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم
أو بقوله أثم إذا ما وقع آمنتم به بمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان
وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لإنكار التأخير آلآن على إرادة
القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة وإلقاء
حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيباً واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر
ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك
ويستخبرونك أحق هو أحق ما تقول من الوعد أو ادعاء النبوة تقوله بجد أم باطل تهزل به
قاله حيي بن أخطب لما قدم مكة والأظهر أن الاستفهام فيه على أصله لقوله ويستنبئونك وقيل

إنه للإنكار ويؤيده أنه قرئ أالحق هو فإنه فيه تعريض بأنه باطل وأحق مبتدأ والضمير مرتفع به سد مسد
الخبر أو خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل إي وربي إنه لحق إن العذاب لكائن أو ما
ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن وإي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه
في التصديق فيقال إي والله ولا يقال إي وحده وما أنتم بمعجزين فائتين من العذاب ولو أن لكل نفس
ظلمت بالشرك أو التعدي على الغير ما في الأرض من خزائنها وأموالها لافتدت به لجعلته فدية لها
من العذاب من قولهم فداه إذا أعطى فداءه وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه
من فظاعة الأمر وهوله فلم يقدروا أن ينطقوا أو قيل أسروا الندامة أخلصوها لأن إخفاءها إخلاصها
أو لأنه يقال سر الشيء لخالصه من حيث إنها تخفي ويضن بها وقيل أظهروها من قولهم أسر الشيء
وأشره إذا أظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريراً لأن الأول قضاء بين الأنبياء ومكذبيهم
والثاني مجازاة المشركين على الشرك أو الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير إنما يتناولهم
لدلالة الظلم عليهم ألا إن لله ما في السموات والأرض تقرير لقدرته تعالى على الإثابة والعقاب ألا إن وعد الله
حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن أكثرهم لا يعلمون لأنهم لا يعقلون لقصور عقلهم
إلا ظاهراً من الحياة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لأن القادر لذاته
لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما أبداً وإليه ترجعون بالموت أو النشور
يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية
الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي
هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى إلى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث
أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران
بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بإنزال القرآن والباء متعلقة
بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فإن اسم الإشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا
أو فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الإجمال وإيجاب اختصاص
الفضل والرحمة بالفرح أو بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك إشارة إلى مصدره أي فبمجيئها فليفرحوا
والفاء الأولى لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا أو للربط بما قبلها والدلالة على أن
مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي
وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الأصل المرفوض وقد روي مرفوعاً عن أبي وقرئ فافرحوا
هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فإنها إلى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى
فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق جعل
الرزق منزلاً لأنه مقدر في السماء محصل بأسباب منها وما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم
فإنه بمعنى أخبروني ولكم دل على أن المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه
حراماً وحلالاً مثل هذه أنعام وحرث حجر وما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا
قل آلله أذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه أم على الله تفترون في نسبة ذلك إليه ويجوز أن

كل المنفصل متصلة بأرأيتم وقل مكرر للتأكيد ويجوز أن يكون الاستفهام للإنكار وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله **وما ظن الذين يفترون على الله الكذب** أي شيء ظنهم **يوم القيامة** أيحسبون أن لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه أنه قرئ بلفظ الماضي لأنه كائن وفي إبهام الوعيد تهديد عظيم **إن الله لذو فضل على الناس** حيث أنعم عليهم بالعقل وهداهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب **ولكن أكثرهم لا يشكرون** هذه النعمة **وما تكون في شأن** ولا تكون في أمر وأصله الهمز من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في **وما تتلوا منه** له لأن تلاوة القرآن معظم شأن الرسول أو لأن القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من أجله ومفعول تتلو **من قرآن** على أن من تبعيضية أو مزيدة لتأكيد النفي أو للقرآن وإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله **ولا تعملون من عمل** تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير **إلا كنا عليكم شهودا** رقباء مطلعين عليه **إذ تفيضون فيه** تخوضون فيه وتندفعون **وما يعزب عن ربك** ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي هنا وفي سبأ **من مثقال ذرة** موازن نملة صغيرة أو هباء **في الأرض ولا في السماء** أي في الوجود والإمكان فإن العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الأرض لأن الكلام في حال أهلها والمقصود منه البرهان على إحاطة علمه بها **ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين** كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية وأصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أو على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ **ألا إن أولياء الله** الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة **لا خوف عليهم** من لحوق مكروه **ولا هم يحزنون** بفوات مأمول والآية مجملة فسرها قوله **الذين آمنوا وكانوا يتقون** وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم إياه **لهم البشرى في الحياة الدنيا** وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع **وفي الآخرة** بتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه إياهم ومحل الذين النصب أو الرفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء وخبره لهم البشرى **لا تبديل لكلمات الله** لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده **ذلك** إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين **هو الفوز العظيم** هو والجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله **ولا يحزنك قولهم** إشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من أحزنه وكلاهما بمعنى **إن العزة لله جميعا** استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لأن الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم **هو السميع** لأقوالهم **العليم** بعزماتهم فيكافئهم عليها **ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض** من الملائكة والثقلين وإذا كان هؤلاء الذين هم أشرف الممكنات عبيدا لا يصلح أحد منهم للربوبية فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا أو شريكا فهو كالدليل على قوله **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء** أي شركاء على الحقيقة وإن كانوا يسمونها شركاء ويجوز أن يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه **إن يتبعون إلا الظن** أي ما يتبعون يقينا وإنما يتبعون ظنهم أنها شركاء ويجوز أن يكون ما استفهامية منصوبة وموصولة

معطوفة على من ويدعون بالتاء والمخاطبة أي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين أي إنهم لا يتبعون إلا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه لقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة فيكون إلزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم **وإن هم إلا يخرصون** يكذبون فيما ينسبون إلى الله ويحزرون ويقدرون أنها شركاء تقديرا باطلا **هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا** تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وإنما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب **إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون** سماع تدبر واعتبار **قالوا اتخذ الله ولدا** أي تبناه **سبحانه** تنزيه له عن التبني فإنه لا يصح إلا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء **هو الغني** علة لتنزيهه فإن اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة **له ما في السماوات وما في الأرض** تقرير لغناه **إن عندكم من سلطان بهذا** نفي لمعارض ما أقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له أو بعندكم كأنه قيل إن عندكم في هذا من سلطان **أتقولون على الله ما لا تعلمون** توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وأن العقائد لا بد لها من قاطع وأن التقليد فيها غير سائغ **قل إن الذين يفترون على الله الكذب** باتخاذ الولد وإضافة الشريك إليه **لا يفلحون** لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة **متاع في الدنيا** خبر مبتدأ محذوف أي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر أو حياتهم أو تقلبهم متاع أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم تمتع في الدنيا **ثم إلينا مرجعهم** بالموت فيلقون الشقاء المؤبد **ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون** بسبب كفرهم **واتل عليهم نبأ نوح** خبره مع قومه **إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم** عظم عليكم وشق **مقامي** نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان أو كوني ومقامي بينكم مدة مديدة أو قيامي على الدعوة **وتذكيري** إياكم **بآيات الله فعلى الله توكلت** وثقت به **فأجمعوا أمركم** فاعزموا عليه **وشركاءكم** أي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير أن يؤكد للفصل وقيل إنه معطوف على أمركم بحذف المضاف أي وأمر شركائكم وقيل إنه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى أمرهم بالعزم والاجتماع على قصده والسعي في إهلاكه على أي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم **ثم لا يكن أمركم عليكم غمة** مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه إذا ستره أو ثم لا يكن حالكم عليكم غما إذا أهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري **ثم اقضوا إلي** أدوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي وقرئ ثم أفضوا بالفاء أي انتهوا إلي بشركم أو ابرزوا إلي من أفضى إذا خرج إلى الفضاء **ولا تنظرون** ولا تمهلوني **فإن توليتم** أعرضتم عن تذكيري **فما سألتكم من أجر** يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم إياي لأجله أو يفوتني لتوليكم **إن أجري** ما ثوابي على الدعوة والتذكير **إلا على الله** لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم أو توليتم **وأمرت أن أكون من المسلمين** المنقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره **فكذبوه** فأصروا على تكذيبه بعدما ألزمهم الحجة وبين أن توليهم ليس إلا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب **فنجيناه** من الغرق **ومن معه في الفلك** وكانوا ثمانين **وجعلناهم خلائف** من الهالكين به

وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية
له ثم بعثنا أرسلنا من بعده من بعد نوح رسلا إلى قومهم كل رسول إلى قومه فجاؤوهم بالبينات بالمعجزات الواضحة
المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله
إياهم بما كذبوا به من قبل بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على
قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي أمثال ذلك دليل على أن الأفعال واقعة
بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهارون إلى فرعون
وملئه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الإجرام فلذلك
تهاونوا برسالة ربهم واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة
المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم إن هذا لسحر مبين ظاهر أنه سحر أو فائق في فنه واضح فيما بين
إخوانه قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر فحذف محكي القول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز أن
يكون أسحر هذا لأنهم بتوا القول بل هو استئناف بإنكار ما قالوه اللهم إلا أن يكون الاستفهام
فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز أن يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف
القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى
للدلالة على أنه ليس بسحر فإنه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولأن العالم بأنه لا يفلح
لا يسحر أو من تمام قولهم إن جعل أسحر هذا محكيا كأنهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح
ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل أخوان عما وجدنا عليه آباءنا
من عبادة الأصنام وتكون لكما الكبرياء في الأرض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبرياء أو التكبر
على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ
حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال
موسى ما جئتم به السحر أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ أبو عمرو
آلسحر على أن ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منها أو خبر
مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر أو مبتدأ خبره محذوف أي السحر هو ويجوز أن ينتصب بفعل يفسره
ما بعده تقديره أي شيء أتيتم إن الله سيبطله سيمحقه أو سيظهر بطلانه إن الله لا يصلح عمل المفسدين
لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته
بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ أمره
إلا ذرية إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون إلا
طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به أو مؤمن آل فرعون
وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملئهم أي مع خوف منهم والضمير
لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء أو على أن المراد بفرعون آله كما يقال
ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم أن يفتنهم أن يعذبهم فرعون وهو بدل منه أو مفعول خوف
وإفراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه وإن فرعون لعال في الأرض لغالب فيها وإنه لمن المسرفين

في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين
يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه إن كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين
له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل فإنه المقتضي له والمشروط بالإسلام
حصوله فإنه لا يوجد مع التخليط ونظيره إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت فقالوا على الله توكلنا لأنهم
كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين أي لا تسلطهم
علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على
الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي أن يتوكل أولا لتجاب دعوته وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ اتخذا
مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها أو يرجعون إليها للعبادة واجعلوا أنتما وقومكما بيوتكم
تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي إليها
وأقيموا الصلاة فيها أمروا بذلك أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم
وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وإنما ثنى الضمير أولا لأن التبوؤ
للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد
والصلاة فيها مما ينبغي أن يفعله كل أحد ثم وحد لأن البشارة في الأصل وظيفة صاحب الشريعة
وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما وأموالا في الحياة الدنيا
وأنواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون
غيره كقولك لعن الله إبليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل أن تكون للعلة
لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولأنهم لما جعلوها سببا للضلال
فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للأول تأكيدا وتنبيها على أن المقصود من عرض
الآيات ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على أموالهم أهلكها والطمس المحو وقرئ اطمُس
بالضم واشدد على قلوبهم أي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم
جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد أجيبت
دعوتكما يعني موسى وهارون لأنه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام
الحجة ولا تستعجلا فإن ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وقرأ
ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان أيضا
وجاوزنا ببني إسرائيل البحر أي جوزناهم في البحر حتى جاوزوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا
وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فأتبعهم فأدركهم يقال تبعته حتى أتبعته
فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين أو للبغي والعدو وقرئ وعُدُوّا حتى إذا أدركه الغرق لحقه
قال آمنت أنه أي بأنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي إنه بكسر الهمزة
على إضمار القول أو الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الإيمان أوان القبول وبالغ
فيه حين لا يقبل آلآن أتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل ذلك

مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الإيمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك
طافيا أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من أنجى وقرئ ننحيك بالحاء أي نلقيك
بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال أي ببدنك عاريا عن الروح أو كاملا سويا أو عريانا من غير لباس أو بدرعك
وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بأبدانك أي بأجزاء البدن كلها كقولهم هوى بأجرامه أو بدروعك
كأنه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته ما
خيل إليهم أنه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل
أو لمن يأتي بعدك من القرون إذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان أو حجة تدلهم
على أن الإنسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ
لمن خلقك أي لخالقك آية كسائر الآيات فإن إفراده إياك بالإلقاء إلى الساحل دليل على أنه تعمد منه
لكشف تزويرك وإماطة الشبهة في أمرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وإرادته وهذا الوجه أيضا محتمل
على المشهور وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ
صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا
في أمر دينهم إلا من بعد ما قرؤوا التوراة وعلموا أحكامها أو في أمر محمد عليه السلام إلا من بعد ما علموا صدقه
بنعوته وتظاهر معجزاته إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالإنجاء والإهلاك
فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك فإنه محقق عندهم
ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا إليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وأن القرآن
مصدق لما فيها أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إليك أو تهييج الرسول وزيادة تثبيته
لا إمكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام لا أشك ولا أسأل وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد
به أمته أو لكل من يسمع أي إن كنت أيها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا إليك وفيه تنبيه على أن من
خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا
أنه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين أيضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الأطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا
للكافرين إن الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون إذ
لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فإن السبب الأصلي لإيمانهم وهو تعلق إرادة الله به
مفقود حتى يروا العذاب الأليم وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية
من القرى التي أهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر إليها كما أخر فرعون فنفعها إيمانها
بأن يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها إلا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا أول ما رأوا أمارة
العذاب ولم يؤخروه إلى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ويجوز أن تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف
التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لأن المراد من القرى التي أهلكناها أهاليها كأنه قال
ما آمن أهل قرية من القرى العاصية فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم
إلى حين إلى آجالهم روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من الموصل فكذبوه وأصروا عليه فوعدهم

بالعذاب إلى ثلاث وقيل إلى أربعين فلما دنا الموعد أغامت السماء غيما أسود ذا دخان شديد فهبط
حتى غشي مدينتهم فهابوا ذلك وطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا
إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها
إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج وأخلصوا التوبة وأظهروا الإيمان وتضرعوا إلى الله فرحمهم
وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم بحيث لا يشذ منهم أحد جميعا
مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في أنه تعالى لم يشأ إيمانهم أجمعين وأن من
شاء إيمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة الإلجاء خلاف الظاهر أفأنت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم
حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء وإيلاؤها حرف الاستفهام للإنكار وتقديم الضمير
على الفعل للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالإكراه فضلا عن الحث والتحريض
عليه إذ روي أنه كان حريصا على إيمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس أن
تؤمن إلا بإذن الله إلا بإرادته وألطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فإنه إلى الله ويجعل الرجس
العذاب أو الخذلان فإنه سببه وقرئ بالزاي وقرأ أبو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون على
الذين لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات أو لا يعقلون دلائله وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع
ويؤيد الأول قوله قل انظروا أي تفكروا ماذا في السماوات والأرض من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال
قدرته وماذا إن جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في
علم الله وحكمه وما نافية أو استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم
ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعها قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين
لذلك أو فانتظروا هلاكي إني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل
عليه إلا مثل أيام الذين خلوا كأنه قيل نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية
كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين كذلك الإنجاء أو إنجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي ننج مخففا قل يا أيها الناس
خطاب لأهل مكة إن كنتم في شك من ديني وصحته فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم فهذا
خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الإنصاف لتعلموا
صحتها وهو أني لا أعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن أعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وإنما
خص التوفي بالذكر للتهديد وأمرت أن أكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من أن
يجوز أن يكون من المطرد مع أن وأن يكون من غيره كقوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به وأن أقم وجهك
للدين عطف على أن أكون غير أن صلة أن محكية بصيغة الأمر ولا فرق بينهما في الغرض لأن المقصود
وصلها بما يتضمن معنى المصدر لدلالته معه عليه وصيغ الأفعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب
والمعنى وأمرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح
أو في الصلاة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين أو الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه إن دعوته أو خذلته فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين جزاء للشرط

وجواب عن سؤال مقدر عن تبعة الدعاء وإن يمسسك الله بضر وإن يصبك به فلا كاشف له يرفعه إلا هو إلا الله وإن يردك
بخير فلا راد لفضله الذي أرادك به ولعله ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم
الأمرين للتنبيه على أن الخير مراد بالذات وأن الضر إنما مسهم لا بالقصد الأول ووضع الفضل موضع الضمير
للدلالة على أنه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لأنه مراد الله لا يمكن
رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية
قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله والقرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالإيمان والمتابعة فإنما يهتدي لنفسه
لأن نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فإنما يضل عليها لأن وبال الضلال عليها وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول إلي
أمركم وإنما أنا بشير ونذير واتبع ما يوحى إليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل أذاهم حتى يحكم الله
بالنصر أو بالأمر بالقتال وهو خير الحاكمين إذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس
وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدأ وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف أحكمت
آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه إخلال من جهة اللفظ والمعنى أو منعت من الفساد والنسخ فإن
المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ أو أحكمت بالحجج والدلائل أو جعلت حكيمة من حكم بالضم إذا
صار حكيما لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والأحكام
والمواعظ والأخبار أو بجعلها سورا أو بالإنزال نجما نجما أو فصل فيها ولخص ما يحتاج إليه وقرئ ثم فصلت
أي فرقت بين الحق والباطل وأحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم أو للتراخي
في الأخبار من لدن حكيم خبير صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لأحكمت وفصلت وهو تقرير لإحكامها
وتفصيلها على أكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر أمره وما خفي ألا تعبدوا إلا الله لأن لا تعبدوا إلا الله وقيل أن
مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ للإغراء على التوحيد أو الأمر بالتبري
عن عبادة الغير كأنه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه أو اتركوها تركا إنني لكم منه نذير وبشير بالعقاب
على الشرك والثواب على التوحيد وأن استغفروا ربكم عطف على ألا تعبدوا ثم توبوا إليه ثم توسلوا إلى مطلوبكم بالتوبة
فإن المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا إلى الله بالطاعة ويجوز أن يكون
ثم لتفاوت ما بين الأمرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في أمن ودعة إلى أجل مسمى هو آخر أعماركم المقدرة
أو لا يهلككم بعذاب الاستئصال والأرزاق والآجال وإن كانت متعلقة بالأعمال لكنها مسماة بالإضافة
إلى كل واحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعطي كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد
للموحد التائب بخير الدارين وإن تولوا وإن تتولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا
بالقحط حتى أكلوا الجيف وقرئ وإن تولوا من ولي إلى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو على كل شيء قدير فيقدر على
تعذيبهم أشد العذاب وكأنه تقرير لكبر اليوم ألا إنهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه أو يعطفونها
على الكفر وعداوة النبي أو يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالتاء والياء من اثنوني وهو بناء المبالغة ويثنون

وأصله يثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف أراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثني وتثنين
من اثنان كابياض من البياض ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل إنها نزلت في طائفة
من المشركين قالوا إذا أرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم
وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر إذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة ألا حين يستغشون ثيابهم ألا حين
يأوون إلى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بأفواههم يستوي في علمه سرهم
وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه إنه عليم بذات الصدور بالأسرار ذوات الصدور أو بالقلوب وأحوالها
وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله إياه تفضلا ورحمة وإنما أتى بلفظ الوجوب تحقيقا
لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها أماكنها في الحياة والممات والأصلاب والأرحام أو مساكنها
من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب وأحوالها
في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكأنه أريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها
بيان كونه قادرا على الممكنات بأسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والأرض
في ستة أيام أي خلقهما وما فيهما كما مر في الأعراف أو ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الأرض
لاختلاف العلويات بالأصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما ولم يكن حائل بينهما
لا أنه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على إمكان الخلاء وأن الماء أول حادث بعد العرش من أجرام
هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك ليبلوكم أيكم أحسن عملا متعلق بخلق أي خلق ذلك
كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لأحوالكم كيف تعملون فإن جملة ذلك أسباب ومواد لوجودكم
ومعاشكم وما تحتاج إليه أعمالكم ودلائل وأمارات تستدلون بها وتستنبطون منها وإنما جاز تعليق
فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث إنه طريق إليه كالنظر والاستماع وإنما ذكر صيغة التفضيل
والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على أحاسن المحاسن والتحضيض على
الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فإن المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي عليه السلام
أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله والمعنى أيكم أكمل علما وعملا ولئن قلت إنكم مبعوثون
من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين أي ما البعث أو القول به أو القرآن المتضمن لذكره إلا كالسحر
في الخديعة أو البطلان وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر على أن الإشارة إلى القائل وقرئ أنكم بالفتح
على تضمن قلت معنى ذكرت أو أن يكون أن بمعنى عل أي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
ولا تبتوا بإنكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في إنكاره ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة
معدودة إلى جماعة من الأوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع ألا يوم يأتيهم كيوم بدر
ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم
خبرها عليها وحاق بهم وأحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به
يستهزءون أي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لأن استعجالهم
كان استهزاء ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ولئن أعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها
منه إنه ليئوس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في الكفران لما سلف

مطلب كون العرش على الماء

لذهاب النعمة ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني أي
المصائب التي ساءتني إنه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها
وفي لفظ الإذاقة والمس تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة
وأنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء لأن الذوق إدراك الطعم والمس مبتدأ الوصول إلا الذين صبروا على
الضراء إيمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها أولئك لهم مغفرة
لذنوبهم وأجر كبير أقله الجنة والاستثناء من الإنسان لأن المراد به الجنس فإذا كان محلى باللام أفاد الاستغراق
ومن حمله على الكافر لسبق ذكره جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك تترك تبليغ بعض ما يوحى
إليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو
إليه وقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ها هنا
وضائق به صدرك وعارض لك أحيانا ضيق صدرك بأن تتلوه عليهم مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز ينفقه في
الاستتباع كالملوك أو جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره أن يقولوا إنما أنت نذير ليس
عليك إلا الإنذار بما يوحى إليك ولا عليك ردوا أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل
عليه فإنه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم أم يقولون افتراه أم منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا
بعشر سور مثله مفتريات في البيان وحسن النظم تحداهم أولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الأمر عليهم
وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد وادعوا من استطعتم من دون الله إلى المعاونة على المعارضة
إن كنتم صادقين أنه مفترى فإن لم يستجيبوا لكم بإتيان ما دعوتم إليه وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول أو لأن المؤمنين
أيضا كانوا يتحدونهم وكان أمر الرسول متناولا لهم من حيث إنه يجب اتباعه عليهم في كل أمر إلا ما خصه الدليل
وللتنبيه على أن التحدي مما يوجب رسوخ إيمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله
فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه سواه وأن لا إله إلا هو واعلموا أن لا إله إلا الله
لأنه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه
بإعجازه عليه وفيه تهديد وإقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل أنتم مسلمون ثابتون على الإسلام
راسخون مخلصون فيه إذا تحقق عندكم إعجازه مطلقا ويجوز أن يكون الكل خطابا للمشركين والضمير
في لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فإن لم يستجيبوا لكم إلى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من أنفسكم
القصور عن المعارضة فاعلموا أنه نظم لا يعلمه إلا الله وأنه منزل من عنده وأن ما دعاكم إليه من
التوحيد حق فهل أنتم داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب
بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها بإحسانه
وبره نوف إليهم أعمالهم فيها نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة
الأولاد وقرئ يوف بالياء أي يوف الله ونوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لأن
الشرط ماض كقوله وإن أتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون
شيئا من أجورهم والآية في أهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم أولئك الذين ليس لهم
في الآخرة إلا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لأنهم استوفوا ما تقتضي صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم

يعتذرون إليكم في التخلف إذا رجعتم إليهم من الغزو قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن نؤمن لكم لن نصدقكم
لأنه قد نبأنا الله من أخباركم أعلمنا بالوحي إلى نبيه بعض أخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى
الله عملكم ورسوله أتتوبون عن الكفر أم تثبتون عليه وكأنه استتابة وإمهال للتوبة ثم تردون
إلى عالم الغيب والشهادة أي إليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت
عن علمه شيء من ضمائرهم وأعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم
إليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فأعرضوا عنهم ولا توبخوهم إنهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فإن المقصود
منه التطهير بالحمل على الإنابة وهؤلاء أرجاس لا يقبلون التطهير فهو علة للإعراض وترك المعاتبة
ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكأنه قال إنهم أرجاس من أهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة
أو تعليل ثان والمعنى أن النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز أن يكون
مصدرا وأن يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فإن ترضوا
عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أي فإن رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا
كانوا في سخط الله وبصدد عقابه أو إن أمكنهم أن يلبسوا عليكم فلا يمكنهم أن يلبسوا على الله فلا يهتك
سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد
الأمر بالإعراض وعدم الالتفات نحوهم الأعراب أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر لتوحشهم
وقساوتهم وعدم مخالطتهم لأهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة وأجدر أن لا يعلموا وأحق بأن لا
يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل أحد من أهل الوبر
والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق يصرفه في سبيل الله
ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا إذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وإنما ينفق رياء
أو تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الأمر عليكم فيتخلص من الإنفاق عليهم
دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه أو الإخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة
في الأصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر أضيف
إليه للمبالغة كقولك رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الإنفاق عليم بما يضمرون ومن الأعراب من يؤمن
بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها أو ظرف ليتخذ
وصلوات الرسول وسبب صلواته لأنه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن
للمصدق أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم
صل على آل أبي أوفى لأنه منصبه فله أن يتفضل به على غيره ألا إنها قربة لهم شهادة من الله بصحة
معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وإن المحققة للنسبة والضمير
لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم بإحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله إن الله غفور رحيم
لتقريره قيل الأولى في أسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون
الأولون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو الذين أسلموا قبل الهجرة
والأنصار أهل بيعة العقبة الأولى وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم

أبو زرارة ومصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون **والذين اتبعوهم بإحسان** اللاحقون بالسابقين
من القبيلتين أو من اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة **رضي الله عنهم** بقبول طاعتهم **ورضوا عنه**
بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية **وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار** وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع
خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم **وممن حولكم** ممن حول بلدتكم يعني المدينة **من الأعراب منافقون** وهم جهينة
ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها **ومن أهل المدينة** عطف على ممن حولكم أو خبر لمحذوف صفته
مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه قوله: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
وعلى الأول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر أو كلام مبتدأ لبيان تمردهم وتمهرهم في
النفاق **لا تعلمهم** لا تعرفهم بأعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم إلى حد
خفي عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك **نحن نعلمهم** ونطلع على أسرارهم إن قدروا أن
يلبسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا **سنعذبهم مرتين** بالفضيحة والقتل أو بأحدهما وعذاب القبر
أو بأخذ الزكاة ونهك الأبدان **ثم يردون إلى عذاب عظيم** إلى عذاب النار **وآخرون اعترفوا بذنوبهم** ولم يعتذروا
من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد لما بلغهم
ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم
فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم
فنزلت فأطلقهم **خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا** خلطوا العمل الصالح الذي هو إظهار الندم والاعتراف
بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة أهل النفاق والواو إما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء
شاة ودرهما أو للدلالة على أن كل واحد منهما مخلوط بالآخر **عسى الله أن يتوب عليهم** أن يقبل توبتهم
وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم **إن الله غفور رحيم** يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه **خذ من أموالهم**
صدقة روي أنهم لما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما
أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت **تطهرهم** من الذنوب أو حب المال المؤدي بهم إلى مثله وقرئ
تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر **وتزكيهم بها** وتنمي بها حسناتهم وترفعهم إلى
منازل المخلصين **وصل عليهم** واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم **إن صلاتك سكن لهم** تسكن
إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد
والله سميع باعترافهم **عليم** بندامتهم **ألم يعلموا** الضمير إما للمتوب عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم
قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما **أن الله هو يقبل التوبة عن عباده**
إذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز **ويأخذ الصدقات** يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي
بدله **وأن الله هو التواب الرحيم** وأن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم **وقل اعملوا** ما شئتم **فسيرى الله
عملكم** فإنه لا يخفى عليه خيرا كان أو شرا **ورسوله والمؤمنون** فإنه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم
وستردون إلى عالم الغيب والشهادة بالموت **فينبئكم بما كنتم تعملون** بالمجازاة عليه **وآخرون** من المتخلفين **مرجون**
مؤخرون أي موقوف أمرهم من أرجأته إذا أخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون
بالواو وهما لغتان **لأمر الله** في شأنهم **إما يعذبهم** إن أصروا على النفاق **وإما يتوب عليهم** إن تابوا والترديد للعباد

فيه إلا إثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا تصور ذلك كقوله: جاد الحمى بسيط اليدين بوابل شكرت
نداه تلاعه ووهاده، ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه أنه فقير لقوله لقد
سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء **غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا** دعاء عليهم بالبخل والنكد
أو بالفقر والمسكنة أو بغل الأيدي حقيقة يغلون أسارى في الدنيا ومسحوبين إلى النار في الآخرة
فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الأصل كقولك سبني سب الله دابره **بل يداه مبسوطتان**
ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه وإثباتا لغاية الجود فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه
بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وعلى ما يعطى للإكرام **ينفق كيف يشاء**
تأكيد لذلك أي هو مختار في إنفاقه يوسع تارة ويضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب
سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولأنها مضاف إليها ولا من
اليدين إذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء فإنه قال ذلك لما كف الله
عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وأشرك فيه الآخرون لأنهم
رضوا بقوله **وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا** أي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما
يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للأصحاء **وألقينا بينهم العداوة والبغضاء
إلى يوم القيامة** فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم **كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله** كلما أرادوا
حرب الرسول صلى الله عليه وسلم وإثارة شر عليه ردهم الله بأن أوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم
أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فإنهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم أفسدوا
فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المؤمنين
والريبة أوقدوا وأوصفه نارا **ويسعون في الأرض فسادا** أي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد وإثارة
الحرب والفتن وهتك المحارم **والله لا يحب المفسدين** فلا يجازيهم إلا شرا **ولو أن أهل الكتاب آمنوا** بمحمد وبما جاء به
واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه **لكفرنا عنهم سيئاتهم** أي التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها **ولأدخلناهم
جنات النعيم** ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وأن الإسلام
يجب ما قبله وإن جل وأن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل** بإذاعة ما
فيهما من نعت الرسول والقيام بأحكامهما **وما أنزل إليهم من ربهم** يعني سائر الكتب الإلهية فإنها من حيث
إنهم مكلفون بالإيمان بها كالمنزل إليهم أو القرآن **لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** لوسع عليهم أرزاقهم بأن
يفيض عليهم بركات السماء والأرض أو بكثرة ثمرة الأشجار وغلة الزروع أو يرزقهم الجنان اليانعة
الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض بين بذلك أن ما كف عنهم بشؤم
كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو أنهم آمنوا وأقاموا ما أمروا به لوسع عليهم وجعل لهم
خير الدارين **منهم أمة مقتصدة** عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته **وكثير منهم ساء ما يعملون** أي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب
أي ما أسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط في العداوة **يا أيها الرسول بلغ
ما أنزل إليك من ربك** جميع ما أنزل إليك غير مراقب أحدا ولا خائف مكروها **وإن لم تفعل** أي وإن لم تبلغ جميعه

لأن كتمان بعضها يضيع ما أدى منها كترك بعض أركان الصلوة فإن غرض الدعوة ينتقض به أو فكأنك ما بلغت شيئا منها

جميع ما أمرتك (فما بلغت رسالته) فما أديت شيئا منها لقوله تعالى فكأنما قتل الناس جميعا من حيث أن كتمان البعض والكل
سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بالجمع وكسر التاء (والله يعصمك من الناس)
عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الأعادي وإزاحة لمعاذيره (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) لا يمكنهم
مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فأوحى الله إلي إن لم
تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس
وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما أنزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بإنزاله
إطلاعهم عليه فإن من أسرار الإلهية ما يحرم إفشاؤه (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) أي دين يعتد به ويصح أن
يسمى شيئا لأنه باطل (حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) ومن إقامتها الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والإذعان لحكمه فإن الكتب الإلهية آمرة بالإيمان بمن صدقه المعجز ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد
إقامة أصولها وما لم ينسخ من فروعها (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) فلا
تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه إليهم فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين
مندوحة لك عنهم (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع
على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن والتقدير إن الذين آمنوا والذين
هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فإني وقيار بها لغريب وقوله وإلا
فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على أنه لما كان الصابئون
مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الأديان كلها يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح كان غيرهم
أولى بذلك ويجوز أن يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر إن مقدر دل عليه
ما بعده كقوله نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على محل إن
واسمها فإنه مشروط بالفراغ من الخبر إذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر إن معا
فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولأنه يوجب كون الصابئين
هودا وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب
بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) في محل الرفع بالابتداء وخبره
(فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والجملة خبر إن أو خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف أي من آمن منهم
أو النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون
بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بإبدال الهمزة ألفا أو من صبوت لأنهم صبوا إلى
اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا (لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا) ليذكروهم
وليبينوا لهم أمر دينهم (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف
(فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف أي رسول منهم
وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وإنما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية
الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على أن ذلك ديدنهم ماضيا

ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآي (وحسبوا أن لا تكون فتنة) أي وحسب بنو إسرائيل أن لا يصيبهم بلاء
وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب أن لا يكون بالرفع على
أن أن هي المخففة من الثقيلة وأصله أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن وإنما جاز أن لا يكون
وإدخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيلا له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وأن أو أن بما في حيزها
ساد مسد مفعوليه (فعموا) عن الدين أو الدلائل والهدى (وصموا) عن استماع الحق كما فعلوا حين
عبدوا العجل (ثم تاب الله عليهم) أي ثم تابوا فتاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) كرة أخرى وقرئ بالضم فيهما
على أن الله عماهم وصمهم أي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية أعمى وأصم
(كثير منهم) بدل من الضمير أو فاعل والواو علامة الجمع كقولهم أكلوني البراغيث أو خبر مبتدأ محذوف
أي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لأن تقديم الخبر في مثله
ممتنع (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم وفق أعمالهم (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل
اعبدوا الله ربي وربكم) أي إني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم (إنه من يشرك بالله) في عبادته
أو فيما يختص به من الصفات والأفعال (فقد حرم الله عليه الجنة) يمنعه من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم
فإنها دار الموحدين (ومأواه النار) فإنها المعدة للمشركين (وما للظالمين من أنصار) أي وما لهم أحد ينصرهم
من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على أنهم ظلموا بالإشراك وعدلوا عن طريق الحق
وهو يحتمل أن يكون من تمام كلام عيسى وأن يكون من كلام الله تنبيها على أنهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى
وتقربا إليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) أي
أحد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالأقانيم الثلاثة وما سبق
قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد (وما من إله إلا إله واحد) وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة
من حيث أنه مبدأ جميع الموجودات إلا إله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن
مزيدة للاستغراق (وإن لم ينتهوا عما يقولون) ولم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) أي ليمسن الذين بقوا منهم
على الكفر أو ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم
وتنبيها على أن العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله (أفلا يتوبون إلى الله
ويستغفرونه) أي ألا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والأقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد
والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد (والله غفور رحيم) يغفر لهم ويمنحهم من فضله إن
تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من إصرارهم (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) أي ما هو إلا
رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فإن أحيا الموتى على يده فقد أحيا على يد موسى
العصا وجعلها حية تسعى وهو أعجب وإن خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم
وهو أغرب (وأمه صديقة) كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق أو يصدقن الأنبياء (كانا يأكلان
الطعام) ويفتقران إليه افتقار الحيوانات بين أولا أقصى ما لهما من الكمال ودل على أنه لا يوجب
لهما الألوهية لأن كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية
ويقتضي أن يكونا من أعداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع أمثال

ومستقبلا

بهذه الادلة الظاهرة ثم قال انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين
العجبين اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى
وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما
ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأسا
وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما
قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليها
ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له
الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل
يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا ممن تابعهم
في بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه
وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
على لسان داود وعيسى ابن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت
لعنهم الله ودعا عليهم داود فمسخهم الله قردة وخنازير واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم
عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع
المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم
بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيئوا له
او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم
مؤكدا بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم
والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم
وان كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا
منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لشدة
شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم
على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم وقلة حرصهم
على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن
قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على
العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع
عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم
تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم
من فرط البكاء كأنها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا

او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا
بذلك او بمحمد صلى الله عليه وسلم فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امته الذين هم
شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد
لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب
سؤال السائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل
لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به
حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع
والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول
فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا
الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين
فامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين
وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما
طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض
الشهوات عقبه بالنهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية
ناهية عن تحريم ما احل داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف
القيمة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا
على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء
والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا
وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء
فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم
الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية
متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة
لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي
انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى
والله واليه ذهب الشافعي رضي الله عنه وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة
وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم
الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم

يحول العقد به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو
من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز
التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ورأى غيرها
خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع
او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند ابي حنيفة ومحله النصب لانه صفة مفعول
محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام
واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع اهل
كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل
بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة
في قدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم
الاوسط والكاف في محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي
رحمه الله فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير
المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلاثة ايام فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة
فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشاذ ليس بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم ترد سنة
ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل
امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل ذلك البيان
يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمه الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل
لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اول
السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف
محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب عن تسويله وتزيينه فاجتنبوه
الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم
الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما
من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما
وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية
للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وانما خصهما باعادة
الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على
انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر
بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه
وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف
وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت
واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين

ا ي

اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اي اذا اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة
ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا او ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا
الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا
الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرار باعتبار الاوقات الثلاثة
او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه
وبين الله عز وجل ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قاله عليه السلام في تفسيره
او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات
توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة
وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا
ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت في عام الحديبية ابتلاهم
الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم
وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس
والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه
وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره
او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جأشه
في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
اي محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم واراد بالصيد
ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحدأة والغراب
والعقرب والفأرة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل
مؤذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني ام لا
فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه
قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان
بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش
وطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب
بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان
متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفة وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى
المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وهذا المماثل
باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي رحمهما الله والقيمة عند ابي حنيفة
رحمه الله وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت قيمته قيمة هدي يخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته
وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام

او مساكين يوما وان لم يبلغ يخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون
حالا من عليه في جزاء او منه اذا اضفته او وصفته او رفعته بخبر مقدر وانما يحتاج الى
نظر واجتهاد لان المماثلة في الخلقة والهيئة اذ يتفاوت الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على
ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة او بدل من مثل
باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة
ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة رحمه الله يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة
عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف
اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي
رحمه الله انه يكفر بالطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا
او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق
للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز
للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصيام ليذوق ثقل فعله
وسوء عاقبته لهتكه حرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبال الثقل ومنه
الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد
الى مثل هذا فينتقم الله منه في الآخرة وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح
والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال
كله لقوله عليه السلام هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل
السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله
متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر
اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على
حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ
بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه
البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في
امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج
والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع
اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد
بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى
الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام
لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء
عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك
محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليها ولمن اقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر

اي الرسول صلى الله عليه وسلم أتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من
تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الرديء من الاشخاص
والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة
والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال
فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان
تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين
يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى
لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر
لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع
كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيّئ
او شيء كصديق وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة
اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل
عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت
لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استيناف اي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها
والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس ان النبي عليه السلام كان يخطب ذات
يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال
في النار وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها الضمير للمسألة التي دل عليها
تسألوا ولذلك لم يعد بعن او للاشياء بحذف الجار قوم من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان
ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم
يأتمروا بما سألوا او جحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو
انهم كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب
ولا تحلب وكان الرجل يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت
الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها
الذكر واذا انتج من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره
ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك يعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الآمر
ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة والتقليد
الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد
وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال
اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم
انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوها

والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلاة والسلام
من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية
نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت
آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب
او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ
لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد
للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم
والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب
والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف الشهادة حين الوصية بدل
منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز
ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنين
او آخران من غيركم عطف على اثنين ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم
لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما
وتصبرونهما للتحليف صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض
فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استئناف كأنه قيل
كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلاة صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم
ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلاة فيقسمان بالله ان ارتبتم اي ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا
مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله
عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا لاجل الطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا
محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم
ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن
انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها
فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما
من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو
الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران
او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم
الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اي من الذين استحق عليهم الاولين على التثنية وانتصابه على
المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى
بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين
انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي

نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم
ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة
ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض
يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق
الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة
وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل
فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى
اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب
اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها
الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم
وجد الاناء في ايديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولم يكن لنا عليه بينة فكرهنا
ان نقر به فرفعوهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة
السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد فيهما لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او
تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة او يخافوا ان ترد ايمان
بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما
جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين
اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة
او الى طريق الجنة يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول
واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل
ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا
السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا
بما لست تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه
التشكي عليهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا
بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت
اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء اذ قال الله يا عيسى
ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ
الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم
سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي
او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس
حياة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد والمعنى تكلمهم
في الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولة بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل

على انه سبيل فانه رفع قبل ان يكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا
باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ فتكون طائرا ويحتمل
الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين
كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر والاشارة الى
عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية
وان تكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون منصوب باذكر او ظرف لقالوا
فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد تحقيق واستحكام
معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى
هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع
ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام
من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة
قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعائكم
الايمان قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا
بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة
او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين
للخبر قال عيسى ابن مريم لما رأى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك او انهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم
الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد
السرور العائد ولذلك يسمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل
من لنا باعادة العامل اي عيدا للمتقدمين منا والمتأخرين روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه
النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة وآية عطف
على عيدا منك صفة لها اي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها
وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها عليكم اجابة لسؤالكم
فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر
او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين
مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين
غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني
من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى
ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل
دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة
ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس
قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله

بقدرته كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية
اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء
والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني
مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء
والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثون رجلا وقيل لما
وعدهم الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد انه هذا مثل ضربه
الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء
الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا
للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تمكنوا من الاطلاع عليها
فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل الحاحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه
خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر
له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة
وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه
على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده
او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى
عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اي انزهك تنزيها
من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله
ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك
وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار
منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه
وكنت عليهم شهيدا عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا
ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني
به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان تكون مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا يقول
اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكانه قيل ما امرتهم
الا ما امرتني به ان اعبدوا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه
او مشاهدا لاحوالهم من الكفر والايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك
الي والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم
تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد
الى الدلائل والتنبيه بارسال الرسل وانزال الآيات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له
ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعله

بملكه وفيه تنبيه على أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وقد عبدوا غيرك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح
فإنك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا تثيب ولا تعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن المعذب والمغفور سيحتج
الكل مجرم فإن عذبت فبعدل وإن غفرت فبفضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته
ليمنع الترديد والتعليق بإن قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على أنه ظرف لقال
وخبر هذا محذوف أو ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل
إنه خبر ولكن بني على الفتح لإضافته إلى الفعل وليس بصحيح لأن المضاف إليه معرب والمراد بالصدق
الصدق في الدنيا فإن النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى
وفساد دعواهم في المسيح وأمه وإنما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غير
أولي العقل إعلاما بأنهم في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية وإهانة لهم وتنبيها
على المجانسة المنافية للألوهية ولأن ما يطلق متناولا للأجناس كلها فهو أولى بإرادة العموم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات
ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الأنعام مكية غير ست آيات أو ثلاث من قوله قل تعالوا أتل وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض أخبر بأنه تعالى حقيق بالحمد ونبه على أنه المستحق له
على هذه النعم الجسام حمد أو لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الأرض وهي مثلهن
لأن طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها
وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور أنشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد أن
الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن إحداث النور والظلمة بالجعل تنبيها
على أنهما لا يقومان بأنفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة أسبابها والأجرام الحاملة لها
أو لأن المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم
الإعدام على الملكات ومن زعم أن الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم أن عدم
الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله
والمعنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على أنه خلق هذه الأشياء أسبابا لتكوينهم وتعيشهم
فمن حقه أن يحمد عليها ولا يكفر أو على قوله خلق على معنى أنه خلق ما لا يقدر عليه سواه ثم هم يعدلون
به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الأول متعلقة
بكفروا وصلة يعدلون محذوفة أي يعدلون عنه ليقع الإنكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة
بيعدلون والمعنى أن الكفار يعدلون بربهم الأوثان أي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين أي ابتدأ
خلقكم منه فإنه المادة الأولى وأن آدم عليه السلام الذي هو أصل البشر خلق منه أو خلق

بالنبوة فضل الله ومنّه عليهم وفيه دليل على أن النبوة عطائية وأن ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئته تعالى
وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله أي ليس إلينا الإتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي
بما اقترحتموه وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل
عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الأمر للإشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا
ألا ترى قوله وما لنا ألا نتوكل على الله أي أي عذر لنا في أن لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم
أن الأمور كلها بيده وقرأ أبو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم
محذوف أكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون
على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن إيمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن
في ملتنا حلفوا على أن يكون أحد الأمرين إما إخراجهم للرسل أو عودهم إلى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لأنهم لم
يكونوا على ملتهم قط ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى إليهم
ربهم أي إلى الرسل لنهلكن الظالمين على إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجراه لأنه نوع منه ولنسكننكم
الأرض من بعدهم أي أرضهم وديارهم كقوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها
وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولك أقسم زيد ليخرجن ذلك إشارة إلى الموحى به وهو إهلاك
الظالمين وإسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة أو قيامي
عليه وحفظي لأعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد أي وعيدي بالعذاب أو عذابي الموعود للكفار واستفتحوا
سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم وبين أعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للأنبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فإن كلهم سألوا أن ينصر
المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الأمر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد أي ففتح لهم فأفلح المؤمنون
وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة إذا كان الاستفتاح من الكفرة أو القبيلين
كان أوقع من ورائه جهنم أي من بين يديه فإنه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة
وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم
يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود أهل النار يتجرعه
يتكلف جرعه وهو صفة لماء أو حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب أن يسيغه فكيف يسيغه
بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل
مكان أي أسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره
وإبهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ أي يستقبل في كل وقت عذابا
أشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الأنفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة
في حق أهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي أرسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم
ووعدهم أن يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد أهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف
أي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة أو قوله أعمالهم كرماد وهي على الأول جملة مستأنفة لبيان
مثلهم وقيل أعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته وأسرعت الذهاب به وقرأ نافع

الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم
من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير
اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة
مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم
مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي
يحق ان يخلق عليه وقرا حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا
آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه
تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على
الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا
بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة
لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا
كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع
جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين
استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن
نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون
عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة
موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب
ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء
قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدينا الله للايمان
ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق
النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكنه سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب
من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان
يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة
عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان
لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين
ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم
وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين
خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا
ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم

ضرب

ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي
فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم
لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي
لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم
من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو
اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر
وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف
في ضربتهو واعطيتكاه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة
باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة
يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي
اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت
امره بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم
تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم
ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ وادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا
بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا
كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب
الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا و [illegible] او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون
اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب
بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ
الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل
الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير
للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت
جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة
والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك
بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا
الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا
وشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا
ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا

اى اهل السنة والجماعة

عن تعتعتهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة روى انه عم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده
فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد عم
فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله
ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر
نعمة كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها
محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب
رزقه وشرفهم بمحمد صلوات الله عليه فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا
اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهم هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما
بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار
البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين
فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم
وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب
بفتح الياء وليس الضلال والاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل
تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة
الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله
فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا
خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون بحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل
عليه جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم
ليكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم للرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب
له ويجوز ان يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك هيهنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك
كل نفس اذا ما خفت من شيء تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف
لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا
سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف
اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر
ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع
فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح على
النفي العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل
عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك
لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتسخيركم

اي تعظيما

وقيل

وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما
وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم
وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه فان الموجود
من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسئل لاحتياج الناس
اليه سئل او لم يسئل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى
المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز
ان تكون ما نافية في موضع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان
المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان
يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ
قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا
بلدا آمنا ان المسؤل في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة
واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة
نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم
وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم
محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا
حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من
اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني
على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له
وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق
بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل
ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت
عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة او منع منه
الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك
باعتبار ما كان او ما سيؤل اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم فولدت منه اسمعيل
فغارت عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان
جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا
في مائك نشركك في البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت
اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير
النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم والمقصود من الدعاء توفيقهم لها
وقيل اللام لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله ان

يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس
لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس
وقرأ هشام افئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر
وان يكون اسم الفاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان
الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووِدادا وقرئ تهوى
على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوي يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع
وارزقهم من الثمرات مع سكانهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله تعالى دعوته
فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا
بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك
وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ
الى الله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم
ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر
استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من آلائه اسمعيل واسحاق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين
سنة واسحاق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به
وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز
وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم
واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في
اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا
وتقبل دعائي واستجب دعائي او تقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر
استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام
على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساقها او يقوم اليه اهله فحذف المضاف او اسند اليه قيامهم
مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما كان عليه من انه
مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا
بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون
ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي
او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤوسهم رافعيها
لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم
وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا رأي
فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم
ياتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين

ظلموا

ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد
من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب
للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم
من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم
انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا
بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزولون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر
والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت
الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم
وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا
او فعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق
وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء
لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال ومعدا لذلك
وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلعم ونحوه
وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه
وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ
بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل
قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا
بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله ان الله
عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم
ياتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل
فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات
كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها
وغيرت شكلها وعليه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة
وسماوات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد
خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عم قال تبدل
الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول
ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات
الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم
لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار

لواحد

وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت
او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم
بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين
او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعده بعظم
ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل
فيطبخ فيهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار
حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان
التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية
والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطر آن والقطر النحاس او الصفر
المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي
وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع
على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله
يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس
من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين
ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن
او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة
ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان
يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو
اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما تدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا
عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب
تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع
بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات
الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين
عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ
ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها
وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي
في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه
الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم

اهوال

اهوال القيمة فان كانت منهم افاقة ما في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك
حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم
لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه
والغرض اقناط الرسول عن ارعوائهم وايذانهم بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل
تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله
الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة
اجلها وما يستاخرون اي وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها
الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظير
ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي
القرآن لو ما تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة
ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت
الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء ومسند الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة
والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل
الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم بصور
تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا
له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو
نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه
وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر
بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن
فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي عم ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة
وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به
الكبار والمعنى نبانا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون
كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عم وما للحال لا تدخل المضارع الا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا
على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء كالخيط في المخيط
والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر
فان الضمير الآخر في قوله تعالى لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك
الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من
تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من
المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم
وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء

المقترحين **بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون** يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم **لقالوا** من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق **انما سكرت ابصارنا** سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت **بل نحن قوم مسحورون** قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر **ولقد جعلنا في السماء بروجا** اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء **وزيناها** بالاشكال والهيئات البهية **للناظرين** المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها **وحفظناها من كل شيطان رجيم** فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها **الا من استرق السمع** بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله عنه انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد عليه السلام منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع **فاتبعه** فتبعه ولحقه **شهاب مبين** ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق **والارض مددناها** بسطناها **والقينا فيها رواسي** جبالا ثوابت **وانبتنا فيها** في الارض او فيها وفي الجبال **من كل شيء موزون** مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة **وجعلنا لكم فيها معايش** تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل **ومن لستم له برازقين** عطف على معايش او على محل لكم والمراد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال **وان من شيء الا عندنا خزائنه** اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد **وما ننزله** من بقاع القدرة **الا بقدر معلوم** حد الحكمة وتعلقت به مشيئته فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم **وارسلنا الرياح لواقح** حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر او السحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس **فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه** فجعلناه لكم سقيا **وما انتم له بخازنين** قادرين متمكنين من اخراجه نفي عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصص **وانا لنحن نحيي** بايجاد الحياة

في بعض الاجسام القابلة لها **ونميت** بازالتها وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر **ونحن الوارثون** الباقون اذا مات الخلائق كلها **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تأخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظرها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت **وان ربك هو يحشرهم** لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح بقوله **انه حكيم** باهر الحكمة متقن في افعاله **عليم** وسع علمه كل شيء **ولقد خلقنا الانسان من صلصال** من طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل **من حمإ** طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ **مسنون** مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا **والجان** ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره **خلقناه من قبل** من قبل خلق الانسان **من نار السموم** من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء **واذ قال ربك** واذكر وقت قوله **للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته** عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه **ونفخت فيه من روحي** حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء **فقعوا له** فاسقطوا له **ساجدين** امر من وقع يقع **فسجد الملائكة كلهم اجمعون** اكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك لكان الثاني حالا لا تأكيدا **الا ابليس** ان جعل منقطعا اتصل به قوله **ابى ان يكون مع الساجدين** اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد **قال يا ابليس ما لك الا تكون** اي غرض لك في ان لا تكون **مع الساجدين** لآدم **قال لم اكن لاسجد** اللام لتأكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد **لبشر** جسماني كثيف وانا ملك روحاني **خلقته من صلصال من حمإ مسنون** وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع

والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها اي من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم
مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته
وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان
الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد
غاية يضربها الانسان او لانه يعذب فيها بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء
متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد بذلك ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت
اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه
اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيمة واختلاف
العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع
التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله
يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس
لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه
لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى
اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة
الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عم او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له وهو
سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون
الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى
على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين
اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو
بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله تعالى قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف
عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق
علي يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين
ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا
على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون
المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين
او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف
ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون منها لكثرتهم او طبقات
ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية
ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية

والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين
العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على
الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف
لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان
غيرهما مكفر في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن
الآية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين
ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا تكسر التنوين بسلام سالمين
او مسلما عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم
ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رض ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها
او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين
ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا
من المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين
وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي
الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالمغفرة والرحمة دون التعذيب ترجيح
الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون
به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون
خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب
النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله
انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك
من البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناه باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني
الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحالة وكذلك قوله
فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشرون او فباي شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه
عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون
الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون
الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو
قول الله وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين
فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال

ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اى المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائى يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما
قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اى فما شأنكم الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال
المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا
ومريم او لانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤا بها قالوا انا ارسلنا الى
قوم مجرمين يعنى قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام
وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين
به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى آل لوط ويدل عليه قوله
انا لمنجوهم اجمعين اى مما يعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار
مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم
وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائى
لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا ها
وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا
اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه
الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم
منكرون تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى ما
جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفى لك من عدوك وهو العذاب الذى توعدتهم به فيمترون فيه
وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم بالليل وقرأ
الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل فى طائفة من الليل وقيل فى آخره
قال الشاعر افتحى الباب وانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم
تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه
ما اصابهم او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم
على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا
الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اى اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى
ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم للامر
وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين
داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء
فى معنى مدبرى هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال
ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون بفضيحة ضيفى فان من اسئ الى ضيفه فقد اسئ اليه واتقوا الله فى ركوب
الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزى وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهى
الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون

لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتى يعنى نساء
القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر
او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبى عم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك
قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفى سكرتهم
لفى غوايتهم او شدة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذى يشار به
اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم
الصيحة يعنى صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس
فجعلنا عاليها عالى المدينة او عالى قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة فى سورة
هود عم ان فى ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا
حقيقة الشئ بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون
آثارهما ان فى ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب
كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجر المتكاثف فانتقمنا
منهم بالاهلاك وانهما يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما
منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى به اللوح ومطمر البناء لانهما
مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما
كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه
وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة
وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام
ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه
فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة
واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا
بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم
من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام
منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذى خلقك
وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذى خلقكم
وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفى مصحف عثمان وابى هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق
يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطوال وسابعتها
الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم
السبع وقيل سبع صحائف وهى الاسباع من المثانى بيان للسبع والمثانى من التثنية او الثناء فان كل ذلك
مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله

من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم
ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف
احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم
اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي
حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا
وروي انه عم وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر
وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فقال لهم قد اعطيتم
سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم متمتعون به واخفض
جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله
نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم
مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول
فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عم وقيل هو صفة مصدر محذوف
يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا
بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى سحر وشعر وكهانة واساطير الاولين
او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرءونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول
الله صلى الله عم وقوله لا تمدن الى آخره اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة
واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن
الله العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضه السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف
منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم
او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوه من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به
من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة
والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرايع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين
بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس
والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عم والاستهزاء به فقال جبريل عم
لرسول الله صلى الله عم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما
لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى
صارت كالرحى فمات واشار الى انف عدي فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة
فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون
مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك
ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عم

انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق
والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عم والله اعلم بالصواب

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وآيها مائة وثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله عم من قيام الساعة او اهلاك
الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه
فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه
فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم
وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على
ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عم ورفع الناس رؤسهم
فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم
في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول صلى الله عم ما تحقق موعدهم
به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب
مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره
او من اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته
انه لا اله الا انا فاتقون ان الشأن لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا
وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او
مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي
بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو
اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى
هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق
السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها
بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليها ومما لا يقدر على خلقها وفيه دليل
على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع
والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام
وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عم بعظم رميم وقال يا محمد اترى ان الله يحيي هذا بعد ما قد رم
فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها
بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها
وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها كاللحوم والشحوم والالبان
وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر

الحيوانات فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي
وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين
اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوى الى الحظائر حاضرة
لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم
احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق
الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور
بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير
الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا بها
زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان
المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة
لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها
ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية
مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات
التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق
ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم
الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه
لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد
من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر مائل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب
لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر
انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهديكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم
الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه
شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب
فيه ولا باس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر
ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قال يعلفها اللحم اذا عز الشجر
والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها
السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون
والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل
تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح
بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان
الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها
فيخرج منه عروق ثم ينمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة

الاشكال

الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطباع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس
الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك وسخر لكم الليل
والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم
بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب
عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها
ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود
دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي جمع لاختلاف النوع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء
والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لآيات لقوم
يعقلون جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى
استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان
او نبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ان اختلافها
في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع
به بالركوب والاصطياد والغوص لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب
اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك — الزعاق طوزلو صو
به مالك والثوري على ان من حلف ان لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو
لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا
منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين
بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل
صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون
نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك
سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي جبالا ثوابت ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم
وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها
ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلق الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها
وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور
فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا
لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون بالليل لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم
تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحوها وبالنجم هم يهتدون في الليل في البراري والبحار
والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات
النعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثير الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم
بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا
هؤلاء يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار

حصيصام

بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مخلوقاته لان يساويه ويستحق مشاركته
ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم
بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا
فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجراها مجرى اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة
بينه وبين من يخلق او المبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون
فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة
على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور
ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف
للشرك باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله اي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر
يدعون بالياء وقرأ حفص ثلثتها بالتاء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين
انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات
ممكنة مفتقرة في الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم
الحيوة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات
لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم
وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان
البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة
فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار
قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع
الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين
فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم
او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه
منزلا على التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم
نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة
التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم
لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم
قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها

من جهة

امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم
واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به
نمروذ بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه
فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم ويعذبهم بالنار كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول
اين شركاي اضاف الى نفسه استهزاء وحكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم
تعادون المؤمنين في شانهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله تعالى قال
الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء والذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة
ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته
لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول
يحتمل الاوجه الثلث ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت
ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال
على الاستسلام بلى اي فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا
السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا
نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا
العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها
فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا
وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة
روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين
قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا
ولدار الآخرة خير ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية
لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله
جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم
فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في
الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفيهم الملائكة
طيبين طاهرين عن ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة
اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم
لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة
الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم
وقرأ حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيمة او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك
والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف
المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل

الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء
انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة
فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله
صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب
عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ
المبين الا البلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء
الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها
سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه
ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا منهم ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله ووفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت
عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة
على تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى فسيروا
في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون
ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم
برفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا
ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ
رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه
لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف
فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم بعض الذي يختلفون
فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى
البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما
قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون هو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا توقف
له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن تكوينها
اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي هنا وفي يس فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى
الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال
وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم
في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا
وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا
وما ادخر لك في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين
لوافقوهم اي المهاجرين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا

الطاغوت كل ما يعبد من غير الله

من يريد ضلاله وهو المعنى من حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء م م

على

على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله
مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله
بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكر
في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون
وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه
رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عم
راى جبريل صلوات الله عليه على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات
والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق
بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا
بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو
اليهم على ان قوله فاسئلوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر
اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك
مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس
ودليل العقل ولعلهم يتفكرون ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افامن الذين مكروا السيئات
اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء عليهم السلام او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم
فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم
متخوفون او على ان ينتقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر
قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف
العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير الهذلي يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه
تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء
استفهام انكار اي قد راوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره
فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيؤا ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة
عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله
ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا
لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في قوله ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان
بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ راسه ليركب او سجدا
حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف
مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض

متنصفة لها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون
بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه
الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال
في اول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة
على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات وما في الارض اي تنقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته
وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله
من دابة بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين
به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجرد على الجسماني وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح
مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السماوات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد به ملائكتها
من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى
من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافون ان
يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير
في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة
والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين
ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالوهية
كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية فاياي فارهبون
نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير
وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق
بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه
لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اي واي
شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول
فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما
تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم
يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما وان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان
كانه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم
مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا
امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان
يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها
جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان
العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم
من الزرع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها آلهة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه

ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم
ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار
وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر
احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس
واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم
من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل
ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون
حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي
الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية
الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين
وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم
وعن ابن مسعود رضي كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم
يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم
ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبياء عم لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون
لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل وارذل
الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات
لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط
في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله
لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو
وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية
حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم فهو ولي هؤلاء
اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر
لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا
فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل
لتبين وانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها
انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة
دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير
ووحده هاهنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات

المسند على انفال كالاخلاف والكباش ومن قال الاول جمع ثم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون
جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم هنا وفي
المؤمنين بالفتح **من بين فرث ودم لبنا** فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث
وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ
العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون
مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام
المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة
معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين فتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال
ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد
اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين
فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورته لحومها الغددية البيض
فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب
المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى
تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث
والدم المحل الذي يبتدئ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على
انه موضع العبرة **خالصا** صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء
الكثيفة بتضييق مخرجه **سائغا للشاربين** سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف **ومن
ثمرات النخيل والاعناب** متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله
تتخذون منه سكرا استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر
لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين
لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر **ورزقا حسنا**
كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب
والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع
من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه **ان في ذلك لآية لقوم يعقلون** يستعملون عقولهم بالنظر والتامل
في الآيات **واوحى ربك الى النحل** الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين **ان اتخذي** بان اتخذي
ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر **من الجبال بيوتا
ومن الشجر ومما يعرشون** ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف
ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة
وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك
وقرئ بيوتا بكسر الباء للياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء **ثم كلي من كل الثمرات** من كل ثمرة
تشتهيها مرها وحلوها **فاسلكي** ما اكلت **سبل ربك** في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر

عسلا

عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك
ولا تلتبس **ذللا** جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في فاسلكي اي وانت
ذلل منقادة لما امرت به **يخرج من بطونها** عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود
من خلق النحل والهامه لاجلهم **شراب** يعني العسل لانه مما يشرب احتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق
العطرة فتستحيل في باطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء
طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها
شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه **مختلف الوانه** ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف
سن النحل والفصل **فيه شفاء للناس** اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض
اذ قل ما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم
وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب
ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه
فشفاه الله فبرا فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل **ان في ذلك لآية
لقوم يتفكرون** فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا
انه لا بد له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه **والله خلقكم ثم يتوفاكم** باجال مختلفة **ومنكم
من يرد** يعاد **الى ارذل العمر** اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل
هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون **لكيلا يعلم بعد علم شيئا** ليصير الى حالة شبيهة
بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم **ان الله عليم** بمقادير اعمارهم **قدير** يميت الشاب النشيط
ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم
على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ **والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق** فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك
فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم **على ما ملكت ايمانهم** على مماليكهم فانما يردون
عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم **فهم فيه سواء** فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم
فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي
رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته
في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه **افبنعمة الله يجحدون**
حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا
امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء
لقوله خلقكم وفضل بعضكم **والله جعل لكم من انفسكم ازواجا** من جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم
مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم **وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة** اولاد اولاد او بنات فان الحافد
هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان
يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين **ورزقكم من الطيبات** من اللذائذ او الحلالات

ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات
ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل
الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل
ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلت
مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون ان يملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير
فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم
احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه
عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد
الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه
وهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال
فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه
فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق
منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك
الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية
بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات
وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك
للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف
يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنس وان
المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم
كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما
ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه
عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى
يتوجه كقوله اينما اوجه القى سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن
يأمر بالعدل ومن هو منطيق فهم ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل وهو
على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك
الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة
بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما
عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض
وما امر الساعة وما امر قيام الساعة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة
الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبتدئ فيه
فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان

جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل
سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله
من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق بين المحق والمبطل وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان
والكسائي التورية بالامالة في جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين
او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من الكتب المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع
من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو
وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن
الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر
عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود
بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة
كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم
اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله
العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران
لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم
واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب
اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة
واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل
العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها
فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات
واما قوله الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها
فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف
او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره
او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه
وابتغاء تاويله وطلب ان يؤولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد
منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه
الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله
بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على
ان الظاهر غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال
منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا
الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله

الى اكتسب

فانه سعيد بن جبير

بالنص

الاتباع

بمجرد الحسن واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد
وتسويته او انها جواب عن شبهة النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب
قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها
وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف
والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه وقال عليه السلام قلب ابن آدم
بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا
تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرفية واذ في موضع الجر
باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا
للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه
متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزاء يوم لا ريب فيه في
وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها
المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب
واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط
بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار
حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن
اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر
والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن والذين من قبلهم عطف على آل
فرعون وقيل استيناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم
او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة
قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه
السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك
انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده
بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ
حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام
ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب
لقريش او اليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم
يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكانوا قريبا من الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة
وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى غلبوا مددا امر الله به المؤمنين او يرى المؤمنون المشركين
مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله ان يكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول

اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل
التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي
التقليل والتكثير او غلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملها
ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي الابصار اي لعظة لذوي الابصار وقيل لمن ابصرهم
زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها
حتى احبوا شهواتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي
ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله ولانه من
اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير
وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة مأخوذة
منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة
وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحياة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده
حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات
المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات
ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قرأ عاصم بضم الراء وهما
لغتان والله بصير بالعباد اي عالم بهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات
وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر
واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح
منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد
لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن الترتيب فان
معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل
والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة
الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم
المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها او لتغاير
الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق
والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون
شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة
بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد
قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد
وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي

تفرد قائما او احقه لانها حال موكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرر للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله تعالى ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة موكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد عليه السلام وقراءة الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناها وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى عليه السلام الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب أأسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لقوله تعالى فانه ربط صلح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القرآن او التوراة لما روي انه عليه السلام دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض

لهم

والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وانه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المومن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منه ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل في النهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها او اماتتها من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المومن من الكافر والكافر من المومن وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المومنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء اي من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعادين لا يجتمعان قال

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب **إلا أن تتقوا منهم تقاة** أي إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه أو اتقاء والفعل معدى بمن لأنه في معنى تحذروا أو تخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الأوقات كلها إلا وقت المخافة فإن إظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا **ويحذركم الله نفسه** فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم أن المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة **قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله** أي إنه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها إن تخفوها أو تبدوها **ويعلم ما في السموات وما في الأرض** فيعلم سركم وعلنكم **والله على كل شيء قدير** فيقدر على عقوبتكم إن لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لأنها متضمنة لعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها فلا تجسروا على عصيانه إذ ما من معصية إلا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا** يوم منصوب بتود أي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها من الخير والشر حاضرة لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أو بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت أو خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح أن تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر أوقع معنى لأنه حكاية كائن وأوفق للقراءة المشهورة **ويحذركم الله نفسه** كرره للتوكيد والتذكير **والله رءوف بالعباد** إشارة إلى أنه تعالى إنما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم أو أنه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني** المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يراه كمالا من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته **يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** جواب للأمر أي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة **والله غفور رحيم** لمن تحبب إليه بطاعته واتباع نبيه عليه السلام روي أنها نزلت لما قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا إنا نعبد المسيح حبا لله وقيل في أقوام زعموا على عهده عليه السلام أنهم يحبون الله فأمروا أن يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل **قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا** يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فإن تتولوا **فإن الله لا يحب الكافرين** لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وإنما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على أن التولي كفر وأنه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وأن محبته مخصوصة بالمؤمنين **إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما أوجب طاعة الرسل وبين أنها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل إبراهيم إسماعيل وإسحاق وأولادهما وقد دخل فيهم الرسول عليه السلام وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب أو عيسى وأمه مريم بنت

عمران بن ماثان بن العازر بن أبي يود بن عازور بن صادوق بن عيازوز بن الياقيم بن أبيود بن زربابل بن شالتان بن يوحنا بن أوشيا بن أموص بن منشكن بن حازقا بن أحاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن ساقط بن أيشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن أيشا بن عوبد بن سلمون بن بلعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة **ذرية بعضها من بعض** حال أو بدل من الآلين أو منهما ومن نوح أي إنهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض أو بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر أو فعولة من الذرء أبدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وأدغمت **والله سميع عليم** بأقوال الناس وأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل أو سميع لقول امرأة عمران عليم بنيتها **إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني** فينتصب به إذ وقيل بإضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من هارون فظن أن المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فإنه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته إيشاع وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة من الأب روي أنها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي في ظل شجرة إذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت إلى الولد وتمنته فقالت اللهم إن لك علي نذرا إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الأمر على التقدير أو طلبت ذكرا **محررا** معتقا لخدمته لا أشغله بشيء أو مخلصا للعبادة ونصبه على الحال **فتقبل مني** ما نذرته **إنك أنت السميع العليم** لقولي ونيتي **فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى** الضمير لما في بطنها وتأنيثه لأنه كان أنثى وجاز انتصاب أنثى حالا عنه لأن تأنيثها علم منه فإن الحال وصاحبها بالذات واحد أو على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وإنما قالته تحسرا أو تحزنا إلى ربها لأنها كانت ترجو أن تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره **والله أعلم بما وضعت** أي بالشيء الذي وضعت وهو استئناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على أنه من كلامها تسلية لنفسها أي ولعل لله فيه سرا أو الأنثى كان خيرا وقرئ وضعتِ على خطاب الله لها **وليس الذكر كالأنثى** بيان لقوله والله أعلم أي وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز أن يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والأنثى سيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس **وإني سميتها مريم** عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وإنما ذكرت ذلك لربها تقربا إليه وطلبا لأن يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فإن مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على أن الاسم والمسمى والتسمية أمور متغايرة **وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** أجيرها بحفظك وأصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه إلا مريم وابنها ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة **فتقبلها ربها** فرضي بها في النذر مكان الذكر **بقبول حسن** بوجه حسن يقبل به النذائر وهو إقامتها مقام الذكر أو تسلمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة روي أن حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فإن بني ماثان كانت رؤوس بني إسرائيل وملوكهم فقال زكريا أنا أحق بها عندي خالتها فأبوا إلا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا إلى نهر فألقوا

فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان
يكون تقبل بمعنى استقبل كتقصى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن
تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في
رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون
ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها
سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما
وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء
في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة
عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله
فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به فهو يحتمل ان يكون من كلامها
وان يكون من كلام الله تعالى روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة
لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك
هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني
اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها
هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى مريم ومنزلتها
عند الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير
اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأله وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة
وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولك زيد يركب الخيل
فان المنادي كان جبريل عليه السلام وحده وقرأ حمزة والكسائي بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي
في المحراب اي قائما في الصلاة ويصلي صفة قائم او خبر او حال آخر او حال عن الضمير في قائم ان الله يبشرك
بيحيى اي بان الله وقرأ حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف
ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه
البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا
يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم فانه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس
عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت
ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون
لي غلام استبعاد من حيث العادة او استعظام او تعجب او استفهام عن كيفية حدوثه
وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون
وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي
يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت

بمن خلق الولد او كذلك الله مبتدا وخبر
اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء

عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك والله
يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر
وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه
عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان يحبس لسانك
الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه
الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا
بفتحتين كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله
متى ما تلقني فردين ترجف روانف أليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله
مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل
من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر
واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة
زعم ان ذلك كان معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ
امرأة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها
ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من
النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها
مما قذفتها اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين
امرت بالصلاة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في
شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم
ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا
وقائما وبالسجود الصلاة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك
اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع
وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه
فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام
باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا
او يقولوا ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى
وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كما تقول لقيته سنة
كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله
بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره
من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل عليه السلام ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة
تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كان صفة تميز تميز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد
المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى

والمسيح خبره وعيسى بدل ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها
تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا
والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة
وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علوه درجته في الجنة او رفعه الى السماء
وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت
والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر
احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها
الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج
او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل عليه السلام او الله وجبريل حكى لها قول الله تعالى اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها
دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها
من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس
الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على
ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا
معنى النطق كانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على
من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدلا من قد جئتكم او
جر بدلا من آية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير فانفخ
فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله حيا طيارا باذن الله نبه به على ان
احياءه من الله لا منه وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى والممسوح العين روي انه ربما كان
يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداوي
الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس
الافعال البشرية وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك
لآية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين
ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم
اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضمار جئتكم او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على
معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى
عليه السلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه
كان ناسخا لشرع موسى عليه السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يعود نسخ القرآن
بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان
وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها
ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبي والساحر

او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله جئتكم
باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك
رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والآيات القاهرة فاتقوا الله في المخالفة
واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم فاعبدوه
اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى
استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي
ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام
قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من
انصاري الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى
الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ها هنا بمعنى مع او في او اللام
قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات
لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا
يلبسون البيض استنصرهم عيسى عليه السلام من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اي
يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون اشهد لنا يوم القيمة حين
تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الذين
يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس
ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى عليه السلام
والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة
لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدر
على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او بمضمر مثل وقع ذلك
يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من
الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم
الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ورافعك الي اي الى
محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق
الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة او بالسيف في غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين و
النصارى والى الآن لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير
لعيسى عليه السلام ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
تفسير الحكم وتفصيله والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره
وهو مبتدا خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان
العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع

من تطرق الخلل اليه برهن على القران وقيل اللام متعلقة بالرحمن أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم اي شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما به الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبهة والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن اي انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريق التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ذا ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبأ عيسى ومريم رضي الله عنها لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكر من شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلته على الفصل لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل على المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها ان لا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال

أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قالوا نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن الترتيب والتدريج في الحجاج بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى عليه السلام والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم عليه السلام وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم عليه السلام قبل موسى عليه السلام بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا او المسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او وما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا به آخره لعلهم يشكون

يردونهم ... رحمتهم ... ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف قالا لأصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم صلوا إلى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من أحبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا في الإسلام أول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التوراة لعل أصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب إلا لأهل دينكم أو لا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم فإن رجوعهم أرجى وأهم قل إن الهدى هدى الله هو يهدي من يشاء إلى الإيمان ويثبته عليه أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم متعلق بمحذوف أي دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد والمعنى أن الحسد حملكم على ذلك أو بلا تؤمنوا أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأشياعكم ولا تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا إلى المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام وقوله إن الهدى هدى الله اعتراض يدل على أن كيدهم لا يجدي بطائل أو خبر إن على أن هدى الله بدل من الهدى وقرأ ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع وهو يؤيد الوجه الأول أي ألأن يؤتى أحد دبرتم وقرئ إن على أنها النافية فيكون من كلام الطائفة أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم عطف على أن يؤتى على الوجهين الأولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير أحد لأنه في معنى الجمع إذ المراد به غير أتباعهم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وإبطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه إليه ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة إلا ما دمت عليه قائما إلا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع وإقامة البينة ذلك إشارة إلى ترك الأداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بأنهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الأميين سبيل أي ليس علينا في شأن من ليسوا أهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون أنهم كاذبون وذلك لأنهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التوراة حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا أنه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر بلى إثبات لما نفوه أي بلى عليهم فيهم سبيل من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن أو لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء إلى من وأشعر بأن التقوى ملاك الأمر وهو يعم الوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهي إن الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول والوفاء بالأمانات وأيمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم أو بشيء

أصلا وأن الملائكة يسألونهم يوم القيامة أو لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر أنه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر إليهم يوم القيامة فإن من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما أن من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر إليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب أليم على ما فعلوه قيل إنها نزلت في أحبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الأمانات وأخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشتره به وقيل في ترافع كان بين أشعث بن قيس ويهودي في بئر أو أرض وتوجه الحلف على اليهودي وإن منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي بن أخطب يلوون ألسنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل إلى المحرف أو يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوون على قلب الواو المضمومة همزة وتخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير أيضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لأنهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا أي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي أن لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وقيل إن أبا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله وأن نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فإن فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من أدرس بمعنى درس كأكرم وكرم ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان أي ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا أو غير مزيدة على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ أكفائه أربابا بل ينهى عنه وهو أدنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال أيأمركم بالكفر إنكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد إذ أنتم مسلمون دليل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لأن يسجدوا له وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل إنه على ظاهره وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى وقيل معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم وقيل إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل والمعنى وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم وقيل المراد أولاد النبيين على حذف المضاف

وهم بنوا اسرائيل سماهم ... لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والنبيون كانوا منا
واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب
القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب
ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه
وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او من اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام
فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي
يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا
اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم
وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة
فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة
بينهما للانكار او محذوف تقديره اتتولون فغير دين الله تبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار
والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير
وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة
ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت ومختارين كالملائكة والمؤمنين او
مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه يرجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن
قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم
امر الرسول عليه السلام بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط
تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا
له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل
على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون
منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في
الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان
هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول ما يغايره ولعل الدين
ايضا الاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم فان الحائد
عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا
تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال
باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا
يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق
وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه
ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى آيسون عن الرحمة
رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه

خالدين

ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر
له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم يقبل توبته ويتفضل عليه قيل انها نزلت في الحارث
ابن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية
فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان
بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا
بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم
نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا
اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة
حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك
لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة ولما كان الموت على
الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا
نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى
كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد
ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا
لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء
ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن
تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضا والجنة حتى تنفقوا
مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة
في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها
حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد
ابن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة
ابن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله تعالى قد قبلها منك
وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب
والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من
شيء اي من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام
اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه كلحوم الابل
والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه

يعقوب

يجتهد أن

وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التوراة اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابرهيم عليه السلام بتحليل لحوم الابل والبانها قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه السلام لما قاله لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح لهم قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهو لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح تطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد بالاول الشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتدأ محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنين ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر

ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي وفيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابي حنيفة رحمه الله من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بالكسر وهي لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية على وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط ولانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد عليه السلام فيما ادعاه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال

وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب نزلت في نفر من الأوس والخزرج كانوا جلوسا
يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تآلفهم واجتماعهم فأمر شابا من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم
يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا
وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه وقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية
وألف بينكم فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا
وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما خاطبهم الله بنفسه بعدما أمر الرسول بأن يخاطب أهل الكتاب
إظهارا لجلالة قدرهم وإشعارا بأنهم الأحقاء بأن يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله
وفيكم رسوله إنكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان الصارفة عن الكفر
ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه أو يلتجئ إليه في مجامع أموره فقد هدي إلى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب
عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى وقيل هو أن تنزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الأمر تأكيد للنهي
عن طاعة أهل الكتاب وأصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء ألفا ولا تموتن إلا
وأنتم مسلمون أي ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت فإن النهي عن المقيد بحال أو غيرها
قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدين
الإسلام أو بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث إن التمسك
به سبب السلامة عن الردى وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه
ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو ولا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية يحارب بعضكم
بعضا أو لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الألفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق
للإسلام المؤدي إلى التآلف وزوال الغل إذ كنتم أعداء في الجاهلية متقاتلين فألف بين قلوبكم بالإسلام
فأصبحتم بنعمته إخوانا متحابين مجتمعين على الأخوة في الله وقيل كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين فوقع
بين أولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله تعالى بالإسلام وألف بينهم
برسوله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو أدرككم الموت
في تلك الحالة لوقعتم في النار فأنقذكم منها بالإسلام والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وتأنيثه لتأنيث ما
أضيف إليه أو لأنه بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة وأصله شفو فقلبت الواو
في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون إرادة
ثباتكم على الهدى وازديادكم منه ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لأن الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولأنه لا يصلح له كل أحد إذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الأمة
كالعلم بالأحكام ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها والتمكن منها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على
أنه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا أثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية

مطلب الأمر بالمعروف

أو للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف والدعاء إلى الخير يعم الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي
وعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للإيذان بفضله وأولئك هم المفلحون المخصوصون
بكمال الفلاح روي أنه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم
لله وأوصلهم للرحم والأمر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لأن
جميع ما أنكره الشرع حرام والأظهر أن العاصي يجب عليه أن ينهى عما يرتكبه لأنه يجب عليه تركه وإنكاره فلا
يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد
والتنزيه وأحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق
عليه والأظهر أن النهي فيه مخصوص بالتفرق في الأصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف أمتي
رحمة ولقوله من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد وأولئك لهم عذاب عظيم وعيد
للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل أو بإضمار
اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق
ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك
فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم على إرادة القول أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم
وهم المرتدون أو أهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم به قبل مبعثه أو جميع الكفار
كفروا بعدما أقروا حين أشهدهم على أنفسهم أو تمكنوا من الإيمان بالنظر في الآيات والدلائل فذوقوا
العذاب أمر إهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم أو جزاء لكفركم وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة
والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا
يدخل الجنة إلا برحمته وفضله وكان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم لكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه
حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون أخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف يكونون
فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق
لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين إذ يستحيل الظلم منه لأنه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع
عن شيء فيظلم بفعله لأنه المالك على الإطلاق كما قال ولله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور فيجازي
كلا بما وعد له وأوعد كنتم خير أمة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان
الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله أو في اللوح أو فيما بين الأمم المتقدمين أخرجت للناس أظهرت
لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف بين به كونهم خير أمة أو خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن
الإيمان بكل ما يجب أن يؤمن به لأن الإيمان به إنما يحق ويعتد به إذا حصل الإيمان بكل ما أمر أن
يؤمن به وإنما أخره وحقه أن يقدم لأنه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
إيمانا بالله وتصديقا به وإظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على أن الإجماع حجة لأنها تقتضي
كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر إذ اللام فيهما للاستغراق فلو أجمعوا على باطل كان
أمرهم على خلاف ذلك ولو آمن أهل الكتاب إيمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الإيمان خيرا لهم مما
هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي

بعدها

وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل وأسر. لن يضروكم إلا أذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ثم لا يكون أحد ينصرهم عليكم أو يدفع بأسكم عنهم نفى إضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بأنهم لو قاموا إلى القتال كانت الدبرة عليهم ثم أخبر بأنه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على أن ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع إذ كان ذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والأهل أو ذل التمسك بالباطل والجزية أين ما ثقفوا وجدوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من أعم عام الأحوال أي ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا معتصمين أو متلبسين بذمة الله أو كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين أو بدين الإسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤوا بغضب من الله رجعوا مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب على أهله واليهود في غالب الأمر فقراء مساكين ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الأنبياء ذلك أي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فإن الإصرار على الصغائر يفضي إلى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر وقيل معناه أن ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث إنهم مخاطبون بالفروع أيضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لأهل الكتاب من أهل الكتاب أمة قائمة استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من أقمت العود فقام وهم الذين أسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها لما روي أنه عليه السلام أخرها ثم خرج فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات أخر لأمة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فإنهم منحرفون عن الحق غير متعبدين في الليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات وأولئك من الصالحين أي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته إلى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائي فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم وإشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وأن الفائز عند الله هو أهل التقوى إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا من العذاب أو من الغناء فيكون مصدرا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا ما ينفق الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة أو المنافقون رياء وخوفا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع إطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الأصل مصدر نعت به أو نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي فأهلكته عقوبة لهم لأن الإهلاك عن سخط أشد والمراد تشبيه

مطلب

ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون أي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها أو ما ظلم أصحاب الحرث بإهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن أي ولكن أنفسهم يظلمونها ولا يجوز أن يقدر ضمير الشأن لأنه لا يحذف إلا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الأنصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف هو صفة بطانة أي بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا أي لا يقصرون لكم في الفساد والألو التقصير وأصله أن يعدى بالحرف وعدي إلى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين المنع أو النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من أفواههم أي في كلامهم لأنهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم أكبر مما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين إن كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الأربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز أن يكون الثلاث الأول صفات لبطانة ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان أو خبر لأولاء والجملة خبر أنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلة له أو حال والعامل فيها معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى أنهم لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم وإذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ من أجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يهلكوا به إن الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وأن يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من إطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم وإن تصبروا على عداوتهم أو على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم وما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره إن الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله وقرئ بالياء أي بما يعملون في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه وإذ غدوت أي واذكر إذ غدوت من أهلك من حجرة عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم أو تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل أن تقوم من مقامك والله سميع لأقوالكم

إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للإصابة

مطلب

عليم بنياتكم روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله
أصحابه ودعا عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قبل فقال هو وأكثر الأنصار أقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج
إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا
فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن
رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم إلى الخروج فقال عليه السلام رأيت في منامي بقرة مذبوحة
حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي
في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر وأكرمهم
الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا وبالغوا حتى دخل ولبس لأمته فلما رأوا ذلك ندموا
على مبالغتهم فقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل
فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب من أحد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره
إلى أحد وسوى صفهم وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا
إذ همت متعلق بقوله سميع عليم أو بدل من إذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس
وكانا جناحي العسكر أن تفشلا أن تجبنا وتضعفا روي أنه عليه السلام خرج في زهاء ألف رجل
ووعدهم النصر إن صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبي في ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا
فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبي لو نعلم قتالا
لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر
أنها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما أي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز أن يراد والله ناصرهما
فما لهما يفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم
ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما أفادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى
بدرا فسمي به وأنتم أذلة حال من الضمير وإنما قال أذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف
الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون بتقواكم ما أنعم عليكم به من نصره أو
لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سببه إذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم
وقيل بدل ثان من إذ غدوت على أن قوله لهم يوم أحد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة
فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول عليه السلام لم تنزل الملائكة ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف
من الملائكة منزلين إنكار أن لا يكفيهم ذلك وإنما جيء بلن إشعارا بأنهم كانوا كالآيسين من النصر
لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل أمدهم الله يوم بدر أولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف
وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج بلى إيجاب لما بعد لن أي بلى يكفيكم ثم وعد
لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم أي المشركون
من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الأصل مصدر فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم أطلق
للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى إن يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال إتيانهم
بلا تراخ وتأخير مسومين معلمين من التسويم بمعنى الإسامة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم ويعقوب

من التسويم الذي هو إظهار سيما الشيء لقوله عليه السلام لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت أو مرسلين ح

بكسر الواو

بكسر الواو وما جعله الله وما جعل إمدادكم بالملائكة إلا بشرى لكم إلا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن إليه
من الخوف وما النصر إلا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم إلى مدد وإنما أمدهم ووعد
به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث إن نظر العامة إلى الأسباب أكثر وحثا على أن لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز
الذي لا يغالب في أقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا
من الذين كفروا متعلق بنصركم أو وما النصر إن كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض وأسر آخرين
وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم أو يكبتهم أو يخزيهم والكبت شدة الغيظ
أو وهن يقع في القلب وأو للتنويع لا للترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الأمر
شيء اعتراض أو يتوب عليهم أو يعذبهم عطف على قوله أو يكبتهم والمعنى أن الله تعالى مالك أمرهم فإما أن
يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء وإنما أنت عبد مأمور
بإنذارهم وجهادهم ويحتمل أن يكون معطوفا على الأمر أو الشيء بإضمار أن أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة
أو من تعذيبهم شيء أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وأن تكون أو بمعنى إلا أن أي ليس
لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتسر به أو يعذبهم فتتشفى منهم وروي أن عتبة بن أبي وقاص شجه
يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت
وقيل هم أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بأن فيهم من يؤمن فإنهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم
ولله ما في السماوات وما في الأرض خلقا وملكا وله الأمر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب
والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر إلى الدعاء عليهم يا أيها الذين آمنوا
لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع إذ كان الرجل منهم يربي
إلى أجل ثم يزيد فيه زيادة أخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي أعدت للكافرين
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي أفعالهم وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة
وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون أتبع الوعيد بالوعد ترهيبا من المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل
وعسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل إلى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا وأقبلوا إلى مغفرة من ربكم
إلى ما يستحق به المغفرة كالإسلام والتوبة والإخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها
السماوات والأرض أي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لأنه دون
الطول وعن ابن عباس كسبع سماوات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض أعدت للمتقين هيئت لهم
وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة وأنها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين أو مدح
منصوب أو مرفوع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة أو الأحوال كلها إذ الإنسان لا يخلو عن
حالتيهما بإنفاق ما قدر عليه من قليل أو كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن إمضائه مع
القدرة من كظمت القربة إذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو
يقدر على إنفاذه ملأه الله قلبه أمنا وإيمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته
وعن النبي عليه السلام أن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت

والله يحب المحسنين اللام للجنس ويدخل تحته هؤلاء وللعهد فتكون الاشارة اليهم **والذين اذا فعلوا فاحشة** فعلة بالغة
في القبح كالزنا **او ظلموا انفسهم** بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة
ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك **ذكروا الله** تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم
فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة **ومن يغفر الذنوب الا الله** استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به
وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة **ولم يصروا على ما فعلوا**
ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة
وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به **اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار**
خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على
الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم
من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما
للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل
آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا
الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله **ونعم اجر العاملين** لان المتدارك لتقصيره كالعامل
لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ
الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة
والجنات **قد خلت من قبلكم سنن** سنها الله في الامم المكذبة لقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين
خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا مثله في سالف السنن
فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**
اشارة الى قوله قد خلت ومفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة
للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة
وقيل الى القرآن **ولا تهنوا ولا تحزنوا** تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد
بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم **وانتم الاعلون** وحالكم انكم اعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتالكم
لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم
بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة **ان كنتم**
مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون
بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا
منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى ان لا تضعفوا
فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا
امر الرسول عليه السلام **وتلك الايام نداولها بين الناس** نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى
كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت

الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر
والغلبة **وليعلم الله الذين آمنوا** عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان
العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره
وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات
علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء
ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف
منهم من الثبات والصبر على الشدائد **والله لا يحب الظالمين** الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين
وهو اعتراض فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا
لهم وابتلاء للمؤمنين **وليمحص الله الذين آمنوا** ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم **ويمحق الكافرين**
ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة** بل احسبتم ومعناه الانكار
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع
الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون **ويعلم الصابرين** نصب
باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون
ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا
بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة
فالحوا يوم احد على الخروج **من قبل ان تلقوه** من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته **فقد رأيتموه وانتم تنظرون**
اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا
لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار **وما محمد الا رسول قد**
خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل **افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم** انكار لارتدادهم
وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل
الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي
انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير
وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي وقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ
الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه
حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان
وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن
مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل
عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت **ومن ينقلب**
على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه **وسيجزي الله الشاكرين** على نعمة الاسلام بالثبات عليه
كانس واضرابه **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله** الا بمشيئته تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى
ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال

والاقدام عليهم فيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول عليه السلام بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر
مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض
بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة
ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة
نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين اصله
اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن
ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية
للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون
علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ
ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه
ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب
بالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم
وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب
من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين
فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان
قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم
هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب
والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا
اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين
فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله تعالى النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا
والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا
ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى
دينكم واخوانكم فلو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم
يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله
مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية
غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا
من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله
وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله تعالى
الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله
بسبب اشراكهم ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو

كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة
لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل
ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان
المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم
اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم
الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون
وقال بعضهم فما موقفنا هاهنا وقال آخرون لا نخالف امر رسول الله فثبت مكانه اميرهم في نفر دون
العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو
وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم
الثابتون محافظة على امر الرسول عليه السلام ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم
ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمهم على
المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء
ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في
الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول
يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم او جماعتكم الاخرى
فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما
متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم
اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد ولا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت
وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح
والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فأثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما
اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على
ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم
امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف
حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول
ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين
بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن
يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا
وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب
خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان وما قبله
وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدل له
وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر

هل لنا مما أمر الله ووعده من النصر والظفر نصيب قط، وقيل أخبر ابن أبي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى
إنا منعنا تدبير أنفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الأمر شيء، أو هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا
من الأمر شيء. قل إن الأمر كله لله أي الغلبة الحقيقية لله ولأوليائه فإن حزب الله هم الغالبون، أو القضاء
له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو اعتراض، وقرأ أبو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء. يخفون في أنفسهم ما
لا يبدون لك حال من ضمير يقولون، أي يقولون مظهرين أنهم مسترشدون طالبون النصر مبطنين الإنكار
والتكذيب. يقولون أي في أنفسهم أو إذا خلا بعضهم ببعض، وهو بدل من يخفون أو استئناف على وجه
البيان له. لو كان لنا من الأمر شيء كما وعد محمد، أو زعم أن الأمر كله لله ولأوليائه، أو لو كان لنا اختيار وتدبير
لم نبرح كما كان رأي ابن أبي وغيره. ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة. قل لو كنتم
في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم أي لخرج الذين قدر الله عليهم وكتبه في اللوح المحفوظ إلى مصارعهم
ولم تنفع الإقامة بالمدينة ولم ينج منه أحد فإنه قدر الأمور ودبرها في سابق قضائه لا معقب
لحكمه. وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الإخلاص والنفاق، وهو علة فعل
محذوف أي وفعل ذلك ليبتلي، أو عطف على محذوف أي لبرز لنفاذ القضاء، أو لمصالح جمة وللابتلاء
أو على قوله لكيلا تحزنوا. وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه أو يخلصه من الوساوس. والله عليم بذات الصدور
بخفياتها قبل إظهارها، وفيه وعد ووعيد وتنبيه على أنه غني عن الابتلاء، وإنما فعل ذلك لتمييز بخفياتها
المؤمنين وإظهار حال المنافقين. إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني إن الذين انهزموا يوم
أحد إنما كان السبب في انهزامهم أن الشيطان طلب منهم الزلل فأطاعوه واقترفوا ذنوبا من ترك المركز والحرص
على الغنيمة أو الحياة ومخالفة النبي صلى الله عليه وسلم فمنعوا التأييد وقوة القلب، وقيل استزلال الشيطان
توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فإن المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة، وقيل استزلهم بذكر
ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة والخروج من المظلمة. ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم
إن الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب. يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين
وقالوا لإخوانهم أي لأجلهم وفيهم، ومعنى أخوتهم اتفاقهم في النسب أو المذهب. إذا ضربوا في الأرض إذا
سافروا فيها وتباعدوا للتجارة أو غيرها، وكان حقه إذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية
أو كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى. لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على أن إخوانهم
لم يكونوا مخاطبين به. ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على أن اللام لام العاقبة مثلها في
ليكون لهم عدوا وحزنا، أو لا تكونوا أي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم
خاصة، فذلك إشارة إلى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد، وقيل إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم
ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فإن مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم. والله يحيي ويميت رد
لقولهم أي هو المؤثر في الحياة والممات لا الإقامة والسفر فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغازي
ويميت المقيم والقاعد. والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم، وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي بالياء على أنه وعيد للذين كفروا. ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم في سبيله، وقرأ نافع
وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات. لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد

الجزاء، والمعنى أن السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل، وإن وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من
المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا، وقرأ حفص بالياء. ولئن متم أو قتلتم
على أي وجه اتفق هلاككم لإلى الله تحشرون لإلى معبودكم الذي توجهتم إليه وبذلتم مهجكم لوجهه
لا إلى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم، وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر. فبما رحمة من الله
لنت لهم أي فبرحمة، وما مزيدة للتأكيد والتنبيه والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله
وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه. ولو كنت فظا سيئ الخلق
جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك. فاعف عنهم فيما يختص بك
واستغفر لهم فيما لله. وشاورهم في الأمر أي في أمر الحرب إذ الكلام فيه، أو فيما يصح أن يشاور فيه، استظهارا برأيهم
وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للأمة. فإذا عزمت فإذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى
فتوكل على الله في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك فإنه لا يعلمه سواه، وقرئ فإذا عزمت على التكلم أي فإذا
عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه أحدا. إن الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم إلى
الصلاح. إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا أحد يغلبكم. وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا
الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه، أو من بعد الله بمعنى إذا جاوزتموه فلا ناصر لكم، وهذا تنبيه على المقتضي
للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه. وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصر سواه وآمنوا به. وما كان لنبي أن يغل وما صح لنبي أن يخون في
الغنائم فإن النبوة تنافي الخيانة، يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه خفية
والمراد منه إما براءة الرسول عليه السلام عما اتهم به، إذ روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله أخذها، أو ظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا
نخشى أن يقول رسول الله من أخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم، وإما المبالغة في النهي للرسول عليه السلام
روي أنه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت، فتكون
تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
ويعقوب أن يغل على البناء للمفعول، والمعنى وما صح له أن يوجد غالا أو أن ينسب إلى الغلول
ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث، أو بما احتمل من وباله وإثمه
ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا، وكان اللائق بما قبله أن يقال ثم يوفى ما كسبت
لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فإنه إذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال
مع عظم جرمه أولى بذلك. وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد عقاب عاصيهم. أفمن اتبع رضوان
الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير، الفرق بينه وبين
المرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى ولا كذلك المرجع. هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات
لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب، أو هم ذوو درجات. والله بصير بما يعملون عالم بأعمالهم
ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها. لقد من الله على المؤمنين أنعم على من آمن مع الرسول عليه
السلام من قومه، وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها، وقرئ لمن من الله

على انه خبر محذوف مثل منة او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه
بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه
كان عليه السلام من اشرف قبائل العرب بطونا يتلو عليهم آياته اي القرآن بعدما كانوا اجهلاء لم يسمعوا
الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطبايع وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول
في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق
من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف اليها اصابتكم اي حين اصابتكم وهي
قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين اصابنا
وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد
كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم
الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم
يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار
سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان
هولاء وكفر هولاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدا تعالوا قاتلوا في سبيل الله
او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه
قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو
نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء النفس
في التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم
لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير
والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه
مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا
او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم
يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن القتال
لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل
عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت كثيرة وكان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا
للنجاة فقد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر
والخطاب لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول عليه السلام او من يحسب
او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جائز الحذف عند القرينة وقرأ
ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء

ظ واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة
صح

عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة
والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم
اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم
ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين
وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية
تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه
ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى
ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة
وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في
الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين
بالفلاح يستبشرون كرره للتاكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم
وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرها
للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه
استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره
مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدا خبره للذين احسنوا منهم
واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين
كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا
بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا
من حضر يومنا بالامس فخرج عليه السلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من
المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب
المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد القيس او نعيم بن مسعود
الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولانه
انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي
انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله
فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع
فمر به ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين
وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد
المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا اليهم ففتروا
فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون
حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للقول او لمصدر قال او فاعله ان اريد به نعيم وحده

والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا
حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ... يدخل صاحبه النار وهذا
ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر
الحجج **وقالوا حسبنا الله** محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد
بالاضافة تعريفا في قوله هذا رجل حسبك **ونعم الوكيل** ونعم الموكول اليه هو **فانقلبوا** فرجعوا من بدر **بنعمة**
من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه **وفضل** وربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها
سوقا فاتجروا وربحوا **لم يمسسهم سوء** من جراحة وكيد عدو **واتبعوا رضوان الله** الذي هو مناط
الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم **والله ذو فضل عظيم** قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان
والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل ما
يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف
وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به **انما ذلكم الشيطان** يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان
والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفة وما بعده خبر ويجوز ان تكون الاشارة
الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس **يخوف اولياءه** القاعدين عن الخروج
مع رسول الله او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه **فلا تخافوهم** الضمير للناس الثاني
على الاول والى اوليائه على الثاني **وخافون** في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي **ان كنتم مؤمنين**
فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس **ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** يقعون فيه سريعا
حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك
ويعينوا عليك لقوله **انهم لن يضروا الله شيئا** اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون
بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر **يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة** نصيبا من الثواب في الآخرة
وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية
حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون
لهم حظ في الآخرة **ولهم عذاب عظيم** مع الحرمان من الثواب **ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا**
ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يحسب والذين مفعول وانما
نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين
كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا
اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما
مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرا ابن
كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول
وفتح سينه في جميع القران ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل
تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء **انما نملي لهم ليزدادوا اثما**

ويضعف ... يزيد وينقص ... يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه ...

ويميز الخبيث من الطيب بالتكاليف الشاقة لا يصبر عليها الخبيثون فانهم لا يصبرون ... واما الطيبون فانهم لا يفارقونها ...

استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ
انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد
الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا خير لهم ان انتبهوا
وتداركوا ما فرط منهم **ولهم عذاب مهين** على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا
لهم عذاب مهين **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب** الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين
في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي
الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم
كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم **وما كان الله ليطلعكم**
على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر
وايمان ولكن الله يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها
فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين
لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا
من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من
يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا
فنزلت **وان تؤمنوا** حق الايمان **وتتقوا** النفاق **فلكم اجر عظيم** لا يقادر قدره **ولا يحسبن الذين يبخلون بما**
آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه كما سبق ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي
ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب
وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم
هو خيرا لهم **بل هو** اي البخل **شر لهم** لاستجلاب العقاب عليهم **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** بيان
لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكاة
ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة **ولله ميراث السموات والارض** وله ما فيهما مما يتوارث
فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في
سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة **والله بما تعملون** من المنع والاعطاء **خبير** فيجازيكم
وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد **لقد سمع الله**
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله وروي انه عليه السلام
كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا
الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سال القرض فلطمه ابو بكر وقال
لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت والمعنى
انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه **سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق** اي سنكتبه في صحائف
الكتبة او سنحفظه في علمنا ولا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقران والرسول
ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترا على قتل الانبياء

ليستغرق أمثال هذا القول وقرأ حمزة بالياء وضمها وفتح التاء ورفع قتلهم ونقول بالياء ونقول
ذوقوا عذاب الحريق أي وننتقم منهم بأن نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق
إدراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لإدراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لأن العذاب
مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال ذلك إشارة إلى العذاب بما قدمت أيديكم من
قتل الأنبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالأيدي عن الأنفس لأن أكثر أعمالها بهن وأن الله
ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث إن نفي الظلم يستلزم العدل
المقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف
وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا إن الله عهد إلينا أمرنا في التوراة وأوصانا أن لا نؤمن لرسول
حتى يأتينا بقربان تأكله النار بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لأنبياء
بني إسرائيل وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله أي تحيله إلى
طبعها بالإحراق وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة
فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين تكذيب وإلزام
بأن رسلا جاؤوهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان
الموجب للتصديق هو الإتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الإيمان لأجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء
به في معجزات أخر واجترؤوا على قتله فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير
تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من
زبرت الشيء إذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام ولذلك جاء
الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر وقرأ ابن عامر وبالزبر
وهشام وبالكتاب بإعادة حرف الجر للدلالة على أنها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت
وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله
ولا ذاكر الله إلا قليلا وإنما توفون أجوركم تعطون جزاء أعمالكم خيرا كان أو شرا تاما وافيا
يوم القيامة يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يشعر بأنه قد يكون قبلها بعض الأجور ويؤيده قوله
عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها
والزحزحة في الأصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وأدخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد
والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة
فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه وما الحياة الدنيا
أي لذاتها وزخارفها إلا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر
حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور
مصدر أو جمع غار لتبلون أي والله لتختبرن في أموالكم بتكليف الإنفاق وما يصيبها من الآفات
وأنفسكم بالجهاد والقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والأمراض والمتاعب ولتسمعن من
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين وإغراء الكفرة على

أعلمهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها
وإن تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة أمره فإن ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الأمور من معزومات
الأمور التي يجب العزم عليها أو مما عزم الله عليه أي أمر به وبالغ فيه والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه
وإذ أخذ الله أي اذكر وقت أخذه ميثاق الذين أوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه
حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لأنهم غيب واللام جواب
القسم الذي ناب عنه أخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه أي الميثاق وراء ظهورهم
فلم يراعوه ولم يلتفتوا إليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه
جعله نصب عينيه وإلقاؤه بين عينيه واشتروا به وأخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا وأغراضها
فبئس ما يشترون يختارون لأنفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار
وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا لا تحسبن
الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين
والمفعول الأول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين
يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق
وإظهار الحق والإخبار بالصدق بمفازة أي بمنجاة من العذاب أي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني على أن الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان يدل
عليهما مفعولا مؤكده وكأنه قيل لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا فلا يحسبن أنفسهم بمفازة أو
المفعول الأول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الأول ولهم عذاب أليم
بكفرهم وتدليسهم روي أنه عليه السلام سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فأخبروه بخلاف ما كان فيه
وأروه أنهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا
بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فإنهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون
إلى المسلمين بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والأرض فهو يملك أمرهم والله على كل شيء قدير
فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم إن الله فقير إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب
لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المخلصة عن شوائب
الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لأن مناط الاستدلال
هو التغير وهذه متعرضة لجملة أنواعه فإنه إما أن يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار أو بتبدل صورها
أو الخارج عنها كتغير الأفلاك بتبدل أوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم أي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين
وعنه عليه السلام من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات
الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما فإن لم تستطع فعلى جنب تومئ
إيماء وهو حجة للشافعي في أن المريض يصلي مضطجعا على جنبه الأيمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون
في خلق السموات والأرض استدلالا واعتبارا وهو أفضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة

كالمفكر لانه المقصود ... من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع
رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل
واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك
وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى
المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود
الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة
السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال
بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض
حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء وهو نظير قولهم من ادرك الضمان فقد ادرك
المرعى والمراد تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب
الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم
سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصر دفع بقهر ربنا اننا
سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في
ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه السلام
وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا
بربكم فآمنا اي بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا
صغائرنا فانها مستقبحة لكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين
في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب
واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امرهم
سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء العاقبة او قصور في
الامتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان يعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا
عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد
باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال
والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما
يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم
اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر
من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في
الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت
يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولم يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل
لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان
والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد

وقرأ

وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل
الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها
ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد
والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي عليه السلام والمراد
امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله فلا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل
للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ
ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم يقولون ان اعداء الله فيما
نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل
لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا في جنب الآخرة الا مثل ما
يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب
وصلة قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه
على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله
لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله
نزلت في عبد الله بن سلام وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم
كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج
فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني وانما دخلت اللام على الاسم للفصل
بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل
يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم
ما خص بهم من الاجر ووعد في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال
وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول
فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من
الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله بالصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة
الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين
للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه عليه السلام
من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن
صلاته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا
القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة
النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة
والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها
امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي
آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد وخلق منه أمكم حواء من ضلع من أضلاعه أو
محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات
كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكن أكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع
وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى
والنعمة الباهرة التي توجب طاعة مولاها أو لأن المراد به تمهيد الأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل
منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ خالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو
خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به أي يسأل بعضكم بعضا فيقول أسألك بالله وأصله تتساءلون فأدغم
التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والأرحام بالنصب عطف على محل الجار
والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ
حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ
محذوف الخبر أي والأرحام كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به وقد نبه سبحانه إذ قرن الأرحام باسمه على
أن صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن
قطعني قطعه الله إن الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى أموالهم إذا بلغوا واليتامى جمع
يتيم وهو الذي مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة إما على أنه لما جرى مجرى الأسماء
كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو على أنه جمع يتمى كأسرى لأنه من باب الآفات ثم جمع
يتمى على يتامى كأسرى وأسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه
بمن لم يبلغ ووروده في الآية إما للبلغ على الأصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن يدفع
إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس منهم الرشد ولكن أمر بابتلائهم صغارا
أو لغير البلغ والحكم مقيد وكأنه قال وآتوهم إذا بلغوا ويؤيد الأول ما روي أن رجلا من غطفان
كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله
ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من
أموالكم أو الأمر الخبيث وهو اختزال أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها وقيل لا تأخذوا الرفيع
من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا تأكلوها
مضمومة إلى أموالكم أي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حرام وذاك حلال وهو فيما زاد على
قدر أجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف إنه الضمير للأكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا
وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم أي إن خفتم أن
لا تعدلوا في يتامى النساء فانكحوا مقدار ما يمكنكم الوفاء بحقه لأن المتحرج من الذنب ينبغي أن يتحرج من الذنوب

كلها على ما روي أنه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء وإضاعة
حقوقهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم إن خفتم أن لا تعدلوا في أمر
اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وإنما عبر عنهن بما ذهابا إلى الصفة أو إجراء لهن مجرى غير
العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره أو ما ملكت أيمانكم وقرئ بفتح التاء على أن لا مزيدة أي إن خفتم
أن تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن أعداد مكررة هي ثنتان ثنتان وثلاث ثلاث وأربع أربع
غير منصرفة للعدل والصفة فإنها بنيت صفات وإن كانت أصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فإنها معدولة
باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح
ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة
ولو أفردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد دون التوزيع ولو ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف
في العدد فإن خفتم ألا تعدلوا بين هذه الأعداد فواحدة فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع
وقرئ بالرفع على أنه فاعل محذوف أو خبره تقديره فتكفيكم واحدة أو فالمقنع واحدة أو ما ملكت
أيمانكم سوى بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن
ذلك أي التقليل منهن واختيار الواحدة أو التسري أدنى ألا تعولوا أقرب من أن لا تميلوا يقال عال
الميزان إذا مال وعال الحاكم إذا جار وعول الفريضة الميل عن السهام المسماة وفسر بأن لا تكثر
عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم إذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية
ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الأزواج وإن أريد الأولاد
فلأن التسري مظنة قلة الولد بالإضافة إلى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالإضافة إلى
تزوج الأربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضمها
على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا إذا أعطاه إياه
عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر إلى مفهوم الآية لا إلى موضوع اللفظ
ونصبها على المصدر لأنها في معنى الإيتاء أو الحال من الواو أو الصدقات أي آتوهن صدقاتهن ناحلين
أو منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم
انتحل فلان كذا إذا دان به على أنه مفعول له أو حال من الصدقات والخطاب للأزواج وقيل للأولياء
لأنهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى أو يجري
مجرى اسم الإشارة كقوله كأنه في الجلد توليع البهق أي كأن ذاك وقيل للإيتاء ونفسا
تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فإن وهبن لكم من الصداق شيئا عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس
للمبالغة وعداه بعن لتضمنه معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا
مريئا فخذوه وأنفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا
ساغ من غير غص أقيمتا مقام مصدريهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالا من الضمير وقيل
الهنيء ما يلذه الإنسان والمريء ما تحمد عاقبته روي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من
زوجته شيئا مما ساق إليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء أموالكم نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم

فيضيعوها وإنما أضاف الأموال إلى الأولياء لأنها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة
والمتأخرة وقيل نهى لكل أحد أن يعمد إلى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته وأولاده ثم ينظر إلى أيديهم
وإنما سماهم سفهاء استخفافاً بعقلهم واستهجاناً لجعلهم قواماً على أنفسهم وهو أوفق لقوله
التي جعل الله لكم قياماً للمبالغة وتركيباً لمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواماً وهو ما يقام به وارزقوهم
فيها واكسوهم واجعلوها مكاناً لرزقهم وكسوتهم بأن تتجروا وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون
إليه وقولوا لهم قولاً معروفاً عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن
والمنكر ما أنكره أحدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروا وهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين
والتهدي إلى ضبط المال وحسن التصرف بأن يكل إليه مقدمات العقد وعند أبي حنيفة بأن يدفع
إليه ما يتصرف فيه حتى إذا بلغوا النكاح حتى إذا بلغوا حد البلوغ بأن يحتلم أو يبلغ خمس
عشرة سنة عندنا لقوله عليه السلام إذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه وأقيمت
عليه الحدود وثماني عشرة عند أبي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لأنه يصلح للنكاح عنده
فإن آنستم منهم رشداً فإن أبصرتم منهم رشداً أو عرفتم أحسستم بمعنى أحسستم فادفعوا إليهم أموالهم
من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية أن إن الشرطية جواب إذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية
الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس
الرشد منهم وهو دليل على أنه لا يدفع إليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال أبو حنيفة إذا زادت
على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الأحوال إذ الطفل يميز بعدها ويؤمر
بالعبادة دفع إليه المال وإن لم يؤنس منه الرشد ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا مسرفين ومبادرين
كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنياً فليستعفف من أكلها ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف بقدر
حاجته وأجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق في مال الصبي وعنه
عليه السلام أن رجلاً قال له إن في حجري يتيماً أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالاً
ولا واق مالك بماله وإيراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها دليل على أنه نهي للأولياء أن يأخذوا وينفقوا
على أنفسهم أموال اليتامى فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم بأنهم قبضوها فإنه أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة
ووجوب الضمان وظاهره يدل على أن القيم لا يصدق في دعواه إلا بالبينة وهو المختار عندنا وهو
مذهب مالك خلافاً لأبي حنيفة وكفى بالله حسيباً محاسباً فلا تخالفوا ما أمرتم به ولا تجاوزوا ما حد
لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه
أو كثر بدل مما ترك بإعادة العامل نصيباً مفروضاً نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله
أو حال إذ المعنى ثبت لكم مفروضاً نصيباً أو على الاختصاص بمعنى أعني نصيباً مقطوعاً واجباً لهم
وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي أن أوس بن الصامت الأنصاري
خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه
عنهن على سنة الجاهلية فإنهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال ويقولون إنما يرث من يحارب
ويذب عن الحوزة فجاءت أم كحة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال

ارجعي

ان يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره وانفه وفمه واذنيه وعينيه فيعرف

ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئاً فإن الله قد جعل لهن نصيباً
ولم يبين حتى ينزل يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على
جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وإذا حضر القسمة أولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فأعطوهم
شيئاً من المقسوم تطييباً لقلوبهم وتصدقاً عليهم وهو أمر ندب للبلغ من الورثة وقيل أمر وجوب
ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك وما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولاً معروفاً وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا
ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم أمر للأوصياء بأن يخشوا الله ويتقوه
في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم أو للحاضرين المريض عند
الإيصاء بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوهم
أن يضر بهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من الضعفاء من الأقارب واليتامى
والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافاً مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للموصين
بأن ينظروا للورثة ولا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيز جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين
حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يخلفوا ذرية ضعافاً خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الأمر عليه
إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وأن يحب لأولاد غيره ما يحب لأولاده وتهديد
للمخالف بحال أولاده فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً أمرهم بالتقوى التي هي نهاية الخشية بعدما أمرهم
بها مراعاة للمبدأ والمنتهى إذ لا ينفع الأول دون الثاني ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون
لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب أو للمريض ما يصده عن الإسراف في الوصية بما لا يؤدي إلى مجاوزة
الثلث وتضييع الورثة إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ظالمين أو على وجه الظلم إنما يأكلون في بطونهم أي ملء
بطونهم ناراً ما يجر إلى النار وتؤول إليها وعن أبي بردة أنه قال عليه السلام يبعث الله ناساً من قبورهم
تأجج أفواههم ناراً فقيل من هم فقال ألم تر أن الله تعالى يقول إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون
في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً سيدخلون ناراً وأي نار وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الياء
مخففاً وقرئ به مشدداً يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته وأصليته وصليته
ألقيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار إذا ألهبتها يوصيكم الله في أولادكم في شأن
ميراثهم وهو إجمال تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين أي يعد كل ذكر بأنثيين حيث اجتمع صنفان فيضعف
نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لأن القصد إلى بيان فضله والتنبيه على أن التضعيف
كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فإن كن نساء
أي فإن كانت الأولاد نساء خلصاً ليس معهن ذكر فأنث الضمير باعتبار الخبر أو على تأويل المولودات
فوق اثنتين خبر ثان أو صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم
ويدل عليه المعنى وإن كانت واحدة فلها النصف أي وإن كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على
أن كان تامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لأنه تعالى جعل الثلثين
لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لأنه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين

إذا كان معها أختي ... فلأن يرضيها الثلثان ثم لما أوهم ذلك أن يزاد النصيب بزيادة
العدد رد ذلك بقوله فإن كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك أن البنت الواحدة لما استحقت الثلث
مع أخيها الذكر فبالحري أن تستحقه مع أخت مثلها وأن البنتين أمس رحماً من الأختين وقد فرض لهما الثلثان
بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولأبويه ولأبوي الميت لكل واحد منهما السدس بدل منه بتكرير العامل وفائدته
التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الإجمال تأكيداً مما ترك إن كان له الميت
ولد ذكر أو أنثى غير أن الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض أيضاً بالعصوبة
فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فقط فلأمه الثلث مما ترك وإنما لم يذكر حصة الأب لأنه لما فرض أن الوارث
أبواه فقط وعين نصيب الأم علم أن الباقي للأب وكأنه قال فلهما ما ترك أثلاثاً وعلى هذا ينبغي أن يكون
لها حيث معها أحد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فإنه يفضي
إلى تفضيل الأنثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فإن كان له إخوة فلأمه السدس
بإطلاقه يدل على أن الإخوة يردونها من الثلث إلى السدس وإن كانوا لا يرثون مع الأب وعن ابن عباس
أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم والجمهور على أن المراد بالإخوة عدد ممن له أخوة من غير
اعتبار التثليث سواء كان من الإخوة أو الأخوات وقال ابن عباس لا يحجب الأم من الثلث ما دون الثلاثة
ولا الأخوات الخلص أخذاً بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلإمه بكسر الهمزة إتباعاً للكسرة التي
قبلها من بعد وصية يوصي بها أو دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أي هذه الأنصباء للورثة
من بعد ما كان من وصية أو دين وإنما قال بأو التي للإباحة دون الواو للدلالة على أنهما متساويان
في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم
لأنها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب إليها الجميع والدين إنما يكون على الندور وقرأ ابن
كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً أي لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم
من أصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا إلى تفضيل بعض
وحرمانه روي أن أحد المتوالدين إذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة سأل أن يرفع إليه فيرفع
بشفاعته أو من يورثكم منهم أو من أوصى منهم فعرضكم للثواب بإمضاء وصيته أم من لم يوص
فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لأمر القسمة أو تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد أو مصدر
يوصيكم الله لأنه في معنى يأمركم ويفرض عليكم إن الله كان عليماً بالمصالح والرتب حكيماً فيما قضى
وقدر ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن أي ولد وارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بني بنيها
وإن سفل ذكراً كان أو أنثى منكم أو من غيركم من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان
لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا
قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه إلا أولاد الأم والمعتق والمعتقة
وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وإن كان رجل أي الميت يورث أي يورث منه من يورث
صفة رجل كلالة خبر كان أو يورث خبر وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولداً ولا والداً
أو مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز أن يكون الرجل الوارث ويورث

من أورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد ويورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل
المعاني الثلاثة وعلى الأول خبر أو حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الأصل
مصدر بمعنى الكلال قال الأعشى فآليت لا أرثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية
لأنها كالة بالإضافة إليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي
أو امرأة عطف على رجل وله أي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه
أخ أو أخت أي من الأم ويدل عليه قراءة أبي وسعد بن مالك وله أخ أو أخت من الأم وأنه ذكر في
آخر السورة أن للأختين الثلثين وللإخوة الكل وهو لا يليق بأولاد الأم وأن ما قدر ههنا فرض
الأم فيناسب أن يكون لأولادها فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والأنثى
في القسمة لأن الإدلاء بمحض الأنوثة ومفهوم الآية أنهم لا يرثون ذلك مع الأم والجدة كما لا يرثون مع البنت
وبنت الابن فخص فيه بالإجماع من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار أي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث
أو قصد المضارة بالوصية دون القربة والإقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه
القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وعاصم وصية من الله
مصدر مؤكد أو منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده أنه قرئ غير مضار وصية بالإضافة
أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة أو وصية بالأولاد بالإسراف في الوصية
والإقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك إشارة إلى الأحكام التي تقدمت
في أمر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب
مهين توحيد الضمير في يدخل وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله وخالدين حال
مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائداً به غداً وكذلك خالداً وليسا صفتين لجنات وناراً وإلا لوجب
إبراز الضمير لأنهما جريا على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم أي يفعلنها يقال أتى الفاحشة وجاءها
وغشيها ورهقها إذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن أربعة منكم
فاطلبوا ممن قذفهن أربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت أي فاحبسوهن في
البيوت واجعلوها سجناً عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي أرواحهن الموت أو يتوفاهن ملائكة الموت قيل
كان ذلك عقوبتهن في أوائل الإسلام فنسخ بالحد ويحتمل أن يكون المراد به التوصية بإمساكهن بعد أن يجلدن كي لا يجري عليهن ما
جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني أو يجعل الله لهن سبيلاً
كتعيين الحد المخلص عن الحبس أو النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزانية والزاني
فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الإيذاء أو
أعرضوا عنهما بالإغماض والستر إن الله كان تواباً رحيماً علة الأمر بالإعراض وترك المذمة قيل هذه الآية
سابقة على الأولى نزولاً وكان عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الأولى في السحاقات وهذه
في اللواطين والزانية والزاني في الزناة إنما التوبة على الله أي إن قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى
وعده من تاب عليه إذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها سفهاً فإن ارتكاب الذنب سفه

من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يصروا على السوء **فاولئك يتوب الله عليهم** وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله **وكان الله عليما** فهو يعلم باخلاصهم في التوبة **حكيما** والحكيم لا يعاقب التائب **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار** سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هولاء وعدم توبة هولاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المومنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار **اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما** تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء **يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها** كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرا حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن** عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل **الا ان ياتين بفاحشة مبينة** كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف والمفعول له وتقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة الا ان ياتين بفاحشة **وعاشروهن بالمعروف** بالانصاف في الفعل والاجمال في القول **فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم **وان اردتم استبدال زوج مكان زوج** تطليق امراة وتزوج اخرى **واتيتم احداهن** اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس **قنطارا** مالا كثيرا **فلا تاخذوا منه شيئا** اي من القنطار **اتاخذونه بهتانا واثما مبينا** استفهام انكار وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين واثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم الماثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد امراة جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا

الظلم

بالظلم **وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض** انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر **واخذن منكم ميثاقا غليظا** عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله **ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم** ولا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر **من النساء** بيان ما نكح على الوجهين **الا ما قد سلف** استثناء من المعنى اللازم للنهي فكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل ابائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مواخذة عليه لا انه مقرر **انه كان فاحشة ومقتا** علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي **وساء سبيلا** سبيل من يراه ويفعله **حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت** ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تعم من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة وولد الطفل والذي له اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب واستثناء اصحابنا ام الاخ واخت الابن من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب **وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاع لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من اخر واللاتي صفتها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول عليه السلام فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي تقييد الحرمة فيهما ولا يجوز ان يكون الموصولان صفة للنساءين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي انه جعله شرطا والامهات والربائب سواء ولان الربيبة في البعد وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهو كناية عن الجماع ويوثر فيما ليس بزنا كالوطي بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول **فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** تصريح بعد اشعار دفعا

للغائبين وحلائل أبنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها أو لحلولها مع الزوج الذين من أصلابكم احترازا عن المتبنى
لا عن أبناء الولد وأن تجمعوا بين الأختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر أن الحرمة غير مقصورة
على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما
حرمتهما آية وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله أو ما ملكت أيمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل
وقول علي أظهر لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام
إلا غلب الحرام إلا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى أو منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله
إن الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الأزواج أحصنهن التزويج أو الأزواج وقرأ الكسائي بكسر
الصاد لأنهن أحصن فروجهن إلا ما ملكت أيمانكم يريد ما ملكتم أيمانكم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار
فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول أبي سعيد أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج فكرهنا
أن نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن وإياه عنى الفرزدق بقوله
وذات حليل أنكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال أبو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح
ولم تحل للسابي وإطلاق الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء
كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع أي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل وأحل لكم عطف على الفعل
المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت
ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات
الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى أحل لكم ما وراء
ذلكم إرادة أن تبتغوا بأموالكم بالصرف في مهورهن أو أثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز
أن لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل إرادة أن تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين أو بدل من ما وراءكم
بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على أن المهر لا بد وأن يكون مالا ولا حجة فيه والإحصان العفة فإنها
تحصين النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فإنه الغرض منه فما استمتعتم
به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات أو فما استمتعتم به منهن من جماع أو عقد عليهن فآتوهن أجورهن مهورهن
فإن المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الأجور بمعنى مفروضة أو صفة مصدر محذوف أي إيتاء
مفروضا أو مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي أو
فيما تراضيا به من نفقة أو مقام أو فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتحت
مكة ثم نسخت كما روي أنه عليه السلام أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمي بها إذ الغرض منها
مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما يعطي وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه إن الله كان عليما بالمصالح
حكيما فيما شرع من الأحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء وأصله الفضل والزيادة
أن ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا أو بفعل مقدر صفة له أي ومن لم يستطع منكم أن يعتلي
نكاح المحصنات أو من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات
يعني الإماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعي رضي الله عنه في تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعله صداقا

ومنع نكاح الأمة الكتابية مطلقا وأول أبو حنيفة طول المحصنات بأن يملك فراشهن على أن النكاح هو الوطء وحمل
قوله من فتياتكم المؤمنات على الأفضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن أصحابنا من حمله أيضا على التقييد
وجوز نكاح الأمة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور
في نكاح الأمة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله أعلم بإيمانكم فاكتفوا بظاهر الإيمان
فإنه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الإيمان فرب أمة تفضل الحرة فيه ومن حقكم أن تعتبروا فضل
الإيمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الإماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض
أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الإسلام فانكحوهن بإذن أهلهن يريد أربابهن واعتبار
إذنهم مطلقا لا إشعار له على أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن أجورهن
أي أدوا إليهن مهورهن بإذن أهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره أو إلى مواليهن فحذف المضاف للعلم بأن المهر
للسيد لأنه عوض حقه فيجب أن يؤدى إليه وقال مالك المهر للأمة ذهابا إلى الظاهر بالمعروف بغير مطل
وإضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات مجاهرات بالسفاح ولا متخذات أخدان أخلاء في
السر فإذا أحصن بالتزويج فإن أتين بفاحشة زنى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب من الحد لقوله
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على أن حد العبد نصف حد الحر وأنه لا يرجم لأن الرجم لا
يتنصف ذلك أي نكاح الإماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الأصل انكسار
العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة الإثم بأفحش القبائح وقيل المراد به
الحد وهذا شرط آخر لنكاح الإماء وأن تصبروا خير لكم أي وصبركم عن نكاح الإماء متعففين خير لكم قال
عليه السلام الحرائر صلاح البيت والإماء هلاكه والله غفور لمن يصبر رحيم بأن رخص له يريد الله ليبين
لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام أو ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن أعمالكم وليبين مفعول يريد واللام
مزيدة لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للإرادة كما في قول قيس بن سعد أردت لكيما يعلم الناس أنه
سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له أي يريد الخلق لأجله ويهديكم
سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من الأنبياء والصالحين لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم أو يرشدكم
إلى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة أو إلى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها
والله يريد أن يتوب عليكم كرره للتأكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فإن اتباع
الشهوات الائتمار لها وأما المتعاطي لما سوغه الشرع دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل اليهود
فإنهم يحلون الأخوات من الأب وبنات الأخ والأخت أن تميلوا عن الحق ميلا عظيما بموافقتهم على اتباع
الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالإضافة إلى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها
يريد الله أن يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كإحلال
نكاح الأمة وخلق الإنسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث
وإن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه إن الله لا يغفر أن يشرك به إن الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل
سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار

إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع أي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه أو اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لأنها أغلب وأرفق لذوي المروءات ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة وإضمار الاسم أي إلا أن تكون التجارة أو الجهة تجارة ولا تقتلوا أنفسكم بالبخع كما تفعله جهلة الهند أو بالإلقاء إلى التهلكة ويؤيده ما روي أن عمرو بن العاص تأول في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم أو بارتكاب ما يؤدي إلى قتلها أو باقتراف ما يذللها ويرديها فإنه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالأنفس من كان من أهل دينهم فإن المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث إنه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما أشار إليه بقوله إن الله كان بكم رحيما أي أمر ما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم ومعناه أنه كان بكم يا أمة محمد رحيما لما أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك إشارة إلى القتل أو ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما إفراطا في التجاوز عن الحق وإتيانا بما لا يستحقه وقيل أراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله إياها وقرئ بالتشديد من صلّى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله أو لذلك من حيث إنه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على إرادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والأقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا أو صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنها سبع الإشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر إلى سبعمائة أقرب منها إلى السبع وقيل أراد هنا أنواع الشرك لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالإضافة إلى ما فوقها وما تحتها فأكبر الكبائر الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الأمران فمن عنّ له أمران منهما ودعت نفسه إليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الأكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الأشخاص والأحوال ألا ترى أنه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا أن يؤاخذ عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب أو إدخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو أيضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الأمور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة إلى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضى بما قسم الله له وأنه تشه لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لأن تمني ما لم يقدر له معارضة لحكم القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك أي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن أجله فاطلبوا الفضل من الله بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الإيمان بالتمني

وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله أي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على أن المنهي هو الحسد أو لا تتمنوا واسألوا الله من فضله ما يقربه ويسوقه إليكم إن الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل إنسان فيفضل عليه عن علم وتبيان روي أن أم سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون أي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحوزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل أو ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على أن من صلة موالي لأنه في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان والأقربون استئناف مفسر للموالي وفيه خروج الأولاد فإن الأقربين لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين أو ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والأقربون على أن جعلنا موالي صفة كل والراجع إليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عقدت أيمانكم موالي الموالاة فآتوهم نصيبهم مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم أو منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه أو معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم فحذف العهود وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الأخرى إن الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بأمرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما أنفقوا من أموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتص منه فنزلت فقال أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الأزواج حافظات للغيب لمواجب الغيب أي يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لأسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله إياهن بالأمر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على أن ما موصولة فإنها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالأمر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الأزواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف أو لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت أي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والأمور الثلاثة مرتبة ينبغي أن يتدرج فيها فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والإيذاء والمعنى فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له إن الله كان عليا كبيرا فاحذروه فإنه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم

او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه تعالى يتعالى عن ان يظلم احدا او
ينقصه حقه وان خفتم شقاق بينهما خلاف بين المرء وزوجته اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة
الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله
وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح
للحكومة والاصلاح حكما من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على
وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم
والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك رحمه الله
لهما ان يخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان
قصدا الاصلاح يوفق الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح
يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزال الشقاق اوقع الله
الالفة بينهما والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا
بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره
او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة
واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ
بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وقال عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له
ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق
واحد وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك
وحصل بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا
يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم
الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ
خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل وقرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح
الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم اهتماما بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع
الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا للنعمة فله عذاب يهينه
كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا
اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو
الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ
خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه
وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرينهم
فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة
ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله

اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بسبب الايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والا
عتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة
والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع
وانما قدم الايمان هنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره هاهنا الى التخصيص وثم الى التعليل وكان الله
بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة
الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم
جزاؤه وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف
النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف
ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على
سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه
تابع للاجر مزيد عليه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل
امة بشهيد يعني نبيا يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر
من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك
بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى
المؤمنين كقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان
لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا
فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا
يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا
يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على
افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر
تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى بحذف التاء الثانية
يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او
خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع مأدبة
ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب
فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد
وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلاة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر
وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى او كسكرى كحبلى
على انها صفة للجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب
الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري
سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلاة جنبا في عامة
الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا

اي جنبا مقيمين غير عابري سبيل ... لان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري السبيل
بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد
الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفيه تنبيه على ان
المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا
يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه
او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم
النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي رحمه الله على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل
او جامعتموهن وقرا حمزة والكسائي لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا
ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما
محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان
حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل
احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين
جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا شيئا من
وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزاه وقال اصحابنا
لا بد ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه
وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب
وما روي انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد بها هنا وايديكم
الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر
اليهم او القلب وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التوراة
لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه
او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التوراة ويريدون ان تضلوا
ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم
فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد
في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه
يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا او يحفظكم
منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه
التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل
الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع
اي مدعوا عليك بلا سمعت لصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما
ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها
من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك ... ليا بالسنتهم

فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا
وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون
من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت
قولهم هذا لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة
ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم الله وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبا به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله
قليل التشكي للمهم يصيبه او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا
مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها
فنسلب وجاهتها واقبالها او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس ازالة
الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطمس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه
من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث
جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء
او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع
ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم به كما اخزينا اصحاب السبت
او نمسخهم مسخا مثل مسخهم او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه
او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد بها الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل
على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد
مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده
او ما حكم به وقضى به مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر
ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه وان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو
بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا
والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن
يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى من آيات الوعد
ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها
والآية كما هي حجة عليهم هي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار
ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين
سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم
يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاءوا باطفالهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار
كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي
من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان

من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا
يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق
النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله واحباؤه وازكياء
عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعونا اليه محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا
على محاربة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا
لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون
الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود
او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا
وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها
ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود
من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا
ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم يبخلون بالنقير وهم ملوك
فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على
الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء
والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله والمؤمنين
او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخ
وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله
من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز او جعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم
الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه
الله تعالى مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم
من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في
ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها
اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا
كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى
كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال
ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية
المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق
حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين
ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب

فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل
لتأكيد كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين
والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح
ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي رضي الله عنه يده واخذه منه
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح
ويجمع له السقاية والسدانة فأمره الله تعالى ان يرده اليه فأمر عليا رضي الله عنه ان يرده اليه
ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين
الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والتسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى
بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم
الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة والمخصوص بالمدح
محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم
واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر
الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء
الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع
المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه الى الله
فارجعوا فيه الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به
منكرو القياس فقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب
بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك
الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام ثلاث
مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
فان الايمان يوجب ذلك ذلك اي الرد خير لكم واحسن تأويلا عاقبة او احسن من تأويلكم بلا رد
الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم
يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف
ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم
الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم
اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه
ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله
فنزلت وقال جبريل عليه السلام ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت
على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه

اولياهم بالشيطان ادلا التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله تعالى بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام وتعلق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب ولم يقل واستغفرت لهم لان القياس يقتضي هذا القول [illegible] تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقرا

حمزة وعاصم بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل منهم وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلت في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضة الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجتهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق ولانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير لونه ونحل جسمه فساله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزلة دون منزلتك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل من الله صفته من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير

[illegible] خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر
وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت
على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا
مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات
كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين
منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو
لازم او ليبطئوا غيرهم كما بطأ ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقول من بطؤ كثقل من ثقل
واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه
صلة من والراجع اليها ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم
مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم
ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسره وقرئ بضم اللام اعادة
للضمير على معنى من كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل والمفعول وهو يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه
وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول
المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله
عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة
الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل بين ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة
واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث
لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب
على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله
الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل
المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم
المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما
وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم
شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يكون ثابتا في المعركة حتى يعز
نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء
الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف
من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من
الاسر وصونهم من العدو او على سبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز
نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي
الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا

بمكة لصد المشركين او ضعفهم مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي
ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الى الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى
يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان
يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم
فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية
مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من
هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله
والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر
اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين
بالاضافة الى كيد الله سبحانه للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه
ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا
للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ ومنهم صفته ويخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر
الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله
منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا
نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى اي كخشية الله او كخشية اشد
خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون
الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا من الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا
به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون
فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء
كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها وعلى انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون
ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر
من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة
ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية
اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا
ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها
قل كل من عند الله يقبض ويبسط حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به

وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لها او حادثا
من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان القابض والباسط هو الله تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة
من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف
يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة بعمله الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا
وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى
قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة
وانتقام كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى
انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكبر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة
وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا
للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في
زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ
والآمر هو الله تعالى روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله
فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان
نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم
اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا
امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة
على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت خلاف ما قلت لها
او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او
من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة
بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحي اليك
لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة او تجافى عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في
شأنهم وكفى بالله وكيلا يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتاملون في معانيه
ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله اي ولو كان من كلام البشر
كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه
ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع
دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان
القوة البشرية ولعل ذكره هاهنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في
الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف
اذاعوا به افشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله او
اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به
لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث

ولو ردوه اي ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولي الامر منهم الى رأيه ورأي كبار اصحابه البصراء
بالامور او الامراء لعلمه لعلمه على اي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم
وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه ويعرفوا انه هل يذاع ام لا لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من
الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو
الماء يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب
لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب
وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور
فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا تضرك مخالفتهم وتقاعدهم
فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه صلى الله عليه وسلم دعا الناس
في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ
لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف
احدا الا نفسك وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك في شأنهم الا التحريض عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا
يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا
تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها
عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه السلام من دعا
لاخيه بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة
والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من
وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال
وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه
من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام
ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته
وهي النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك
فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة
الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني واين
ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام
المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم
ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا
يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر
حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام
وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب والرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي رضي الله عنه

ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى
يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض
والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او
الجمع فهو حال عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه
فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم
في امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة
حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم
هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا
عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او عاملها ما كقولك ما لك قائما او في المنافقين اي فرقتين
اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله
اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم الى النار واصل الركس رد الشيء مقلوبا
اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه مهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا
تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو
نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا
ايمانهم بهجرة هي لله ولرسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان
الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا
نصيرا اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون
محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع قبل خروجه الى مكة
هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له
وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم
استثني عن المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او قوم كافين عن القتال
لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة
او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة
صدورهم وحصرات وحاصرات صدورهم او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت
صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض
ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى
قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن
لكم في قتلهم واخذهم ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار

اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر
او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم
وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف
لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور
عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له
وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ لانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا
يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ
وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر
والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او
لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف
وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي
ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل
مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق الكريم
من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها
عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة
الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن
فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة
حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه
او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل
النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان
المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون
الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله
وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الدية والكفارة
ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لا يملكها ولا ما
يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على
المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب الله
عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها
وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه
ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله
اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى

[illegible] كما ذكر عكرمة وغيره ان الآية نزلت في مقيس بن صبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماءكم واموالكم من غير ان تعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنمه فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي من الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهو الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول

الثاني لفضل لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال منه او من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان [illegible] فقد وقع اجره على الله الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة

حملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ الى التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال
اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع عليه رسولك فمات **واذا ضربتم في الارض** سافرتم **فليس عليكم**
جناح ان تقصروا من الصلاة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه دليل على جوازه دون وجوبه ويؤيده
انه عليه السلام اتم في السفر وان عايشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة واوجبه ابو حنيفة
لقول عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عايشة رضي الله عنها
اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما
يخالف الآية فان صحا فالاول مأول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة
فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر
ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر
يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن
الصلاة صفة محذوف عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش **ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا**
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها
كما لم يعتبر في قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت
السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة
ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره **واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة** تعلق بمفهومه من خص
صلاة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها
ليأتم به الائمة بعده وانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره **فلتقم طايفة منهم معك** فاجعلهم
طايفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطايفة الاخرى تجاه العدو **وليأخذوا اسلحتهم** اي
المصلون حزما وقيل الضمير للطايفة الاخرى وذكر الطايفة الاولى يدل عليهم **فاذا سجدوا** يعني المصلين
فليكونوا من ورائكم اي يحرسونكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه فغلب المخاطبين على الغائب
ولتأت طايفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحرب والحراسة **فليصلوا معك** ظاهره يدل على ان الامام
يصلي ركعتين بكل طايفة مرة كما فعل عليه السلام ببطن نخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت
الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قايما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه
العدو وتاتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف
بازاء العدو وتاتي الاخرى فتصلي معه ركعة وتتم صلاته ثم تعود الى وجهه وتاتي الاولى
فتؤدي الركعة الثانية من غير قراءة وتتم صلاتها **وليأخذوا حذرهم واسلحتهم** جعل الحذر آلة يتحصن
بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان
ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدون
عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح **ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر**

او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما
يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب **وخذوا حذركم** امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم
عليهم العدو **ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا** وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتتقوى
قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا
في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله **فاذا قضيتم الصلاة** اديتم وفرغتم منها
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلاة واشتد
الخوف فصلوها كيفما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين
فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف **فاقيموا الصلاة** فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها
وأتوا بها تامة **ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها
في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلاة فانها واجبة الاداء حال المسايفة
والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي
المحارب حتى يطمئن **ولا تهنوا** ولا تضعفوا **في ابتغاء القوم** في طلب الكفار بالقتال **ان تكونوا تالمون**
فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال
داير بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق
الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح
بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم يالمون علة للنهي عن الوهن لاجله والآية
نزلت في بدر الصغرى **وكان الله عليما** باعمالكم وضمائركم **حكيما** فيما يامر وينهى **انا انزلنا اليك الكتاب**
بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب
دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل
اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا
الى رسول الله فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي
فهم رسول الله ان يفعل **بما اراك الله** بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا
لاستدعى ثلاثة مفاعيل **ولا تكن للخائنين** اي لاجلهم والذب عنهم **خصيما** للبرآء **واستغفر الله**
مما هممت به **ان الله كان غفورا رحيما** لمن يستغفره **ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم** يخونونها فان وبال خيانتها
يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه
فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه **ان الله لا يحب من كان خوانا** مبالغا في الخيانة
مصرا عليها **اثيما** منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله
فسقط الحائط عليه فقتله **يستخفون من الناس** يستترون منهم حياء وخوفا **ولا يستخفون من الله**
ولا يستحيون من الله وهو احق بان يستحيا منه ويخاف **وهو معهم** لا يخفى عليه سرهم فلا طريق
معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه **اذ يبيتون** يدبرون ويزورون **ما لا يرضى من القول**

مثل رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور (وكان الله بما يعملون محيطا) لا يفوت عنه شيء (ها أنتم هؤلاء) مبتدأ
وخبر (جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) جملة مبينة لوقوع هؤلاء خبرا أو صلة عند من جعله موصولا (فمن يجادل الله
عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا) محاميا يحميهم من عذاب الله (ومن يعمل سوءا) قبيحا يسوء به غيره (أو يظلم
نفسه) بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة
والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة (يجد الله غفورا) لذنوبه (رحيما) متفضلا عليه وفيه حث لطعمة
وقومه على التوبة والاستغفار (ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه) فلا يتعداه وباله لقوله
وإن أسأتم فلها (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته (ومن يكسب خطيئة) صغيرة
أو ما لا عمد فيه (أو إثما) كبيرة أو ما كان عن عمد (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا
(فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وإن كان
مقترفا أحدهما دون مقترف الآخر (ولولا فضل الله عليك ورحمته) بإعلام ما هم عليه بالوحي والعصمة الرسول
وجهه للتعظيم له ولأمته فإن عصمة الرسول والاطلاع على أحوال طعمة في جحيم (لهمت
طائفة منهم) أي من بني ظفر (أن يضلوك) عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا
وليس القصد فيه إلى نفي همهم بل إلى نفي تأثيره فيه (وما يضلون إلا أنفسهم) لأنه ما أزلك
عن الحق وعاد وباله عليهم (وما يضرونك من شيء) فإن الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا
منك على ظاهر الأمر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر أي شيئا من الضرر
(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) من خفيات الأمور أو من أمور الدين والأحكام (وكان فضل الله
عليك عظيما) إذ لا فضل أعظم من النبوة (لا خير في كثير من نجواهم) من متناجيهم لقوله تعالى وإذ هم
نجوى أو من تناجيهم فقوله (إلا من أمر بصدقة أو معروف) على حذف مضاف أي إلا نجوى من أمر أو على
الانقطاع بمعنى لكن من أمر بصدقة في نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره
العقل وفسر هاهنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به (أو إصلاح
بين الناس) أو إصلاح ذات البين (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) بنى الكلام على الأمر ورتب
الجزاء على الفعل ليدل على أنه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم وأن
العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الأمر من حيث إنه وصلة إليه وقيد الفعل بأن يكون لطلب
مرضاة الله لأن الأعمال بالنيات وأن من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله أجرا
ووصف الأجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من أعراض الدنيا (ومن يشاقق الرسول)
يخالفه من الشق فإن كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له الحق
بالوقوف على المعجزات (ويتبع غير سبيل المؤمنين) غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل (نوله ما تولى)
نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره (ونصله جهنم) وندخله فيها
وقرئ بفتح النون من صلاه (وساءت مصيرا) جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الإجماع
لأنه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك إما
لحرمة كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما والثاني باطل إذ يقبح أن يقال من شرب الخمر

وأكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لأن المشاقة محرمة ضم إليها غيرها أو لم يضم وإذا كان
اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لأن ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع
غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الأفهام إلى مبادي الأحكام (إن الله لا يغفر أن يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) كرره للتأكيد أو لقصة طعمة وقيل جاء شيخ إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به
ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جرأة وما توهمت طرفة عين أني أعجز
الله هربا وإني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن
الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة وإنما ذكر في الآية الأولى
فقد افترى لأنها متصلة بقصة أهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله تعالى
(إن يدعون من دونه إلا إناثا) يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه
أنثى بني فلان وذلك إما لتأنيث أسمائها كما قال: وما ذكر فإن يسمن فأنثى، شديد الأزم ليس له ضروس
فإنه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فإذا كبر سمي حلمة أو لأنها كانت جمادات والجمادات
تؤنث من حيث إنها ضاهت الإناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على أنهم يعبدون
ما يسمونه إناثا لأنه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود أن يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا
على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع أنثى كرباب
وربى وقرئ أنثى على التوحيد وأنثا على أنه جمع أنيث كخبيث وخبث ووثنا بالتخفيف
والتثقيل وهو جمع وثن كأسد وأسد وأثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة (وإن يدعون) وإن يعبدون
بعبادتها (إلا شيطانا مريدا) لأنه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة
له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير وأصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام أمرد وشجرة
مرداء للتي تناثر ورقها (لعنه الله) صفة ثانية للشيطان (وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) عطف
عليه أي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه
أولا أن الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بأن ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا
اختياريا وذلك ينافي الألوهية غاية المنافاة فإن الإله ينبغي أن يكون فاعلا غير منفعل
ثم استدل عليه بأنه عبادة الشيطان وهي أفظع الضلال لثلاثة أوجه الأول أنه مريد منهمك
في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني أنه ملعون
لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث أنه في غاية العداوة والسعي
في إهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع أي نصيبا
قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء (ولأضلنهم) عن الحق (ولأمنينهم) الأماني الباطلة كطول الحياة
وأن لا بعث ولا عقاب (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) يشقونها لتحريم ما أحل الله وهي عبارة
عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب وإشارة إلى تحريم كل ما أحل ونقص كل ما خلق كاملا
بالفعل أو القوة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) عن وجهه صورة أو صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين

الخاصي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي
هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ
يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان
نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار ما يدعو اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن
طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار
يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا
الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا
من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل
ايضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك
حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب
الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه
حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد
الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في
تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون
ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر
في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل
نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا
يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر
باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار او قولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن
حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزلت قال
ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى
يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله وليا
ونصرته من ينوب الله في نصرته في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئا منها فان
كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان
او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها
في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فيه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا
بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي
ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه
لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك
منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة

سماعون للكذب كرره للتأكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت
البركة وقرأه ابن كثير وابو عمرو ويعقوب والكسائي بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ
بفتح السين على لفظ المصدر فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول
للشافعي رحمه الله والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم
ودفع الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة رحمه الله يجب مطلقا وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم
بالقسط بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك
وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه
في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما
طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة
ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة
المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق
لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم
لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التوراة فيها هدى يهدي الى الحق
ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن
بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين
اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المؤمنين وتعريضا بشأن اليهود
وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون
بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم
السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم
بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا
عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا
فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا
فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها
ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم
الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون
والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان
يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة
لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون
في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التوراة ان النفس بالنفس اي ان النفس

تقتل بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن رفعها الكسائي على أنها جمل معطوفة على
أن وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فإن الكتب
والقراءة تقعان على الجمل كالقول أو جمل مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والأنف
مجدوع بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن أو على أن المرفوع منها معطوف
على المستكن في قوله بالنفس وإنما ساغ لأنه في الأصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور
حال مبينة للمعنى والجروح قصاص أي ذات قصاص وقرأه الكسائي أيضا بالرفع وابن كثير وأبو عمرو
وابن عامر على أنه إجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص أي فمن عفى
عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه
وقرئ فهو كفارته له أي فالتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم
بما أنزل الله من القصاص وغيره فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم أي واتبعناهم على آثارهم فحذف
المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدى إليه
الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب
بالحال على الحال ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما
على المفعول له عطفا على محذوف أو تعليلا به وعطف وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه عليه في قراءة
حمزة وعلى الأول اللام متعلقة بمحذوف أي وآتيناه ليحكم وقرئ وأن ليحكم على أن أن موصولة بالأمر كقولك
أمرتك بأن قم أي وأمرنا بأن ليحكم ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون عن حكمه أو عن الإيمان إن كان
مستهينا به والآية تدل على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام وأن اليهودية منسوخة ببعثة
عيسى عليه السلام وأنه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب
العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر وأنزلنا إليك الكتاب أي القرآن بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب
من جنس الكتب المنزلة فاللام الأولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب
يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول أي هومن عليه وحوفظ
من التحريف والحافظ له هو الله تعالى أو الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما أنزل الله أي بما أنزل
إليك ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه إلى ما يشتهونه فعن صلة للا تتبع لتضمنه
معنى لا تنحرف أو حال من فاعله أي لا تتبع أهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم أيها الناس شرعة
شريعة وهي الطريقة إلى الماء شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية وقرئ
بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الأمر إذا وضح واستدل به على أنا غير متعبدين
بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الأعصار
من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم
على الإسلام لأجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل
تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى الحكمة الإلهية أم تزيغون عن الحق
وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل

فإن جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما أفاض عليها من الوجود وأنواع الخصائص والكمالات
على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع إلى قوله يغن الله كلا من سعته فإنه توكل بكفايتهما وما بينهما
تقرير لذلك إن يشأ يذهبكم أيها الناس يفنكم ومفعول يشاء محذوف دل عليه الجواب ويأت بآخرين
ويوجد قوما آخرين مكانكم أو خلقا آخرين مكان الإنس وكان الله على ذلك من الإعدام والإيجاد قديرا
بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا أيضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف أمره
وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله وإن تتولوا
يستبدل قوما غيركم لما روي أنه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان
وقال إنهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له
يطلب أخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو ليطلب
الأشرف منهما فإن من جاهد خالصا لله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء
أو فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريد كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه
وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالأغراض فيجازي كلا بحسب حاله يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو
خبر ثان أو حال ولو على أنفسكم ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقروا عليها لأن
الشهادة بيان للحق سواء كان عليه أو على غيره أو الوالدين والأقربين ولو على والديكم وأقاربكم
إن يكن أي المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له غنيا أو فقيرا فلا تمتنعوا عن
إقامة الشهادة أو لا تجوروا فيها ميلا أو ترحما فالله أولى بهما بالغني والفقير وبالنظر
لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب أقيمت مقامه
في بهما راجع إلى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا إليه وإلا لوحد ويشهد
عليه أنه قرئ فالله أولى بهم فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا لأن تعدلوا عن الحق أو كراهة أن
تعدلوا من العدل أو العدول وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل وقرئ
وإن تلوا بمعنى وإن وليتم إقامة الشهادة أو تعرضوا عن أدائها فإن الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم
عليه يا أيها الذين آمنوا خطاب للمسلمين أو المنافقين أو لمؤمني أهل الكتاب إذ روي أن ابن سلام
وأصحابه قالوا يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت
آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل اثبتوا على الإيمان بذلك وداوموا عليه أو آمنوا
به بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم أو آمنوا إيمانا عاما يعم الكتب والرسل فإن الإيمان بالبعض
كلا إيمان والكتاب الأول القرآن والثاني الجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أي ومن يكفر
بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه إن الذين آمنوا يعني
اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده إليهم ثم كفروا بعيسى
ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم أو قوما تكرر منهم الارتداد ثم أصروا على الكفر وازدادوا
تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا إذ يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا

على الإيمان فإن قلوبهم ضُرّيت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا أنهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في أمثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريداً ليغفر لهم بشّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً يدل على أن الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالإصرار على النفاق وإفساد الأمر على المؤمنين ووضع بشّر مكان أنذر تهكماً بهم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين في محل النصب أو الرفع على الذم بمعنى أريد الذين أو هم الذين أيبتغون عندهم العزة أيتعززون بموالاتهم فإن العزة لله جميعاً لا يتعزز إلا من أعزه الله وقد كتب العزة لأوليائه فقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالإضافة إليهم وقد نزّل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرئ نزّل والقائم مقام فاعله أن إذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى أنه إذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من يجالسه هازئاً معانداً غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها إنكم إذاً مثلهم في الإثم لأنكم قادرون على الإعراض عنهم والإنكار عليهم أو الكفر إن رضيتم بذلك أو لأن الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار كانوا منافقين ويدل عليه إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً يعني القاعدين والمقعود معهم وإذاً ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وإفراد مثلهم لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لإضافته إلى مبني كقوله تعالى مثل ما أنكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع أمر بكم وهو بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين والكافرين أو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ خبره فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم مظاهرين لكم فأسهموا لنا فيما غنمتم وإن كان للكافرين نصيب من الحرب فإنها سجال قالوا ألم نستحوذ عليكم أي قالوا للكفرة ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس أن يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الأصل ونمنعكم من المؤمنين بأن خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فأشركونا فيما أصبتم وإنما سمي ظفر المسلمين فتحاً وظفر الكافرين نصيباً لخسة حظهم فإنه مقصور على أمر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً حينئذ أو في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به أصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لأنه لا ينفي أن يكون إذا عاد إلى الإيمان قبل مضي العدة إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه أول سورة البقرة وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كَسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراءون الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعّم وناعم أو للمقابلة فإن المرائي يُري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله إلا قليلاً إذ المرائي لا يفعل إلا بحضرة من يراه وهو أقل أحواله أو لأن ذكرهم باللسان قليل بالإضافة إلى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فإنهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراءون كقوله ولا يذكرون أي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين أو واو يذكرون أو منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الإيمان والكفر من الذبذبة

وهو جعل الشيء مضطرباً وأصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو يتذبذبون كقوله صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى أخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء لا منسوبين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين أو لا صائرين إلى أحد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً إلى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين فإنه صنيع المنافقين ودينهم أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً حجة بينة فإن موالاتهم دليل على النفاق أو سلطاناً يسلط عليكم عقابه إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وإنما كان كذلك لأنهم أخبث الكفرة إذ ضموا إلى الكفر استهزاء بالإسلام وخداعاً للمسلمين وأما قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ وإنما سماها السبع دركات لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك أوجه لأنه يجمع على أدراك ولن تجد لهم نصيراً يخرجهم منه إلا الذين تابوا عن النفاق وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به أو تمسكوا بدينه وأخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم إلا وجهه فأولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم أيتشفى به غيظاً أو يدفع به ضراً أو يستجلب به نفعاً وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وإنما يعاقب المصر بكفره لأن إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي إلى مرض فإذا زال بالإيمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وإنما قدم الشكر لأن الناظر يدرك النعمة أولاً فيشكر شكراً مبهماً ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكراً مثيباً يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليماً بحق شكركم وإيمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي أن رجلاً ضاف قوماً فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعاً أي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعاً لكلام المظلوم عليماً بالظالم إن تبدوا خيراً أو تخفوه طاعة وبراً أو تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر إبداء الخير وإخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فإن الله كان عفواً قديراً أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم أولى بذلك وهو حث للمظلوم على العفو بعدما رخص له في الانتصار حملاً على مكارم الأخلاق إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم ويريدون أن يتخذوا بين ذلك بين الإيمان والكفر سبيلاً طريقاً وسطاً ولا واسطة إذ الحق لا يختلف فإن الإيمان بالله لا يتم إلا بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلاً أو إجمالاً فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال أولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بإيمانهم هذا حقاً مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين

بعينهم الذين كفروا واكدوا كفرهم حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم
ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا للعموم من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك
سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر
وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم
بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا
فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت
التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد سألوا موسى اكبر من
ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وهذا السؤال
وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لآثارهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك
وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة
او مجاهرين معاينين له فأخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم
وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا
العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا
يجوز حملها على التوراة اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم
حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة من اتخاذهم العجل ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود
ويحتمل على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت لكن كان الاعتداء فيه والمسخ في زمن داود
وقرأ ورش عن نافع لا تعدوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال واخذنا منهم ميثاقا
غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا
بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالمحذوف ويجوز ان تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون
التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل
لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل
في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم
او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها
التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر في المواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او
ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع
او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير
ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم على مريم
بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوه
استهزاء ونظيره قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه
او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من

اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى
بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم
فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ
وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فخرج وظن
انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى
بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم لا لقولهم
هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكأنه قيل وقع لهم التشبيه بين عيسى
والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله وشاع بين الناس او الى ضمير المقتول
لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شأن عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة
اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا
عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله
يرفعني الى السماء رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد
والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده
بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل
والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا
يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذلك
تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقنا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ
علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده
حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله
ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من
اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين ان تزهق روحه
ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد
لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى
والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال
فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة
حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب
وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
يعني ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا
واخذهم الربا وقد نهوا عنه فان الربا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم
اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب منهم وآمن

لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه اي منهم او من المهاجرين والانصار والمؤمنون يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلاة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك وعطف
على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون
او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكاة رفعه لاحد الوجوه
الثلاثة المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع
لانه المقصود بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج
عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن
خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين
اشرف الانبياء ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا
نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او نبأنا قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه
السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم
وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين
ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك
مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا
رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة
لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة
بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال
ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب حكيما
فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك
عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله
انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون بذلك ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته
ويقرره بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزلت انا اوحينا
اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه
على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه او
بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من
الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون
ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني
عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال
ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت
الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد

بغيره

ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون
اغرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما
فيه صلاحهم وخلاصهم او اعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم
الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لجري حكمه السابق ووعده المحتوم
على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب
عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى
العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة
والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه
وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد
منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا فهو
غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات
والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر
لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد
لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله
على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته
القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما
يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله
ورسله ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة
اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة
انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا
تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون
لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا لا يماثله شيء
من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون
وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه
لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك
ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف
في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا
قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس
بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف
الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال

مساقة لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف عليه أعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه أن الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وإن سلم اختصاصها بالنصارى فلعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وإن أراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الأنبياء وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وإنما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فإنه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم إليه جميعا فيجازيهم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فسيحشرهم إليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة أو لمجازاتهم فإن إثابة مقابليهم والإحسان إليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا عني بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أي قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين أو الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل إحسان زائد عليه ويهديهم إليه إلى الله وقيل إلى الموعود صراطا مستقيما هو الإسلام والطاعة وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك أي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليها روي أن جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل من الأحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها أول السورة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالأخت الأخت من الأبوين أو الأب لأنه جعل أخوها عصبة وابن الأم لا يكون عصبة والولد على ظاهره فإن الأخت وإن ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها أي والمرء يرث أختها إن كان الأمر بالعكس إن لم يكن لها ولد ذكرا كان أو أنثى إن أريد بيرثها يرث جميع مالها وإلا فالمراد به الذكر إذ البنت لا تحجب الأخ والآية كما لم تدل على سقوط الإخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على أنهم لا يرثون مع الأب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم في الكلالة إن فسرت بالميت فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالأخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الإخبار عنه باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين أصله وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب الذكر يبين الله لكم أن تضلوا أي يبين لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأعطي من الأجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الإيفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة: قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم ... شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا. وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده وألزمها إياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن إن حملنا الأمر على المشترك بين الوجوب والندب أحلت لكم بهيمة الأنعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات أربع وإضافتها إلى الأنعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية وألحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الأنعام في الاجترار وعدم الأنياب وإضافتها إلى الأنعام لملابسة الشبه إلا ما يتلى عليكم إلا محرم ما يتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من أوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وأنتم حرم حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم إن الله يحكم ما يريد من تحليل أو تحريم يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم لما أشعر أي جعل شعارا سمي به أعمال الحج ومواقفه لأنها علامات الحج وأعلام النسك وقيل دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله أي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه أو النسيء ولا الهدي ما أهدي إلى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية ولا القلائد أي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فإنها أشرف الهدي أو القلائد أنفسها والنهي عن إحلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل أو لحاء الشجر أو غيرهما ليعلم به أنه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا أن يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لأنه عامل والمختار أن اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم إذ روي أن الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يتعرضوا لهم بسبب أنه كان فيهم الحطم بن شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين وإذا حللتم فاصطادوا إذن في الاصطياد بعد زوال الإحرام ولا يلزم من إرادة الإباحة ههنا من الأمر دلالة الأمر الآتي بعد الحظر على الإباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على إلقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ وأحللتم يقال حل المحرم وأحل ولا يجرمنكم ولا يحملنكم أو لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر أضيف إلى المفعول أو الفاعل وقرأ ابن عامر وإسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم

بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن
المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن
جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام وهو ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب
ومن قرا يجرمنكم بضم اليا جعله منقولا من المتعدي الى مفعول واحد بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا
على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي
والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه
الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعا
ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى
عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته
اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها
للنقل وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت
مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء
مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب
واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي
الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد
نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالقداح وذلك انهم كانوا اذا قصدوا
فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج
الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام
طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالقداح على الانصباء
المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا
لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافترا على الله ان اريد بربي الله
وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد
يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها
وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه
بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا
الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد
العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق
او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام دينا اخترته لكم من بين الاديان وهو
الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها
وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى
فمن اضطر الى تناول شي من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل اليه ومنحرف

بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسئلونك
ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل
لنا على الحكاية لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم
كانه لما تلي عليهم ما حرم عليهم سالوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع
السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه تحريم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته
وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية
ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير
مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان
التاديب يكون اكثر فيه واثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا
من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استئناف
مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو
منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه
ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي
ابن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط
ذلك في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله
عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا
ادركتم ذكاته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم بما دق وجل اليوم احل لكم الطيبات
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى
علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر
ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة
اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان
حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم والمحصنات من المؤمنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث
على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تحل الحربيات
اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها
التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن
الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام
وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرات
القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من
اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلاة
لان التوجه الى الشي والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة
وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه صلى الله عليه وسلم صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح

فقال عمر: صنعت شيئا لم تكن تصنعه، فقال: عمدا فعلته يا عمر. وقيل: مطلق أريد به التقييد، والمعنى إذا قمتم إلى الصلاة محدثين. وقيل: الأمر فيه للندب. وقيل: كان ذلك أول الأمر ثم نسخ، وهو ضعيف لقوله عليه السلام: المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها. فاغسلوا وجوهكم أمروا الماء عليها ولا حاجة إلى الدلك خلافا لمالك. وأيديكم إلى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل: إلى بمعنى مع كقوله تعالى: ويزدكم قوة إلى قوتكم، أو متعلق بمحذوف تقديره: وأيديكم مضافة إلى المرافق، ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لأن مطلق اليد يشتمل عليها. وقيل: إلى تفيد الغاية مطلقا وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما يعلم من خارج ولم يكن في الآية دليل وكان الأيدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا. وقيل: إلى من حيث إنها تفيد الغاية تقتضي خروجها وإلا لم تكن غاية كقوله تعالى: فنظرة إلى ميسرة، وقوله: ثم أتموا الصيام إلى الليل، لكن لما لم تتميز الغاية هاهنا عن ذي الغاية وجب إدخالها احتياطا. وامسحوا برؤوسكم الباء مزيدة. وقيل: للتبعيض فإنه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل. ووجهه أن يقال: إنها تدل على تضمين الفعل معنى الإلصاق فكأنه قيل: وألصقوا المسح برؤوسكم، وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل: وامسحوا رؤوسكم فإنه كقوله تعالى: فاغسلوا وجوهكم. واختلف العلماء في قدر الواجب فأوجب الشافعي أقل ما يقع عليه الاسم أخذا باليقين، وأبو حنيفة مسح ربع الرأس لأنه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع، ومالك مسح كله أخذا بالاحتياط. وأرجلكم إلى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة والتحديد إذ المسح لم يحد. وجره الباقون على الجوار ونظيره في القرآن كثير والشعر كقوله: عذاب يوم أليم، وحور عين في قراءة حمزة والكسائي، وقولهم: جحر ضب خرب. وللنحاة باب في ذلك، وفائدته التنبيه على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح. وفي الفصل بينه وبين أخواته إيماء على وجوب الترتيب. وقرئ بالرفع على وأرجلكم مغسولة. وإن كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا. وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه سبق تفسيره، ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة. ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج أي ما يريد الأمر بالطهارة للصلاة أو الأمر بالتيمم تضييقا عليكم. ولكن يريد ليطهركم لينظفكم أو ليطهركم عن الذنوب فإن الوضوء تكفير للذنوب، أو ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء. فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة. وقيل: مزيدة، والمعنى ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد أن يطهركم، وهو ضعيف لأن أن لا تقدر بعد المزيدة. وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لأبدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين، أو ليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه. لعلكم تشكرون نعمته. والآية مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى: طهارتان أصل وبدل، والأصل اثنان مستوعب وغير مستوعب، وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح، وباعتبار المحل محدود وغير محدود، وأن آلتهما مائع وجامد، وموجبهما حدث أصغر وأكبر، وأن المبيح للعدول إلى البدل مرض أو سفر، وأن الموعود عليهما تطهير الذنوب وإتمام النعمة.

واذكروا

واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره. وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا يعني الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، أو ميثاق ليلة العقبة أو بيعة الرضوان. واتقوا الله في إنساء نعمته ونقض ميثاقه. إن الله عليم بذات الصدور أي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات أعمالكم. يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل، والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم. اعدلوا هو أقرب للتقوى أي العدل أقرب للتقوى، صرح لهم بالأمر بالعدل وبين أنه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى، وإذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين. واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون فيجازيكم به. وتكرير هذا الحكم إما لاختلاف السبب كما قيل إن الأولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود، أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء ثائرة الغيظ. وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم إنما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فإنه استئناف يبينه. وقيل: الجملة في موضع المفعول فإن الوعد ضرب من القول وكأنه قال: وعدهم هذا القول. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى أن يتبع حال أحد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة، وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم. يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعسفان قاموا إلى الظهر معا فلما صلوا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى العصر فرد الله كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف، والآية إشارة إلى ذلك. وقيل: إشارة إلى ما روي أنه عليه السلام أتى قريظة ومعه الخلفاء الأربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري يحسبهما مشركين، فقالوا: نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك، فأجلسوه وهموا بقتله، فعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده، فنزل جبريل فأخبره فخرج. وقيل: نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه، فجاء أعرابي فسل سيفه وقال: من يمنعك مني؟ فقال: الله، فأسقطه جبريل من يده فأخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: من يمنعك مني؟ فقال: لا أحد، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فنزلت. إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم بالقتل والإهلاك، يقال: بسط إليه يده إذا بطش به، وبسط إليه لسانه إذا شتمه. فكف أيديهم عنكم منعها أن تمد إليكم ورد مضرتها عنكم. واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فإنه الكافي لإيصال الخير ودفع الشر. ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها، أو كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به. روي أن بني إسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر أمرهم الله تعالى بالمسير إلى أريحا أرض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون، وقال: إني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها فإني ناصركم، وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما أمروا به، فأخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء

وسايرهم لما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون الأخبار ونهاهم أن يحدثوا قومهم فرأوا
أجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم إلا كالب من سبط يهوذا
ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف بن يعقوب وقال الله إني معكم بالنصر لئن أقمتم الصلاة وآتيتم
الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم أي نصرتموهم وقويتموهم وأصله الذب ومنه التعزير وأقرضتم الله
قرضا حسنا بالإنفاق في سبيل الخيرات وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم
جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد الشرط جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم
بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه
ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك إذ قد يمكن أن يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم طردناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن
الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي إما مبالغة قاسية أو بمعنى رديئة من
قولهم درهم قسي إذا كان مغشوشا وهو أيضا من القسوة فإن المغشوش فيه يبس وصلابة
وقرئ قسية بإتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان قسوة قلوبهم
فإنه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز أن يكون حالا من مفعول لعناهم
لا من القلوب إذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من التوراة أو من
اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى أنهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما أنزل عليهم فلم ينالوه
وقيل معناه أنهم حرفوها فزلت بشؤمه أشياء منها عن حفظهم لما روي عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على
خائنة منهم خيانة أو فرقة خائنة أو خائن والتاء للمبالغة والمعنى أن الخيانة والغدر
من عادتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم إلا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين
آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح إن تابوا
أو آمنوا وعاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف إن الله يحب المحسنين
تعليل للأمر بالصفح وحث عليه وتنبيه على أن العفو عن الكافر الخائن إحسان فضلا
عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم أي وأخذنا من النصارى ميثاقهم كما
أخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا إنا نصارى ليدل على أنهم سموا أنفسهم
بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا فألزمنا من غري بالشيء إذا
لصق به بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية
وملكانية أو بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا أهل
الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لأنه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى
بأحمد في الإنجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به إذا لم تضطر إليه أمر ديني أو
عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن فإنه الكاشف

لظلمات الشرك والضلال والكتاب الواضح الإعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم
وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير لأن المراد بهما واحد أو لأنهما كواحد
في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالإيمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب أو سبل الله
ويخرجهم من الظلمات إلى النور من أنواع الكفر إلى الإسلام بإذنه بإرادته أو توفيقه ويهديهم إلى صراط مستقيم
طريق هو أقرب الطرق إلى الله تعالى ومؤد إليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم هم الذين
قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتا وقالوا لا إله إلا واحد
لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن
يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وإرادته شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا احتج
بذلك على فساد قولهم وتقريره أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان
كذلك فهو بمعزل عن الألوهية ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير
إزاحة لما عرض لهم من الشبهة في أمره والمعنى أنه تعالى قادر على الإطلاق يخلق من غير أصل كما
خلق السموات والأرض ومن أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كآدم وكثير من
الحيوانات ومن أصل يجانسه إما من ذكر وحده كما خلق حواء أو من أنثى وحدها كعيسى أو منهما
كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه أشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لأشياع
أبي خبيب الخبيبون أو مقربون عنده قرب الأولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك
مزيد بيان في آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم أي فإن صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فإن من كان
بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ واعترفتم
أنه سيعذبكم بالنار أياما معدودة بل أنتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله تعالى يغفر لمن يشاء وهم من آمن
به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفروا والمعنى أنه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات
والأرض وما بينهما كلها سواء في كونها خلقا وملكا له وإليه المصير فيجازي المحسن بإحسانه
والمسيء بإساءته يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم أي الدين وحذف لظهوره أو ما كتمتم وحذف
لتقدم ذكره ويجوز أن لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال أي جاءكم
رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم أي جاءكم على حين فتور من الإرسال وانقطاع من
الوحي أو بمبين حال من الضمير فيه أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به
فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الإرسال
تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وعلى الإرسال على فترة
كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة وأربعة
أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بأن بعث
إليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكونون إليه وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله
عليكم إذ جعل فيكم أنبياء فأرشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء وجعلكم ملوكا
أي جعل منكم أو فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الأنبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى

وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرارة الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح ان تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله تبارك وتعالى فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتاتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكونا علما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك معينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى عليه السلام سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا

مطلب موضع موت موسى …

واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهارون عليهما السلام كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هارون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع بعده اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تاس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبا ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توامة الآخر فسخط منه قابيل لان توامته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايهما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في واتل او من نبا اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبا او حال منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم نبا ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع فقرب اردى زرعه وهابيل صاحب ضرع فقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك اي قابيل لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان

مطلب قتل قابيل لهابيل

بما لا تعلق بالبادي ظالم بعبد المظلوم وقيل المعنى باثمي اي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقوبة العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حرا وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به لانه كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتا كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فساله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه وقيل اصله الجر انه من قتل نفسا بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها وكثير منهم يسرفون في الارض بالقتل لا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاشارة بذلك الى مجيء الرسل

في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هاهنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله ويدل عليه قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء وهو يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم لو بما في حيزه خبر ان واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج

أو من لا إسلام المتفق على صحتها «حنيفا» مائلا عن سائر الأديان وهو حال من المتبع أو الملة أو إبراهيم «واتخذ
الله إبراهيم خليلا» اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وإنما أعاد ذكره ولم
يضمر تفخيما له وتنصيصا على أنه الممدوح والخلة من الخلال فإنه ود تخلل النفس وخالطها
وقيل من الخلال فإن كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر أو من الخل وهو الطريق في الرمل فإنهما
يترافقان في الطريقة أو من الخلة بمعنى الخصلة فإنهما يترافقان في الخصال والجملة استئناف
جيء بها للترغيب في اتباع ملته والإيذان بأنه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي أن إبراهيم
عليه السلام بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان
إبراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء
لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا إبراهيم ساءه الخبر فحملته عيناه
فنام وقامت سارة إلى غرارة منها فأخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ إبراهيم فشم رائحة
الخبز فقال من أين لكم فقالت من عند خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله
خليلا «ولله ما في السماوات وما في الأرض» خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر
العمال مقرر لوجوب طاعته على أهل السماوات والأرض وكمال قدرته على مجازاتهم على الأعمال «وكان الله
بكل شيء محيطا» إحاطة علم وقدرة فكان عالما بأعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها «ويستفتونك
في النساء» في ميراثهن إذ سبب نزوله أن عيينة بن حصن أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنا
أنك تعطي الابنة النصف والأخت النصف وإنما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة
فقال عليه السلام كذلك أمرت «قل الله يفتيكم فيهن» يبين لكم حكمه فيهن والإفتاء تبيين المبهم
«وما يتلى عليكم في الكتاب» عطف على اسم الله أو ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الإفتاء
مسندا إلى الله تعالى وإلى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب إلى فاعلين
مختلفين باعتبارين ونظيره أغناني زيد وعطاؤه أو استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم
على أن ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز أن ينصب على
معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم أو يخفض على القسم كأنه قيل وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا
يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى «في يتامى النساء» صلة يتلى إن عطف
الموصول على ما قبله أي يتلى عليكم في شأنهن وإلا فبدل من فيهن أو صلة أخرى ليفتيكم
على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الإضافة
بمعنى من لأنها إضافة الشيء إلى جنسه وقرئ ييامى على أنه أيامى فقلبت همزته ياء «اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن» أي فرض لهن من الميراث «وترغبون أن تنكحوهن» في أن تنكحوهن أو عن أن تنكحوهن
فإن أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن إن كن جميلات ويأكلون ما لهن وإلا كانوا يعضلونهن
طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة إذ لا
يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها «والمستضعفين من الولدان» عطف على يتامى النساء
والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء «وأن تقوموا لليتامى بالقسط» أيضا عطف عليه

لأن القطع هو من المنكب والجمهور على أنه من الرسغ لأنه عليه السلام أتى بسارق فأمر بقطع يمينه منه
«جزاء بما كسبا نكالا من الله» منصوبان على المفعول له أو المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا «والله
عزيز حكيم» «فمن تاب» من السراق «من بعد ظلمه» أي سرقته «وأصلح» أمره بالتفصي عن التبعات والعزم
على أن لا يعود إليها «فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم» يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة أما القطع فلا
يسقط بها عند الأكثرين لأن فيه حق المسروق منه «ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض» الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد «يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير» قدم التعذيب على المغفرة إتيانا
على ترتيب ما سبق أو لأن استحقاق التعذيب مقدم أو لأن المراد به القطع وهو في الدنيا «يا أيها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر» أي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا أي في إظهاره إذا وجدوا
منه فرصة «من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» أي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو
تحتمل الحال والعطف «ومن الذين هادوا» عطف على من الذين قالوا «سماعون للكذب» خبر محذوف أي هم سماعون
والضمير للفريقين أو للذين يسارعون ويجوز أن يكون مبتدأ ومن الذين خبره أي ومن اليهود قوم
سماعون واللام في للكذب إما مزيدة للتأكيد أو لتضمين السماع معنى القبول أي قابلون لما
يفتريه الأحبار أو للعلة والمفعول محذوف أي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه «سماعون لقوم
آخرين لم يأتوك» أي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا أو إفراطا في
البغضاء والمعنى على الوجهين أي مصغون لهم قابلون كلامهم أو سماعون منك لأجلهم وللإنهاء
إليهم ويجوز أن يتعلق اللام بالكذب لأن سماعون الثاني مكرر للتأكيد أي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين
«يحرفون الكلم من بعد مواضعه» أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها إما لفظا بإهماله
أو تغيير وضعه وإما معنى بحمله على غير المراد وإجرائه في غير مورده والجملة صفة أخرى لقوم
أو صفة لسماعون أو حال من الضمير فيه أو استئناف لا موضع له أو في موضع الرفع خبر
لمحذوف أي هم يحرفون وكذلك «يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه» أي إن أوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا
به «وإن لم تؤتوه» بل أفتاكم محمد بخلافه «فاحذروا» أي فاحذروا قبول ما أفتاكم به روي أن شريفا
من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فأرسلوا أمرهما مع رهط منهم إلى
بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا
وإن أمركم بالرجم فلا فأمر بالرجم فأبوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له أنشدك الله الذي
لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي
أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثبوا عليه
فقال خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين
فرجما عند باب المسجد «ومن يرد الله فتنته» ضلالته أو فضيحته «فلن تملك له من الله شيئا» فلن
تستطيع له من الله شيئا في دفعها «أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم» من الكفر وهو كما ترى نص على
فساد قول المعتزلة «لهم في الدنيا خزي» هوان بالجزية والخوف من المؤمنين «ولهم في الآخرة عذاب عظيم»
وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا إن استأنفت بقوله ومن الذين وإلا فللفريقين

اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة ليتلى فان جعلته بدلا فالوجه
نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب ان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا او هو
خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير
فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل
وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها
او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض
القسم او المهر او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا
جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول
بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة
او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور
وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة
والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه
فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها
على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا بالامساك وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق
فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه
عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك
ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها
فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون
من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ
وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلو
من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه
ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود
والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتاكيد
الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان
مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم
ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم
وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله تعالى وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم
حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا

السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استئناف فيه تعليل للامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله
عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة
بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي يضلوك ويصرفوك عنه وان
بصلته بدل منهم بدل الاشتمال اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان
احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود
وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك
ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد
الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا
مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد
او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه افحكم
الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة
الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم
به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع
محذوف وحذفه في الصلة كقوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر
وقرئ افحكم الجاهلية يبغون اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر
تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان
كما في قوله تعالى هيت لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين يتدبرون الامور ويتحققون
الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا
عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء على علة النهي اي فانهم متفقون على
خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم
اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى
ناراهما او لان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة
الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في
موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ويعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من
دوائر الزمان بان ينقلب الامور وتكون الدولة للكفار روي ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي
الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي فنزلت
فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وسلم واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شافة
اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي هؤلاء المنافقون
على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه

بما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير الواو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون وبالنصب قراءة ابي عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال عسى الله ان يأتي بالفتح ويقول الذين آمنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به أهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصب على الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهو من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الخمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روي انه عليه الصلاة والسلام اشار الى ابي موسى وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن معنى العطف والحنو

قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذاك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدم امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد دعواه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه حال من يدعون مخلصين فيه

قيد الدعاء بالإخلاص تنبيهاً على أنه ملاك الأمر ورتب النهي عليه إشعاراً بأنه يقتضي إكرامهم وينافي إبعادهم **ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء** أي ليس عليك حساب إيمانهم فلعل إيمانهم عند الله أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم طمعاً في إيمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم وإخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم إليك وقيل ما عليك من حساب رزقهم أي فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك إيمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعاً فيه **فتطردهم** فتبعدهم وهو جواب النفي **فتكون من الظالمين** جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر **وكذلك فتنا بعضهم ببعض** ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف أحوال الناس في أمر الدنيا فتنا أي ابتلينا بعضهم ببعض في أمر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشراف قريش بالسبق إلى الإيمان **ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا** أي أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الأكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو إنكار لأن يخص هؤلاء من بينهم بإصابة الحق والسبق إلى الخير كقولهم لو كان خيراً ما سبقونا إليه واللام للعاقبة أو للتعليل على أن فتنا متضمن خذلنا **أليس الله بأعلم بالشاكرين** بمن يقع منهم الإيمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله **وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة** الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالإيمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وأمره أن يبدأهم بالتسليم أو يبلغ سلام الله إليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم إيذاناً بأنهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا وبالرحمة في الآخرة وقيل إن قوماً جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا أصبنا ذنوباً عظاماً فلم يرد عليهم شيئاً فانصرفوا فنزلت **أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة** استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها أو جعلها في موضع الحال أي من عمل ذنباً جاهلاً بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما أشار إليه أو متلبساً بفعل الجاهلية فإن ارتكاب ما يؤدي إلى الضرر من أفعال أهل السفه والجهل **ثم تاب من بعده** بعد العمل أو السوء **وأصلح** بالتدارك والعزم على أن لا يعود إليه **فأنه غفور رحيم** فتحه من فتح الأول غير نافع على إضمار مبتدأ أي فأمره أنه أو خبر أي فله غفرانه **وكذلك** ومثل ذلك التفصيل الواضح **نفصل الآيات** آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والأوابين **ولتستبين سبيل المجرمين** قرأه نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلاً منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فإنه يذكر ويؤنث ويجوز أن يعطف على مقدر أي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين **قل إني نهيت** صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة وأنزل علي من الآيات في أمر التوحيد **أن أعبد الذين تدعون من دون الله** عن عبادة ما تعبدون من دون الله أو ما تدعونها آلهة أي تسمونها **قل لا أتبع أهواءكم** تأكيد لقطع أطماعهم وإشارة إلى الموجب للنهي وعلة الامتناع

عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وأن ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على أن يتبع الحجة ولا يقلد **قد ضللت إذاً** أي إن اتبعت أهواءكم فقد ضللت **وما أنا من المهتدين** أي في شيء من الهدى حتى أكون من عدادهم وفيه تعريض بأنهم كذلك **قل إني على بينة** تنبيه على ما يجب اتباعه بعدما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي أو الحجج العقلية أو ما يعمها **من ربي** من معرفته وأنه لا معبود سواه ويجوز أن يكون صفة لبينة **وكذبتم به** الضمير لربي أي كذبتم به حيث أشركتم به غيره أو للبينة باعتبار المعنى **ما عندي ما تستعجلون به** يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم **إن الحكم إلا لله** في تعجيل العذاب أو تأخيره **يقص الحق** أي القضاء الحق أو يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع إذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتأخير وأصل القضاء الفصل بتمام الأمر وأصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الأثر أو من قص الخبر **وهو خير الفاصلين** القاضين **قل لو أن عندي** أي في قدرتي ومكنتي **ما تستعجلون به** من العذاب **لقضي الأمر بيني وبينكم** لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربي وانقطع ما بيني وبينكم **والله أعلم بالظالمين** في معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الأمر إلى الله تعالى وهو أعلم بمن ينبغي أن يؤخذ وبمن ينبغي أن يمهل منهم **وعنده مفاتح الغيب** خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن أو ما يتوصل به إلى المغيبات مستعار من المفاتح التي هي جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده أنه قرئ مفاتيح والمعنى أنه المتوصل إلى المغيبات المحيط علمه بها **لا يعلمها إلا هو** فيعلم أوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على أنه تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها **ويعلم ما في البر والبحر** عطف للإخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الإخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها** مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات **ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس** معطوفات على ورقة وقوله **إلا في كتاب مبين** بدل من الاستثناء الأول بدل الكل على أن الكتاب المبين علم الله أو بدل الاشتمال إن أريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة أو للابتداء والخبر إلا في كتاب مبين **وهو الذي يتوفاكم بالليل** ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الإحساس والتمييز فإن أصله قبض الشيء بتمامه **ويعلم ما جرحتم بالنهار** كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جرياً على المعتاد **ثم يبعثكم** يوقظكم أطلق البعث ترشيحاً للتوفي **فيه** في النهار **ليقضى أجل مسمى** ليبلغ المستيقظ آخر أجله المسمى له في الدنيا **ثم إليه مرجعكم** بالموت **ثم ينبئكم بما كنتم تعملون** بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى أنكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وأنه تعالى مطلع على أعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم ثم إليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة** ملائكة تحفظ أعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه أن المكلف إذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الأشهاد كان أزجر عن المعاصي وأن العبد إذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره

لم يحتشم منه احتشاما من حرمه المستطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة
توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم
بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا
بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق
في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما
استعير الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو
كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرا يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد
تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا وقرا الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه
وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها
ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على انه
من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط
واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم
ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا متحزبين على اهواء شتى فينشب
القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم باس بعض
يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب
او بالقران وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم
من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبا خبر يريد اما العذاب او الايعاد
به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او الآخرة واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ذكر
الضمير على معنى الآيات لانها القران واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي
وقرا ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع
م الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام
وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واوزارهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء
مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح
ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز
عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يابا ولا على شيء لان من لا تزاد بعد الاثبات
لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى
لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما
استهزؤوا بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي
بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا ولا آجلا كعبادة الصنم

وتحريم

وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به وجعلوا عيدهم الذي
جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا
لهم كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك
التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم
الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته
لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله
ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى
وههنا المراد الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف
قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي اسلموا الى العذاب بسبب
اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى
هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم قل اندعو انعبد من دون الله ما لا ينفعنا
ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا
منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من
هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرا حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل
نرد اي مشبهين بالذي استهوته او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته في الارض حيران
متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوي رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق
المستقيم او يهدونه الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له
ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من
جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء
وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلاة واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلاة او على موقعه
كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما دعا اباه الى عبادة
الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق وتعظيما لشانه واظهارا
للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيامة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة
ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة
والمعنى انه الخالق للسموات والارض وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف
على السموات او الهاء في اتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل يكون
على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها
او حين تقوم الساعة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة
للاية واذ قال ابرهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ وقيل هما علمان
له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه

لأنه أعجمي حمل على موازنه أو نعت مشتق من الأزر أو الوزر والأقرب أنه أعجمي على فاعل كعابر وشالخ
وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزومه عبادته أو أطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم
ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده أي أتعبد آزر ثم قال أتتخذ أصناما آلهة تفسيرا وتقريرا
ويدل عليه أنه قرئ أأزرا تتخذ أصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على
النداء وهو يدل على أنه علم إني أراك وقومك في ضلال مبين عن الحق ظاهر الضلالة وكذلك نري إبراهيم ومثل
هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره
دلائل الربوبية ملكوت السماوات والأرض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت أعظم الملك
والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين أي ليستدل وليكون أو فعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى
كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال إبراهيم وكذلك نري اعتراض فإن أباه وقومه
كانوا يعبدون الأصنام والكواكب فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من طريق
النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة أو المشتري وقوله هذا ربي على
سبيل الوضع فإن المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالإفساد أو على
وجه النظر والاستدلال وإنما قاله زمان مراهقته أو أول أوان بلوغه فلما أفل أي غاب قال لا
أحب الآفلين فضلا عن عبادتهم فإن الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضيان الإمكان والحدوث
وينافيان الألوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين
استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق وأنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه إرشادا للقوم وتنبيها
لهم على أن القمر أيضا لتغير حاله لا يصلح للألوهية فإن من اتخذه إلها فهو ضال فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث هذا أكبر كبره
استدلالا وإظهارا لشبهة الخصم فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون من الأجرام المحدثة المحتاجة إلى
محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ عنها توجه إلى موجدها ومبدعها
الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وإنما احتج بالأفول
دون البزوغ مع أنه أيضا انتقال لتعدد دلالته ولأنه رأى الكوكب الذي يعبدونه في
وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال أتحاجوني في الله
وحده وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هداني إلى توحيده ولا أخاف ما تشركون به أي لا أخاف
معبوداتكم في وقت لأنها لا تضر بنفسها ولا تنفع إلا أن يشاء ربي شيئا أن يصيبني بمكروه من
جهتها ولعله جواب لتخويفهم إياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كأنه
علة الاستثناء أي أحاط به علما فلا يبعد أن يكون في علمه أن يحيق بي مكروه من جهتها أفلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف ما أشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون أنكم أشركتم
بالله وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لأنه إشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور
والعاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل بإشراكه كتابا ولم ينصب عليه دليلا
فأي الفريقين أحق بالأمن أي الموحدون أو المشركون وإنما لم يقل أينا أنا أم أنتم احترازا عن تزكية نفسه

إن كنتم تعلمون ما يحق أن يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون استئناف منه أو من الله
بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم هاهنا الشرك لما روي أن الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا
أينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس ما تظنون إنما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك
لظلم عظيم وليس الإيمان به أن يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الإشراك به وقيل
المعصية وتلك إشارة إلى ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل إلى قوله وهم مهتدون أو من
قوله أتحاجوني إليه حجتنا آتيناها إبراهيم أرشدناه إليها وعلمناه إياها على قومه متعلق بحجتنا إن
جعل خبر تلك أو بمحذوف إن جعل بدله أي آتيناها إبراهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرأ
الكوفيون ويعقوب بالتنوين إن ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له
إسحق ويعقوب كلا هدينا أي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل أي من قبل إبراهيم عد هداه نعمة على إبراهيم من حيث
أنه أبوه وشرف الوالد يتعدى إلى الولد ومن ذريته الضمير لإبراهيم إذ الكلام فيه وقيل لنوح لأنه أقرب
ولأن يونس ولوطا ليسا من ذرية إبراهيم فلو كان لإبراهيم اختص البيان بالمعدود في تلك الآية والتي بعدها
والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وأيوب أيوب بن أموص من أسباط عيص بن إسحق
ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين أي نجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا إبراهيم برفع درجاته وكثرة
أولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على أن الذرية تتناول أولاد البنت
وإلياس قيل هو إدريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الأولى وقيل هو من أسباط هرون أخي
موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الإتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي وإسماعيل واليسع هو اليسع
ابن أخطوب وقرأ حمزة والكسائي بتشديد اللام وعلى القراءتين هو علم أعجمي أدخل عليه اللام كما
أدخل على اليزيد في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا بأعباء الخلافة كاهله ويونس هو
يونس بن متى ولوطا هو ابن هاران ابن أخي إبراهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على
من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم عطف على كلا أو نوحا أي فضلنا كلا منهم أو هدينا بعض
وبعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم فإن منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا أو هدينا
وهديناهم إلى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا إليه ذلك هدى الله إشارة إلى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده
دليل على أنه متفضل بالهداية ولو أشركوا أي ولو أشرك هؤلاء الأنبياء مع فضلهم وعلو شأنهم
لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم بسقوط ثوابها أولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به
الجنس والحكم الحكمة أو فصل الأمر على ما يقتضيه الحق والنبوة الرسالة فإن يكفر بها أي بهذه الثلاثة هؤلاء
يعني قريشا فقد وكلنا بها أي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الأنبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل
هم الأنصار وأصحاب النبي أو كل من آمن به أو الفرس وقيل الملائكة أولئك الذين هدى الله يريد الأنبياء
المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد
وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها فإنها ليست هدى مضافا إلى الكل ولا يمكن التأسي بهم
جميعا فليس فيه دليل على أنه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف
ومن أثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم أجرى الوصل مجرى الوقف ولم يحذفها ابن عامر

على أنها كناية الهدى قل لا أسألكم عليه أي على التبليغ أو القرآن أجرا جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين
وهذا من جملة ما أمر بالاقتداء بهم فيه إن هو أي التبليغ أو القرآن أو الغرض إلا ذكرى للعالمين إلا تذكيرا
وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والإنعام على العباد إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء
حين أنكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته أو في السخط على الكفار وشدة
البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في إنكار القرآن بدليل
نقض كلامهم وإلزامهم بقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
بالتاء وإنما قرأ بالياء ابن كثير وأبو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم
للتوراة وذمهم على تجزئتها بإبداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة وإخفاء بعض لا يشتهونه
روي أن مالك بن الصيف قاله لما أغضبه الرسول بقوله أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى
هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين وقيل هم المشركون وإلزامهم بإنزال التوراة
لأنه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى
منهم وعلمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس
عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا أعلم منكم ونظيره إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه
يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله أي أنزله الله أو الله أنزله أمره بأن يجيب عنهم
إشعارا بأن الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على أنهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم
في أباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ وإلزام الحجة يلعبون حال من هم الأول والظرف صلة ذرهم أو
يلعبون أو حال من مفعوله أو فاعل يلعبون أو من هم الثاني والظرف متصل بالأول وهذا كتاب أنزلناه
مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التوراة أو الكتب التي قبله ولتنذر أم القرى عطف على
ما دل عليه مبارك أي للبركات ولتنذر أو علة محذوف أي ولتنذر أهل أم القرى أنزلناه وإنما
سميت مكة بذلك لأنها قبلة أهل القرى ومحجهم ومجتمعهم وأعظم القرى شأنا وقيل لأن الأرض
دحيت من تحتها أو لأنها مكان أول بيت وضع للناس وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء أي لينذر
الكتاب ومن حولها أهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون فإن من صدق بالآخرة خاف
العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم والكتاب
والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لأنها عماد الدين وعلم الإيمان
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم أنه بعثه نبيا كمسيلمة والأسود العنسي أو اختلق عليه
أحكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء كعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان
يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين
فلما بلغ قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين تعجبا من تفصيل
خلق الإنسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد
صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله
كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى إذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه أي ولو ترى

الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء إذا غشيه والملائكة باسطو أيديهم بقبض أرواحهم كالمتقاضي
الملظ أو بالعذاب أخرجوا أنفسكم أي يقولون لهم أخرجوها إلينا من أجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم
أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا اليوم يريد به وقت الإماتة أو الوقت الممتد من الإماتة
إلى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون أي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة وإهانة فإضافته
إلى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك ودعوى النبوة
والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء
فرادى منفردين عن الأموال والأولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا أو عن الأعوان والأوثان
التي زعمتم أنها شفعاؤكم وهو جمع فرد والألف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال
وفراد كثلاث وفردى ككسرى كما خلقناكم أول مرة بدل منه أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد
أو حال ثانية إن جوز التعدد فيها أو حال من الضمير في فرادى أي مشبهين ابتداء خلقكم
عراة حفاة غرلا بهما أو صفة مصدر جئتمونا أي مجيئا كخلقنا إياكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا
به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم
فيكم شركاء أي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم أي تقطع وصلكم
وتشتت جمعكم والبين من الأضداد يستعمل للفصل والوصل وقيل هو الظرف أسند إليه الفعل
على الاتساع وقيل المعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب
على إضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه أو أقيم مقام موصوفه وأصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ
به وضل عنكم بطل وضاع ما كنتم تزعمون أنها شفعاؤكم أو أن لا بعث ولا جزاء إن الله فالق الحب والنوى
بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد ما ينمو من الحيوان
والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من
الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فإن قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له
ذلكم الله أي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة فأنى تؤفكون تصرفون عنه إلى غيره
فالق الإصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض النهار أو شاق ظلمة الإصباح وهو
الغبش الذي يليه والإصباح في الأصل مصدر أصبح إذا دخل في الصبح سمي به الصبح
وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن إليه التعب
بالنهار لاستراحته فيه من سكن إليه إذا اطمأن إليه استئناسا به أو يسكن فيه الخلق من قوله
لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف
عليه فإن فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به أو به على أن المراد منه جعل مستمر في الأزمنة
المختلفة وعلى هذا يجوز أن يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والأحسن
نصبهما بجعل مقدرا وقرأ نافع بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي مجعولان حسبانا
أي على أدوار مختلفة يحسب بهما الأوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما
أن الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك إشارة إلى

جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحسبان المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص
العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر
والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات
على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا
فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام فمستقر ومستودع
اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او
موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع
مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات
لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم
من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر
وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب ومن جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات
كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفننة بماء واحد كما
في قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه خضرا شيئا اخضر
يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا
متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان وهو الاعذاق ث
جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس
فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتف قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على
ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ
بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل
والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم
مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه
في الهيئة واللون والقدر والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي
بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج
ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه كيف يعود او الى ينعه
كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع
يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر
الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة ونقلها من حال الى حال
لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا
يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه
فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا
لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبدوا الاوثان

بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية
ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال
وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى
عطفا وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما
يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه
وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي زوروا
بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة
بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال
من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا
بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقوله ثبت الغدر
لمبتدا بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ
محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو
بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية
استدلال على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارض وهي مع
انها جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان
يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله
تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين
الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك
غيره بالاجماع ذلكم الله ربكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ
لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض
خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة
وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته
الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به جمع
بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة
على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الاية
عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة
قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها
وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه
الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا
من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر

جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لأنها تجلي لها الحق وتبصرها بها فمن أبصر أي أبصر الحق
وآمن به فلنفسه أبصر لأن نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما أنا عليكم بحفيظ وإنما أنا منذر
والله هو الحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم
وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف
وهو نقل الشيء من حال إلى حال وليقولوا درست أي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة
والتعلم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب
درست من الدروس أي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الأولين وقرئ درست بضم
الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست بمعنى
درست ودارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز إضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن
أي عفون ودرس أي درس محمد صلى الله عليه وسلم ودارسات أي قديمات أو ذات دروس كقوله عيشة
راضية ولنبينه اللام على الأصل لأن التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى أو للقرآن
وإن لم يذكر لكونه معلوما أو للمصدر لقوم يعلمون فإنهم المنتفعون به اتبع ما أوحي إليك من ربك
بالتدين به لا إله إلا هو اعتراض أكد به إيجاب الاتباع أو حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا
في الألوهية وأعرض عن المشركين ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت إلى رأيهم ومن جعله منسوخا
بآية السيف حمل الإعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم إشراكهم ما أشركوا
وهو دليل على أنه تعالى لا يريد إيمان الكافر وأن مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا
رقيبا وما أنت عليهم بوكيل تقوم بأمرهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله أي ولا تذكروا آلهتهم التي
يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق إلى الباطل بغير علم على جهالة بالله
تعالى وبما يجب أن يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء
روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا
أو لنهجون إلهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب
الله عز وجل وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة وجب تركها فإن ما يؤدي
إلى الشر شر كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه وحملهم عليه توفيقا وتخذيلا
ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل أمة بالكفرة لأن الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم
ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه وأقسموا بالله جهد أيمانهم مصدر في موضع
الحال والداعي لهم إلى القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول صلى الله عليه وسلم في طلب الآيات
واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله هو قادر على
أن يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وإرادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام إنكار
أنها أي الآية المقترحة إذا جاءت لا يؤمنون أي لا تدرون أنهم لا يؤمنون أنكر السبب مبالغة في نفي
المسبب وفيه تنبيه على أنه تعالى إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون وقيل لا
مزيدة وقيل أن بمعنى لعل إذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ويعقوب

إنها بالكسر كأنه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فإنهم
كانوا يتمنون مجيء الآية طمعا في إيمانهم وقيل الخطاب للمشركين إذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون
بالتاء وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم فيكون إنكارا لهم على حلفهم أي وما
يشعرهم أن قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات
فيؤمنون بها ونقلب أفئدتهم وأبصارهم عطف على لا يؤمنون أي وما يشعركم أنا حينئذ نقلب
أفئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وأبصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به أي بما
أنزل من الآيات أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين
وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والإسناد إلى الأفئدة ولو أننا
نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا أنزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا
أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل أي كفلاء بما بشروا به وأنذروا أو جمع
قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر
وهو على الوجهين حال من كل وإنما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر
إلا أن يشاء الله استثناء من أعم الأحوال أي لا يؤمنون في حال إلا في حال مشيئة الله إيمانهم
وقيل منقطع وهو حجة على المعتزلة ولكن أكثرهم يجهلون أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون
بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون ولذلك أسند الجهل إلى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم
أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في إيمانهم وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا أي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على أن عداوة الكفرة
للأنبياء بفعل الله وخلقه شياطين الإنس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا أو أول
مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به أو حال منه يوحي بعضهم إلى بعض
يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض
زخرف القول الأباطيل المموهة من زخرفه إذا زينه غرورا مفعول له أو مصدر في موضع
الحال ولو شاء ربك إيمانهم ما فعلوه أي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الأنبياء وإيحاء الزخارف
ويجوز أن يكون الضمير للإيحاء أو الزخرف أو الغرور وهو أيضا دليل على المعتزلة فذرهم وما
يفترون وكفرهم ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا إن جعل علة أو متعلق بمحذوف أي وليكون
ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة أو لام القسم
كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون أو لام الأمر وضعفه ظاهر والصغو الميل والضمير لما له
الضمير في فعلوه وليرضوه لأنفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام أفغير الله أبتغي حكما
على إرادة القول أي قل لهم يا محمد أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل
وغير مفعول أبتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما أبلغ من الحاكم ولذلك لا يوصف
به غير العادل وهو الذي أنزل إليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي
التخليط والالتباس وفيه تنبيه على أن القرآن بإعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات

بالكفرة

والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق تأكيد لدلالة الإعجاز على أن القرآن حق منزل من عند الله يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وإنما وصف جميعهم بالعلم لأن أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل المراد مؤمنو أهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في أنهم يعلمون ذلك أو في أنه منزل لجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين أو خطاب الرسول خطاب الأمة وقيل الخطاب لكل واحد على معنى أن الأدلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه وتمت كلمت ربك بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده صدقا في الأخبار والمواعيد وعدلا في الأقضية والأحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا أحد يبدل شيئا منها بما هو أصدق وأعدل أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على أن المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله تعالى وإنا له لحافظون أو لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك أي ما تكلم به أو القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وإن تطع أكثر من في الأرض أي أكثر الناس يريد الكفار أو الجهال أو متبعي الهوى وقيل الأرض أرض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل إليه فإن الضال في غالب الأمر لا يأمر إلا بما فيه ضلال إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق أو جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فإن الظن يطلق على ما يقابل العلم وإن هم إلا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون إليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان وسيلة إليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر أو يقدرون أنهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي أعلم بالفريقين ومن موصولة أو موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه أعلم لا به فإن أفعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل أي يضله الله فتكون منصوبة بالفعل المقدر أو مجرورة بإضافة أعلم إليه أي أعلم المضلين من قوله من يضلل الله أو من أضللته إذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه إن كنتم بآياته مؤمنين فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحله الله تعالى واجتناب ما حرمه وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وأي غرض لكم في أن تتحرجوا عن أكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل إلا ما اضطررتم إليه مما حرم عليكم فإنه أيضا حلال حال الضرورة وإن كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح بأهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم إن ربك هو أعلم بالمعتدين المتجاوزين عن الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام وذروا

ظاهر الاثم

ظاهر الإثم وباطنه ما يعلن وما يسر أو ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الأخدان إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا أو نسيانا وإليه ذهب داود وعن أحمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه وفرق أبو حنيفة بين العمد والنسيان وأوله بالميتة أو بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وإنه لفسق فإن الفسق ما أهل لغير الله به والضمير لما ويجوز أن يكون للأكل الذي دل عليه لا تأكلوا وإن الشياطين ليوحون ليوسوسون إلى أوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وإن أطعتموهم في استحلال ما حرم إنكم لمشركون فإن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك وإنما حسن حذف الفاء فيه لأن الشرط بلفظ الماضي أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل من هداه الله تعالى وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ يعقوب ونافع ميتا على الأصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمن إيمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وأبي جهل وقيل في عمر وعمار وأبي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها أي كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني أو في كل قرية أكابر ومجرميها بدل ويجوز أن يكون مضافا إليه إن فسر الجعل بالتمكين وأفعل التفضيل إذا أضيف جاز فيه الإفراد والمطابقة ولذلك قرئ أكبر مجرميها وتخصيص الأكابر لأنهم أقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون إلا بأنفسهم لأن وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي أن أبا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله أعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب وإنما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله ذل وحقارة بعد كبرهم يوم القيامة وقيل تعذيب من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم أو جزاء على مكرهم فمن يرد الله أن يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان يشرح صدره للإسلام فيتسع له وينفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه وإليه أشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك أمارة يعرف بها فقال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الإيمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وأبو بكر عن عاصم حرجا بالكسر

اي شديد الضيق والباقون بالتخفيف منونا بالمصدر كأنما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره
بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان
يمتنع عنه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا
في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد
بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل
العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء
به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته
وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله تعالى
وان كل ما يحدث من خير او شر فبقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل
فيهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او
دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم
مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم
ويوم نحشرهم نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن
عاصم وروح عن يعقوب بالياء جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم
واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال
اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات
وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس
بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم
يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة
الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات
مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل
مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول
كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء
بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن
والانس الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره
قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره
قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم
لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة قالوا
شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحياة الدنيا

باعتبار الذات الذي هو المعبود وعلى الثاني لانهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود
وهو اجوب لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى
الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة
لتأكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا تدعوا
فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى
لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان
ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين
ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي
ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول انا اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان
واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا
وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا
والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية
ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه
من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه
الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك
نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه
والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام
كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه
عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها
على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد
ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب
الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح
العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه
بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال
دون العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل
فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما لينذر بأسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف
المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده
وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء

الساكنين وكرر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة
ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصصهم بالذكر وكرر
الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم
اي بالولد او اتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه
من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بمعنى
اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت
مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه
الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود
تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج
بالذات هو الهوى الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ
كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن
الايمان شبههم لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته وهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا
عليهم وقرئ باخع نفسك بالاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتاسف عليهم
او متاسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا
جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها
لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه
على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد
فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا
بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيها ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس
في ابقاء حياتهم مدة مديدة
والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها
اليها ليست بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل
او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم
مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على
باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء
فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال
واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم
فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع
الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا
اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء وقال آخر كان في فضل
واصابت الناس شدة فجاءتني امراة وطلبت معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت

ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها
وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك فقالت اخاف الله فقلت لها خفته في الشدة ولم اخفه في الرخاء
فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال
الثالث كان لي ابوان همان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات
يوم غيث فلم ابرح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما
نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما
اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى
الفتية الى الكهف يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا
الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ
لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل
امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي
ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول
كما حذف في قولهم بنى على امراته في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين
به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق
علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة
لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو
مبتدا واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول
واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو
احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا
نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية آمنوا
بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن
والاهل والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا
رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط
اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدا قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره
وهو اخبار في معنى الانكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين
ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان
التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم
خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتموهم ومعبوديهم
الا الله فانهم كانوا يعبدون الله والاصنام كسائر المشركين ويجوز ان يكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم
وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه
لتحقيق اعتزالهم فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين

لنومهم

ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم
بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان
قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله ع م او لكل احد اذا طلعت تزاور عن
كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله زورها عنهم
واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ
تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين
واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة
منه اي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس
وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات نعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان
ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة للجانب الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب
محاذية للجانب الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي
اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله اي شأنهم او ايواؤهم الى الكهف كذلك او اخبارك قصتهم
او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتدي الذي اصاب
الفلاح والمراد اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها
من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه
ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم
في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كي لا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ
ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم
وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم
او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط
ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل
العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم
وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك
بما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا
الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضه ليس لك ذلك قد منع الله
من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح
فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل
وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية على كمال قدرتنا بعثناهم ليتساءلوا بينهم اي ليسأل بعضهم
بعضا فيتعرفوا بحالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث
ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب
ظنهم لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان

يكون

يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا
انهم في يومهم او اليوم الذي بعده وقالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم
لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه
الى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو بكر وحمزة وابو عمرو وروح عن يعقوب
بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير
مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة
طرسوس فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه
وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا
ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير
للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم اليها
كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم
وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين
اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم
كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم
وامسكها ثلاثمائة سنة حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قادر ان يتوفى نفوس جميع
الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها اليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم
حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان
معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم
ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه
قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم
اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من
الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من
المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك
روي ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان عليه اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به
الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم
من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت
الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم
الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا
لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد
الرسول عم من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم
بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون

خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عن جبرئيل عم وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشادنوش اصحاب يساره فكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي لا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله لما روي انه لما نزل قال عم ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رض ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين

وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد فان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اهل الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلعم على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول صلعم ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر اولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ واغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي متقدما للحق ونابذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول

الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حايط من النار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل
كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم
ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب المهل
وساءت اي النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله
وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من
احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى
عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن
عملا للجنس لاطلاقه على الحقيقة على الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم
الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب
من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة
او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس
واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت
الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم للكافر والمؤمن مثلا رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين
قيل هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف
دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وال امرهما
الى ما حكاه الله وقيل الممثل لهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو
سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب
من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة
بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء
مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا
للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها
ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين اتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا
يعهد في ساير البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم
شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى
الجنتين من ثمر ماله اذا كثر وقرا عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون
بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع
انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته
بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها
على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى
او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد

ان تفنى

ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت
الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرا الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين
منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه
لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي
خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا
ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشاه الشك في
كمال قدرته ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه
لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان
فكان الادغام وقرا ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء
الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبره خبر انا او
الضمير لله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك عن اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن
به وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكني انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها
ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية
والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله
وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها
فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره
ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ
اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد
فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل
عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى
الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا
ملساء تزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر
وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله
حسب ما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه فاذا غلبه
اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه
ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم
فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية اي ساقطة على عروشها بان سقطت
عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك
بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان
يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرا حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه
يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده

اي اهلكها

وماكان منتصرا وماكان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة
له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة
كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرا حمزة والكسائي
بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع
عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرا ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب
على المصدر المؤكد وقرا عاصم وحمزة عقبا بالسكون وبضم القاف وقرئ عقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة
كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا
كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته
فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء
ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره
الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شئ من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال
الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال
والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم نسير
الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند
ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء
والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها
ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير
وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون
الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك
الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال الجند المعروضين على
السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على
وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شئ معكم من المال والولد كقوله ولقد
جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث
والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان
والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب
ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مال هذا الكتاب تعجيبا
من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا

ما عملوا

ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها
في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال
المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في
زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان
بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن حال باضمار قد او استئناف
للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء
للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه
في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب وذريته اولاده او اتباعه
وسماهم ذريته مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين
بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس
وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعضهم ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح
به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة
فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع
الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما
خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا
في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرا وما كنت على
خطاب الرسول وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم
جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكفار وقرا حمزة بالنون نادوا شركائي الذين
زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء اليه على زعمهم للتوبيخ والمراد
ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا
بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر
لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا
تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها
واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن
للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شئ يتاتى منه الجدل جدلا خصومة
بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي
او القرآن المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تاتيهم سنة الاولين الا طلب
او انتظار او تقدير ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او
ياتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرا الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى
انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على

بطلان دليل من قال ان الملك لا يعصي البتة

الحال

الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتهما انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم في عداوة الرسول بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيامة لن يجدوا من دونه موئلا منجأ ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا التجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيص واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يعني يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح اي لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه ولا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه

قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر روي ان موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوزا الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى عليه السلام في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارأيت اذ أوينا ارأيت ما دهاني اذ أوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب سره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر

على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها
خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك
ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشية اما للتيمن او
لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف فيه وخلفه
ناسيا لا يقدح في عصمته وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله تعالى قال فان
اتبعتني فلا تسالني عن شيء فلا تفاتحني بالسوال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث
لك منه ذكرا حتى ابتديك ببيانه وقرا نافع وابن عامر فلا تسالني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل
يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين
من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق
اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرا حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل
لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي
صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تواخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان
لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المواخذة مع قيام
المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض
الكلام والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمواخذة
على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه
اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل
فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه قتله من غير
تروّ واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي
اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا
تقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف
ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط
واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله
بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرا نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر
نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية
ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة
حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سالت صحبتك
وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي
لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع
صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرا نافع لدني بضم الدال وتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة

الجزء السادس عشر

كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد
فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية انطاكية وقيل ايلة بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا
وضيفه انزله واصل التركيب الميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان
ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال
يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي
بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير
والكوكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن
اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو
شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي
كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ
كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت واظهر
ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمها الباقون قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى
الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا
او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ
على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه
منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين
يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها
كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب
وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندي الازدي
ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله
وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان
مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالآخر على سبيل
التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مومنين
فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا
او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجمع في بيت واحد مومنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه فيرتدا باضلاله
او بممالاته على طغيانه وكفره حبا له وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس ان نجدة الحروري
كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم
موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله
فخشينا حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة
من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها

بني فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرا نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما
بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك
مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما
من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت
لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما
صالحا تنبيه على ان سعيه ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء
وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الرأي ويستخرجا كنزهما
رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق
بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب
وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له
في بلوغ الغلامين اولان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف
في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رايته عن امري عن رأيي وانما فعلته بامر الله عز وجل
ومبنى ذلك على انه اذا تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع
في تفاصيله مختلفة ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد
هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم
على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره
ثم يهاجر عنه ويسألونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق
والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان
من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال
الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود
سألوه امتحانا او مشركو مكة قل سأتلوا عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين
وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شئ
اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب
فاتبع سببا يوصله اليه وقرا الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس
وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية
على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره
غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس رضي الله عنه سمع معاوية يقرا حامية
فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية

ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره
الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم
واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا
في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا
اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذي هو الشرك
فانعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل
صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا
اي يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا
مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شأنك
معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان
كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نأمره به يسرا
سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى
المشرق وقرا الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء وكذلك ما بعده حتى اذا بلغ مطلع
الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار
مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا
من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اي امر ذي
القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار
ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب
عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا علما
تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم
اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين
السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال
في منقطع ارض الترك من ورائهما ياجوج وماجوج وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين
السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث
يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون
يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرا حمزة والكسائي لا يُفقهون اي لا يفهمون السامع
كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود
قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج
من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة
كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب

واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون في الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون
الناس **فهل نجعل لك خرجا** جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول
والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر **على ان تجعل بيننا وبينهم سدا** يحجز دون خروجهم
علينا وقد ضمه من ضم السد غير حمزة والكسائي **قال ما مكني فيه ربي خير** ما جعلني فيه مكينا من المال
والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة لي اليه وقرا ابن كثير مكنني على الاصل **فاعينوني بقوة**
بفعلة او بما اتقوى به من الالات **اجعل بينكم وبينهم ردما** حاجزا حصينا وهو اكبر من السد
من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع **اتوني زبر الحديد** قطعه والزبرة القطعة الكبيرة
وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر
ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك
الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل **حتى اذا ساوى بين الصدفين** بين جانبي
الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال
وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعدل عن الاخر ومنه
التصادف للتقابل **قال انفخوا** اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد **حتى اذا جعله** جعل المنفوخ فيه
نارا كالنار بالاحماء **قال اتوني افرغ عليه قطرا** اي اتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول
واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول اتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرا حمزة وابو بكر
قال ائتوني موصولة الالف **فما اسطاعوا** بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا
بين ساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا **ان يظهروه** ان يعلوه بالصعود لارتفاعه
وانملاسه **وما استطاعوا له نقبا** لثخنه وصلابته قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر
والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى
صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا وقيل
بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها **قال هذا** هذا
السد والاقدار على تسويته **رحمة من ربي** على عباده **فاذا جاء وعد ربي** وقت وعده بخروج ياجوج
وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة **جعله دكا** مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر
بمعنى مفعول ومنه جمل ادك المنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية **وكان
وعد ربي حقا** كائنا لا محالة وهو اخر حكاية قول ذي القرنين **وتركنا بعضهم يومئذ يموج
في بعض** وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين
في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده
ونفخ في الصور لقيام الساعة **فجمعناهم جمعا** للحساب والجزاء **وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين** وابرزناها واظهرناها لهم **عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري** عن اياتي
التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم **وكانوا لا يستطيعون سمعا** استماعا لذكري وكلامي

بالطف وجه وادقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف
وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا وللايجاز
في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه **قوله سبحانه
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون** الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين
على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما
مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين
حسنا غير تام واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا للمتقين
ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله تعالى الجارية عليه
تمجيدا قلت يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل
الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها
وذكر الصلوة والصدقة لانهما اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف
سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة
وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة
كان من شانهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن
عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان يقترن به مع ما في ذلك
من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر ويحتمل ان لا يكون بيانا للمتقين وتكون صفة براسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين
يجتنبون المعاصي ويحتمل ان يكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة
وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتهما على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال
من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة
واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما امنت ان اجد صحابة
اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب
اي يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال
اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ويعلم
اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما امن مؤمن
افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا قلت
ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة
قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت
الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انخمصتا واما
ان يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل واصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير
وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو
الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته
حالا كان بمعنى الغيبة فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه
بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق

ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وادابها من اقام
العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة عليها كما قال عز وعلا الذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم
على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب
لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات
ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت وضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر
لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها
وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام
بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع والسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح
فيها قال فلولا انه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم
وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا
طأطأ راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل
تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق
الذي يستاهل ان يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف
والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال
بالتصدق به وجائز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وان
تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشيء وانفده
اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب
ونحو ذلك اذا تاملت والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون فان قلت
والذين يؤمنون اهم غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع
والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب قلت يحتمل ان يراد هؤلاء مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام واضرابه من الذين امنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالاخرة ايقانا
زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشاة الاخرى واعادة الارواح بالاجساد ثم افتراقهم فرقتين
منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه اخرون
فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل
الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور
واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين
ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه فان قلت فاذا اريد بهؤلاء غير اولئك فهل
يدخلون في جملة المتقين ام لا قلت ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة المتقين مشتملة
على الزمرتين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين
وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك فان قلت قوله بما انزل اليك ان عني به القران باسره والشريعة عن
اخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ المضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت
ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب قلت المراد المنزل كله وانما
عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب

على الغائب

على الغائب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد فعلتما ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن
كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب
ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم
بشيء الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الاتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا اتيه
بماضيه وقرا يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الاخرة
وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة وهي من الصفات الغالبة
وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة على خلاف حقيقته
وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من امن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان
اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والاخرة تانيث الاخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل
قوله تلك الدار الاخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى
حركتها على اللام كقوله دابة ارض وقرا ابو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كانها
فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه قال لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اولئك على هدى الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون
بالغيب مبتدا والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب
فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين فاختص المتقون بان الكتاب لهم هدى
اتجه لسائل ان يسال فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته
كانه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله
ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان
يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الذين قارعوا
دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل المحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على اولئك
كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان
يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا واعلم ان هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة باعادة
اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته
كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة احسن وابلغ
لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع
الثاني على الابتداء واولئك خبره قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب
الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون
الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه
من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها
بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى
مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه
هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى
ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على
اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه
قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى

علما لذلك العقد وعقدت على لجمهم والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران هاهنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم مفلحون في الاخرة كما بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي قد اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز من قائل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا يقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى **ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون** لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الاي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتداته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام اخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الاي المتلوة قلت قد مر لي ان الكلام المبتدا عقيب المتقين سبيله الاستئناف وانه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدا في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون ءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر

لان

لان فان قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت ما تقول فيمن قلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يؤمنون قلت اما ان تكون جملة موكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي ايات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال

ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر
واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر

فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الاية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي

هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها نحو قوله
حتى لا تعي شيئا ولا تفقهه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك
ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره
حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب
له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها
الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية
وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان
طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب
وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما
كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع
والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها
لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء
واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر
عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد
لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء ~~بختم [illegible]~~ وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي و
استشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في
حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه
وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم
قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان
ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا
امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله
والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا
اي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هل منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم
ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت لا لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كأن فيها
كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك
المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما
آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب
وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل
النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش
ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته
على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق
بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون
الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على

ابصارهم

ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام
نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة قوله سبحانه
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم
لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بذكر الذين محضوا الكفر
ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا
وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة
وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل
فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في
ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بهم
وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن
آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل
لوقه في الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناسي وانس
وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا وبزنة
ناس فعال لان الزنة على الاصول الا ترى انك تقول في وزن قه افل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء
الجمع كرخال واما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز
ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبي واصحابه
ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقرني
القوم لئام ومن في من يقول موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال
ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فان قلت كيف يجعلون
بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون
المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة
والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها
وبعض وتلك المغايرات انما تأبى بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص بالذكر الايمان
بالله والايمان باليوم الآخر قلت اختصاصهم بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان
القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه
على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر
عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين
واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا
في هذا المقال انهم احتازوا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء
انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين
قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل
قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد
والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان يكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم
من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى
تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون

ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها فان قلت فلم جاء الايمان
مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد
بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت
ما المراد باليوم الاخر قلت يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتاخره
عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
لانه اخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده **يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم
وما يشعرون** والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر المحترش
الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب اخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين
لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان
جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا من قريش كل منخدع وقول ذي الرمة
ان الحليم وذا الاسلام يختلب فقد جاء النعت بالانخداع ولم يات بالخداع قلت فيه وجوه احدها انه
كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع
الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل
من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم
عليهم والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه
الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح
فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على
عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه
مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم
رسمه مصداقه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع
الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة هذه
الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله
احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر
احاطة العلم بفضل زيد لا بنفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطية
وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال عني به فعلت
الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم
منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله
والذين امنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان
كاذبين وما نفعهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت فهم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن اغراض لهم
ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم
بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من
الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان
قلت فلم اطلعهم عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لم يطلعهم عليهم لما احاط به علمه
من المصالح التي لو اطلعهم عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه
من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت

ما المراد

ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين
الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة
الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث
تمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون
على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به
الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها
اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل
وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا
داعيي النفس وهاجسي النفس سموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين
عليه والامرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم
ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم
وارائهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك
بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم
بما كانوا يكذبون** واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في
جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم
عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وافة شبيهة بالمرض كما استعيرت
الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد
والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم
البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم
حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه
بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاك شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن
والخور لان قلوبهم كانت قوية اما قوتها فلطمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن
ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها الياس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق
على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب و
شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة
شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم
فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسناد الفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا
لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا
وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع
وقرا ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف
العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمولم كما ان
الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب
الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات
استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى

عن ابرهيم صلوات الرحمن عليه انه كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب
سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذّبون من كذّبه الذي
هو نقيض صدقه ومن كذّب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيرهما بان الشيء وبيّن
وقلص الثوب وقلّص او بمعنى الكثرة كقولك موّتت البهائم وبرّكت الابل او من قولهم كذّب الوحشي اذا جرى شوطا
ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره ولذلك قيل مذبذب وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه واذا قيل لهم لا تفسدوا
في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما
آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا قيل لهم معطوف
على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا
والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامة وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول
على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفا
الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طي
حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمالئون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم
اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل
لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما
لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون
ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من
همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا
كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم
واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك
رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف
وما في كلتا الكلمتين الا وان من التاكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون اتوهم في
النصيحة من وجهين احدهما تسفيه ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم
الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم و
جهلهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا
وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد
له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلثة احرف ومنه
زعموا مطية الكذب وما في كما آمن كافة او مصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد
اي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من
جلدتهم ومن ابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية وجعل المؤمنون
كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار
واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه ويجوز ان
يكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه فان قلت لم
سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا

ان ما

ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم
ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم او ارادوا
عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك
على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم
فان قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين
على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي
المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في
جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه ذكر
السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شيا طينهم
قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون مساق هذه
الآية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم
وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين
وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن
ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله
انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم
وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا
بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه
فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف
رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري وملاقي
ومراقي وقرأ ابو حنيفة رحمه الله واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون
من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت
منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم
وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم
وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم
تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة
ومن اسمائه الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين
بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين و
اوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان
غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث و
محرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على
لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين
مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فهم
فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه
على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان
مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت انى تعلق قوله انما نحن مستهزؤن بقوله انا معكم

قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزءون رد للاسلام و
دفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد
لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا
لهم انا معكم فقالوا ما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء
السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن
بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لاهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف فان قلت لا يجوز
الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل
السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب من باب العبث والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا
هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم
لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه
والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء
امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان
يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ
بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي
يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل
بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين
ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا
لقوله انما نحن مستهزءون قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت
وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما
كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر
من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله
مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك
مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد و
مده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت
انه من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن
كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع امهله
اللام كاملي لهم فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله
واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم
بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم تتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب
المومنين فسمى ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما
على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين
اغوائه عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع
عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسندوا الى الشياطين ولكن المعنى
الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر
وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما

من القادح

الرقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني
الجنة فقال اعتق النسمة وفك الرقبة قال اوليسا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين
في تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة من افاضل الاعمال وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة
وعند صاحبيه الصدقة افضل والاية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل
عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال
علم من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقرئ فك رقبة او اطعام وهي فك رقبة او
اطعام وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض
ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات
من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب
واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
ذا متربة الذي ماواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو
نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة
ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا
باياتنا هم اصحاب المشامة عليهم نار موصدة جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة
عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به والمرحمة
الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات
والمحن التي يبتلى بها المومن وبان يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله تعالى الميمنة
والمشامة اليمين والشمال او اليمن والشوم اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن وقرئ موصدة
بالواو والهمزة من اوصدت الباب واصدته اذا اطبقته واغلقته وعن ابي بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة
فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد
اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس خمس عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحها والقمر اذا تلها والنهار اذا
جلها والليل اذا يغشها والسماء وما بنها والارض وما طحها ضحاها ضوءها اذا اشرقت وقام
سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكان وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك
والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب ان ينتصف اذا تلاها طالعا عند غروبها اخذا من نورها و
ذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور اذا جلاها عند انتفاخ النهار
وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر
لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون السماء اذا يغشاها فتغيب وتظلم الافاق
فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف
على عاملين وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل
وسيبويه على استكراهه قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها
شان خلاف شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما
معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن ان يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب
زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما وما بناها جعلت ما مصدرية

في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فالهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم
والوجه ان يكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر
العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا
ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها كذبت ثمود
بطغويها اذ انبعث اشقيها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقيها فكذبوه فعقروها فدمدم
عليهم ربهم بذنبهم فسويها ولا يخاف عقبيها فان قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان احدهما
ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كانه قيل وواحدة من النفوس والثاني ان يريد كل
نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما
وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد افلح من زكيها وقد خاب
من دسيها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية
النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس كما قيل في تقضض تقضى وسئل ابن عباس عنه فقال اتقرأ
قد افلح من تزكى وقد خاب من حمل ظلما واما قول من زعم ان الضمير في تزكى ودسى لله وان تانيث الراجع
الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه
ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها اليه فان قلت فاين جواب القسم قلت هو محذوف تقديره
ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم
كذبوا صالحا واما قد افلح من زكيها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقويها على سبيل الاستطراد
وليس من جواب القسم في شيء الباء في بطغويها مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا
من الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة
فقالوا امراة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجراته على الله وقيل كذبت بما
اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية وقرا الحسن بطغويها بضم الطاء كالحسنى
والرجعى في المصادر اذ انبعث منصوب بكذبت او بالطغوى واشقاها قدار بن سالف ويجوز ان يكونوا
جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته
اظهر وابلغ وناقة الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا واحذروا
عقرها وسقياها فلا تزووها عنها ولا تستاثروا بها عليها فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب
ان فعلوا فدمدم عليهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم
بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب ان يعتبر ويحذر فسويها الضمير
للدمدمة اي فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف عقبيها اي عاقبتها وتبعتها
كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقاء ويجوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالارض او
في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفي مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يخف ۵ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشمس فكانما تصدق
بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر ۵

سورة الليل عشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق
الذكر والانثى ان سعيكم لشتى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل و
استغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله اذا تردى ان علينا للهدى وان لنا للاخرة والاولى

المغشي

المغشي اما الشمس من قوله والليل اذا يغشيها واما النهار من قوله يغشي الليل النهار واما كل شيء يواريه بظلامه
من قوله اذا وقب تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق والقادر العظيم القدرة
الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما ادم وحواء وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والذكر
والانثى وقرا ابن مسعود والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى بالجر على انه بدل
من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله اي ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده
بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوي الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره
عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد
لقي خنثى مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا شتى جمع شتيت اي ان مساعيكم
اشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على اثره اعطى يعني حقوق ماله واتقى الله فلم يعصه وصدق بالخصلة
الحسنى وهي الايمان او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه
لها من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له والمعنى
فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة ايسر الامور عليه واهونها من قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام واستغنى وزهد فيما عند الله كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة
لانه في مقابلة واتقى فسنيسره للعسرى فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة اعسر شيء عليه واشده
من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى
لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي الجنة والنار اي فسنهديهما في الاخرة للطريقين وقيل نزلتا في ابي بكر رضي الله عنه
وفي ابي سفيان بن حرب وما يغني عنه استفهام في معنى الانكار او نفي تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد
الموت او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل
وبيان الشرائع وان لنا للاخرة والاولى اي ثواب الدارين للمهتدي كقوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله
يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى وقرا ابو الزبير تتلظى
فان قلت كيف قال لا يصليها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقي يصليها وكل تقي يجنبها لا يختص
بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى
فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة
قلت الاية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما
المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة
كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل او امية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون
عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكوة فان قلت ما محل يتزكى قلت هو على وجهين ان جعلته
بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب
ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار وانشد في اللغتين قول بشر بن ابي خازم
اضحت خلاء قفارا لا انيس بها الا الجآذر والظلمان تختلف   وقول القائل
وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس   ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى
الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر
ويسر له اليسر صدق رسول الله صلعم

سورة الضحى احدى عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها وقيل انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها
موسى عليه السلام والقى السحرة فيها سجدا لقوله وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد بالضحى النهار بيانه قوله ان ياتيهم
باسنا ضحى في مقابلة بياتا سجى سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس
والاصوات فيه وسجا البحر سكنت امواجه وطرف ساج ساكن فاتر ما ودعك جواب القسم ومعناه ما قطعك
قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال وثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس اطراف المثقفة السمر
والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي ان الوحي قد تاخر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان ام جميل امراة ابي لهب قالت
له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فنزلت حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فاوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف فان قلت
كيف اتصل قوله وللاخرة خير لك من الاولى بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك
بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في الاخرة اعظم
من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع انبياء الله ورسله وشهادة امته على سائر الامم ورفع
درجات المومنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية ولسوف يعطيك ربك فترضى
موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا
والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في
اقطار الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب
اهل الشرق والغرب من الرعب وهيبة الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب
الذي لا يعلم كنهه الا الله قال ابن عباس له في الجنة الف قصر من لولو ابيض ترابه المسك فان قلت ما هذه
اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف
يعطيك فان قلت ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتاخير قلت معناه ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لما في
التاخير من المصلحة الم يجدك تعديد عليه نعمه واياديه وانه لم يخله منها من اول تربيته وابتداء نشئه ترشيحا
لما اراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا
يضيق صدره ولا يقل صبره والم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى الم
تكن يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين وكفله
عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى
الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاواك وقرئ فاوى وهو على معنيين اما من اواه بمعنى اواه سمع بعض
الرعاة يقول اين اوي هذه الموقسة واما من اوى له اذا رحمه ضالا معناه الضلال عن علم الشرائع وما
طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل
الى عبد المطلب وقيل اضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في
طريق الشام حين خرج به ابو طالب فهداك فعرفك القران والشرائع او فازال الضلال عن جدك وعمك ومن قال
كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دينهم

وكفرهم

وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة
فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر
عائلا فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ سيحات وعديما فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنائم قال
قال صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فلا تقهر فلا تغلبه على ماله
وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو ان يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه
الحديث فبابي وامي هو ما كهرني فلا تنهر فلا تزجره فنهره وانتهره بمعنى وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رددت السائل
ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل اما انه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا
تنهره التحديث بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدا
ذلك وعن مجاهد بالقران فحدث اقرأه وبلغ ما ارسلت به وعن عبد الله بن غالب انه كان اذا اصبح
يقول رزقني الله البارحة خيرا قرات كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا ابا فراس امثلك يقول مثل هذا قال
يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا اذا قصد
به اللطف وان يقتدي به غيره وامن على نفسه الفتنة والستر افضل ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الرياء
والسمعة لكفى به وفي قراءة علي رضي الله عنه فخبر والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فاواك الله وهداك
واغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف
على اليتيم واوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورايت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك
ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال
وتعليمه الشرائع والقران مقتديا بالله في ان هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح ثمان ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه كانه قيل شرحنا لك صدرك
ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة
الثقلين جميعا او حتى احتمل المكاره او تعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او فسحناه بما اودعناه من العلوم
والحكم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن ابي جعفر
المنصور انه قرا الم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها والوزر
الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من جهله بالاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام
اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه ان غفر له او علم الشرائع او مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرا
قرا انس وحللنا وحططنا وقرا ابن مسعود وحللنا عنك وقرك ورفع ذكره ان قرن بذكر الله في كلمة
الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القران والله ورسوله احق ان يرضوه
ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب
الاولين والاخذ على الانبياء واممهم ان يؤمنوا به فان قلت اي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه
قلت في زيادة لك ما في طريقة الابهام والايضاح كانه قيل الم نشرح لك ففهم ان ثم مشروحا ثم قيل
صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك فان قلت كيف تعلق قوله فان مع العسر يسرا

بما قبله قلت كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره ما انعم به عليه من جلائل النعم ثم قال ان مع العسر يسرا كانه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذي انتم فيه يسرا فان قلت ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر قلت اراد ان الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر الموعود حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية للقلوب فان قلت ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا انه خرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين قلت هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد الله لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد وان يكون الاولى عدة بان العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستيناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد فهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال فان قلت فما المراد باليسرين قلت يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في ايام الخلفاء وان يراد يسر الدنيا ويسر الاخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب فان قلت فما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة فان قلت فاذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قلت كانه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتاوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة فان قلت فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الانفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى وعن ابن عباس رضي الله عنه فاذا فرغت من صلوتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك وعن الشعبي انه رأى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا امر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه في دينه او دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل الاخرة وقرأ ابو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرأ فانصب بكسر الصاد اي فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان يقرأ هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته والى ربك فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة التين ثمان ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين

والتين والزيتون اقسم بهما لانهما

عجيبان

تين

عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون واضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون بيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب والبلد مكة حماها الله والامين من امن الرجل امانة فهو امين وقيل امان كما قيل كرام في كريم وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما امنا بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابرهيم ومولد عيسى عليهما السلام ومنشأه والطور المكان الذي نودي منه موسى عليه السلام ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار او اسفل من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فتقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرأ عبد الله اسفل السافلين فان قلت فكيف الاستثناء على المذهبين قلت هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم فان قلت فما يكذبك من المخاطب به قلت هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله تعالى الذين هم به مشركون والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة اقرأ تسع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق

اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك الرجعى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ فان قلت كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان قلت هو على وجهين اما ان لا يقدر له مفعول وان يراد انه الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه واما ان يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته فان قلت لم قال من علق على الجمع وانما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة قلت لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ... الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحود نعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فالكرمه غاية ولا امده وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم ورواقم رقش كمثل الارقم قطف الخطى نيالة اقصى المدى سود القوائم ما يجد مسيرها الا اذا لعبت بها بيض المدى وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان رآه ان رأى نفسه يقال في افعال القلوب رايتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني ان الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت في ابي جهل وكذلك الذي ينهى وروي انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عم فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وروي عنه لعنه الله انه قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رايته توطات عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ارايت الذي ينهى ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان امرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هدايته وضلالته فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد فان قلت ما متعلق ارايت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين فان قلت فاين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى

الم يعلم

الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فان قلت فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه فان قلت فما ارايت الثانية وتوسطها بين مفعولي ارايت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن انه امية بن خلف كان ينهى سلمان رضي الله عنه عن الصلوة كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب كلا ردع لابي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وامره بعبادة اللات ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعن بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معديكرب قوم اذا يقع الصريخ رايتهم من بين ملجم مهره او سافع وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود لاسفعن وكتبها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم انها ناصية مخصوصة عرفها بلام العهد ثم ابدل منها ناصية بدل النكرة من المعرفة وقرئ ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي كما قال جرير لهم مجلس صهب السبال اذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة المجلس روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت وقرأ ابن ابي عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع لابي جهل لا تطعه اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك يريد الصلوة واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر خمس آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر عظم القرآن من ثلثة اوجه احدها ان اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلم على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى انا ابتداءنا انزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر القول انها السابعة منها ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وان لا يتكل الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها من قوله فيها يفرق كل امر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي وما ادراك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بانها خير من الف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر

فاعطوا الليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد تنزل الى السماء الدنيا وقيل الى الارض
والروح جبريل وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة من كل امر اي تنزل من اجل كل امر قضاه الله
لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا
عليه في تلك الليلة سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء
وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة ثمان آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين
حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة
ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة كان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب
في التورية والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا
اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا
فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر
وما غمست رأسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشيء من الشيء
ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند
مجيء البينة والبينة القرآن وهو الوحي ويجوز ان يراد النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت كيف نسب تلاوة
الصحف اليه وهو امي قلت اذا تلا مثل المسطور فيها كان تاليا والبينة الحجة الواضحة ورسول بدل من البينة
وفي قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبة قيمة مستقيمة
ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه او تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم
من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند فان قلت لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل
الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب قلت لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه
كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف وما امروا يعني في التورية والانجيل الا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا
وبدلوا وذلك دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة فان قلت
ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله قلت معناه وما امروا بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه
الصفة وقرأ ابن مسعود الا ان يعبدوا بمعنى بان يعبدوا ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار
جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم
عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه عدن
قرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل وقرئ
خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان
يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة ثمان آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها

وقال

وقال الانسان ما لها يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره زلزالها قرئ بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر
والمفتوح اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف فان قلت ما معنى زلزالها بالاضافة قلت معناه
زلزالها الذي يستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك اكرم التقي
واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه
الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها وقال الانسان ما
لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ امواتها
احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه
كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فان قلت ما معنى تحديث الارض
والايحاء لها قلت هو مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من
يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه و
يحذرون منه وقيل ينطقها الله تعالى على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها فان قلت اذا ويومئذ ما ناصبهما قلت يومئذ بدل من اذا
وناصبهما تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث فان قلت اين مفعولا تحدث قلت قد حذف اولهما
والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم
فان قلت بم تعلقت الباء في قوله بان ربك قلت بتحدث معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها
بالتحديث ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك
اوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من
اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها
بمعنى اوحى اليها وهو مجاز كقوله ان يقول له كن فيكون قال اوحى لها القرار فاستقرت وقرأ ابن مسعود تنبئ
اخبارها وسعيد بن جبير تنبئ بالتخفيف يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه
آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء اعمالهم
وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح وقرأ ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم ويحكى ان اعرابيا
اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال خذا بطن هرشى او قفاها فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق
والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء فان قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر
وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر قلت المعنى فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر
الناس اشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا
فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد
افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير اقسم بخيل الغزاة تعدو
فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس رضي الله عنه انه حكاه فقال اح اح قال عنترة العبسي
والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا وانتصاب ضبحا اما بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح
يكون مع العدو او على الحال اي ضابحات فالموريات توري نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها قدحا

قادحات صكاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والإيراء إخراج النار يقال قدح فأورى وقدح فأصلد
وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا فالمغيرات تغير على العدو صبحا في وقت الصبح فأثرن به فهيجن بذلك
الوقت غبارا فوسطن به بذلك الوقت أو بالنقع أي وسطن النقع الجمع أو فوسطن ملتبسات به جمعا
من جموع الأعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز
أن يراد بالنقع الصياح من قول النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد
فمتى ينقع صراخ صادق أي فهيجن في المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ أبو حيوة فأثّرن بالتشديد بمعنى
فأظهرن به غبارا لأن التأثير فيه معنى الإظهار أو قلب ثوّرن إلى وثّرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسّطن
بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله وأتوا به أو هي مبالغة في وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا
في الحجر فجاء رجل فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب إلى علي وهو تحت سقاية زمزم
فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله إن كانت لأول غزوة
في الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد والعاديات ضبحا الإبل من عرفة إلى
المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى فإن صحت الرواية فقد استعير الضبح للإبل كما استعير المشافر والحافر للإنسان
والشفتان للمهر والثفر للثورة وما أشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون إلا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح
بمعنى الضبع يقال ضبحت الإبل وضبعت إذا مدت أضباعها في السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة
فإن قلت علام عطف فأثرن قلت على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لأن المعنى واللاتي عدون فأورين
فأغرن فأثرن الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمي كندة لأنه كند أباه ففارقه وعن الكلبي الكنود بلسان
كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني أنه لنعمة ربه خصوصا لشديد
الكفران لأن تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لأن أجل ما أنعم به على الإنسان من مثله
نعمة أبويه ثم إن عظماها في جنب أدنى نعمة الله قليلة ضئيلة وإنه وإن الإنسان على ذلك على كنوده لشهيد
يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره وقيل وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد الخير المال
من قوله تعالى إن ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة بن العبد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد يعني وإنه لأجل حب المال وأن إنفاقه يثقل
عليه لبخيل ممسك أو أراد بالشديد القوي وأنه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة
الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الأمر وقوي له إذا كان مطيقا له ضابطا أو أراد أنه
لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض بعثر بعث وقرئ بحثر وبحث وبعثر وحصل على بنائهما
للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى حصل جمع في الصحف أي أظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه
قيل للمنخل المحصل ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم لأن ذلك أثر خبره بهم وقرأ أبو السمال
أن ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العاديات أعطي من الأجر عشر
حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا.

سورة القارعة احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية
وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية يوم يكون الظرف نصب بمضمر دلت
عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف
والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار قال جرير إن الفرزدق ما علمت وقومه مثل

الفراش

الفراش غشين نار المصطلي وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره
وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لأنها ألوان وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها وقرأ ابن مسعود
كالصوف الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها
ومنه حديث أبي بكر لعمر رضي الله عنهما في وصيته له وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة
باتباعهم الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحسنات أن يثقل وإنما خفت موازين من خفت
موازينهم باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه إلا السيئات أن يخف فأمه هاوية من
قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لأنه إذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا
قال هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب فكأنه قيل وأما من خفت موازينه
فقد هلك وقيل هاوية من أسماء النار وكأنها النار العميقة لهوي أهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي
يهوي فيها سبعين خريفا أي فمأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لأن الأم مأوى الولد ومفزعه
وعن قتادة فأمه هاوية فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوسا هيه ضمير الداهية
التي دل عليها قوله فأمه هاوية في التفسير الأول أو ضمير هاوية والهاء للسكت وإذا وصل القارئ حذفها
وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف وقد أجيز إثباتها مع الوصل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

سورة التكاثر ثمان آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ
عن النعيم ألهاه عن كذا وأقهاه إذا شغله والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وأن يقول هؤلاء نحن
أكثر وهؤلاء نحن أكثر روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف
فقالت بنو سهم إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى
ألهاكم التكاثر بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات عبر عن بلوغهم
ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند
تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين
الذي هو أهم وأعنى من كل مهم أو أراد ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم منفقين
أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها إلى أن أتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو أولى
بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبور عبارة عن الموت قال لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد
أو يزور القبرا وقرأ ابن عباس أألهاكم على الاستفهام الذي معناه التقرير كلا ردع وتنبيه على أنه لا
ينبغي للناظر لنفسه أن يكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون إنذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم
والتكرير تأكيد للردع والإنذار عليهم وثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد كما تقول
للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من
هول لقاء الله وإن هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه أيضا وقال لو تعلمون محذوف الجواب
يعني لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم
ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به وقد
مر ما في إيضاح الشيء بعد إبهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وأن
ما أوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقرئ لترون

بالهمزة وهي مستكرهة فان قلت لم استكرهت والواو المضمومة قلبها همزة قياس مطرد قلت ذاك في الواو التي ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول عين اليقين اي الروية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز ان يراد بالروية العلم والابصار عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان قلت ما النعيم الذي يسال عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم قلت هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما واما من تمتع بنعمة الله وارزاقه التي لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذاك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الهيكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف اية

سورة العصر ثلاث ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله والصلوة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة وقول النبي صلى الله عليه وسلم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم اخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف العجائب والانسان للجنس والخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران والمعنى ان الناس في خسران من تجارتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الاخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده كلا لينبذن في الحطمة وما ادريك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم موصدة في عمد ممددة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال ولن اغيب فانت الهامز اللمز وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي ياتي بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان ذلك ازجر له وانكى فيه الذي بدل من كل او نصب على الذم وقرئ جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده واحصاه او جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعده على فك

الادغام نحو ضننوا اخلده وخلده بمعنى اي طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والاجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه وروي انه كان للاخنس اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذا تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك كلا ردع له عن حسبانه وقرئ لينبذان اي هو وماله ولينبذن بضم الذال اي هو وانصاره ولينبذنه في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وقرئ الحاطمة يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تالما منه بادنى اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز ان تخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها موصدة مطبقة قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة وقرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى انه يؤكد ياسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فيوصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم موصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي يقطر فيها اللصوص اللهم اجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه

سورة الفيل خمس ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه راى منها عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وارابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلث وعشرين سنة وعن عائشة رضي الله عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير

مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رأس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت
لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ
لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول
لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك ❊ لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك ❊ ان كنت تاركهم وكعبتنا
فامر ما بدا لك ❊ يا رب لا ارجو لهم سواكا ❊ يا رب فامنع منهم حماكا ❊ فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو
اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم
وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره وعن ابي سعيد الخدري انه سئل
عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من اصابته جدرته
وهو اول الجدري ظهر قرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم والمعنى انك رايت اثار فعل
الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف في موضع نصب بفعل ربك
لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام في تضليل في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا
ضائعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك
ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه
فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم ابابيل حزائق
الواحدة ابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالابالة
وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها وقرأ ابو حنيفة رحمه الله يرميهم اي الله تعالى او الطير
لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى من سجيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان
سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال
وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا فارسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس
من طين مطبوخ كما يطبخ الاجر وقيل هو معرب من سنك كل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل
ضربا تواصت به الابطال سجيلا ❊ وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه ونبه على ان
الدبع اذا اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او تبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما
عليه اداب القران كقوله كانا ياكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقي صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة ايلاف اربع ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف
فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا
امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين فان قلت فلم دخلت الفاء قلت لما في الكلام من معنى الشرط
لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه
فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله
اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي
قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر رضي الله عنه انه قرأهما في الثانية
من صلاة المغرب وقرأ في الاولى والتين والمعنى ان الله اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك
فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ احد
عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكا

في رحلتيهم امنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم
والايلاف من قولك الفت المكان والفته اذا الفته فانا مؤلف قال من المؤلفات الرهو غير الاوارك
وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفة قريش وقيل يقال الفته الفا والافا وقرأ ابو جعفر لالف قريش وقد
جمعهما من قال ❊ زعمتم ان اخوتكم قريش ❊ لهم الف وليس لكم الاف ❊ وقرأ عكرمة ليالف قريش الفهم رحلة
الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن
ولا تطاق الا بالنار وعن معوية انه سأل ابن عباس رضي الله عنهما بم سميت قريش قال بدابة في البحر تاكل
ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وانشد ❊ وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا ❊ والتصغير
للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد اطلق الايلاف
ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم
مفعولا به كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس كقوله كلوا في
بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني
اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وامنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل
او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى
اكلوا الجيف والعظام المحرقة وامنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء
ابراهيم صلوات الرحمن عليه ومن بدع التفاسير وامنهم من خوف من ان تكون الخلافة في غيرهم وقرئ
من خوف باخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله
عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة ارايت سبع ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم
ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون
ويمنعون الماعون قرئ ارايت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب
ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه صاح هل ريت او سمعت براع
رد في الضرع ما قرى في الحلاب وقرأ ابن مسعود ارايتك بزيادة حرف الخطاب كقوله ارايتك هذا الذي
كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي
يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع اي يتركه
ويجفو ولا يحض ولا يبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام
على ايذاء الضعيف يعني انه لو امن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم
عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه في التحذير من المعصية وانها جديرة
بان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله فويل للمصلين كانه قال فاذا كان
الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلوة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم او يخرج وقتها او لا
يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب
لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف
ولا ما قرأ من السورة وكما ترى صلوة اكثر من ترى الذين عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق اموالهم
والمعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم عن الصلوة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر
والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكوة التي هي شقيقة الصلوة وقنطرة الاسلام علما على

انهم يكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يدع اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة مرائين غير مزكين اموالهم فان قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام الضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لان المراد به الجنس فان قلت اي فرق بين قوله عن صلوتهم وبين قولك في صلوتهم قلت معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلوته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن انس الحمد لله على ان لم يقل في صلوتهم وقرا ابن مسعود لاهون فان قلت ما معنى المراءاة قلت هي مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فتثني عليه بالصلاح وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر واطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على ان اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الاسود الماعون الزكوة قال الراعي قوم على الاسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود ما يتعاور في العادة من الفاس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ارايت غفر الله له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر ثلث ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر

في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم انطيناك بالنون وفي حديثه صلى الله عليه وسلم وانطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت بكوثر قال وانت كثير يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن العقائل كوثرا وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها حين انزلت عليه فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنس الدنس الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير والنحر نحر البدن وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل هي صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال

والمعنى

والمعنى اعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه احد غيرك ومعطي ذلك كله انا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطاء واوفره من اكرم معط واعظم منعم فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان ان من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الابتر لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنائر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى اخر الدهر يبدا بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له ابتر انما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا وفي الاخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الابتر والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر او يقربونه

سورة الكافرون وهي ست ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين

المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا لا اعبد اريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لن تاكيد فيما ينفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله في ذلك الوقت فان قلت فلم جاء على ما دون من قلت لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرون فكانما قرا ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر وهي ثلث ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فان قلت ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه قلت النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض اغاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش

وفتح مكة وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر
رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار وطوائف
العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة
ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل
مكة الطلقاء ثم بايعوه بالاسلام في دين الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه افواجا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها
بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه بكى ذات
يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا
وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان
والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس لنا به يدان وقد كان الله اجارهم
من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال وقرأ ابن
عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فان قلت ما محل يدخلون قلت النصب
اما على الحال على ان رايت بمعنى ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك
فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على
اهل الحرم واحمده على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه
عليك او فصل له روت ام هانئ انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة كان
يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك والامر بالاستغفار مع
التسبيح تكميل الامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون
امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة
في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قراها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيها ضاحكا
مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اوتي هذا
الغلام علما كثيرا وروي انها نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله
بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا
واباءنا واولادنا وعن ابن عباس ان عمر رضي الله عنه كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن
اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم
واذن لي معهم فسألهم عن قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله ولا اراه سألهم الا من اجلي فقال
بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت
اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي

فانك

فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع كان توابا اي كان في
الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد
يوم فتح مكة صدق رسول الله

سورة تبت خمس ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله
وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد

التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه
فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب وهلك كله او جعلت يداه هالكتين
والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه
الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروي
انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاجتمع اليه الناس من كل
اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم
قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت فان قلت لم كناه والكنية
تكرمة قلت فيه ثلثة اوجه احدها ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما
ولذلك تجري الكنية على الاسم والاسم على الكنية عطف بيان فلما اراد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى
سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب ومعاوية
بن ابو سفيان لئلا يتغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم امير مكة ابنان احدهما
عبد الله بالجر والاخر عبد الله بالنصب والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث
انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها ويقال
ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا المهلب
ابا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز ان يذكر بذلك تهكما
به وبافتخاره بذلك وقرئ ابي لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم
ما اغنى استفهام في معنى الانكار ومحله النصب او نفي وما كسب مرفوع وما موصولة او مصدرية
بمعنى ومكسوبه او وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني راس المال والارباح او ماشيته
وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه
او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكي ان بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا
فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام
ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث
قوله عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
قتادة عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وروي انه كان يقول ان كان
ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه بمالي وولدي سيصلى وقرئ بضم الياء وضمها مخففا ومشددا
والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته وامرأته هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان
وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم

الناثرة ويورث الشر فال من البيض لم تصطد على ظهر لامة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب جعلها حطبا رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى اي سيصلى هو وامراته وفي جيدها في موضع الحال او على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم ام جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ مريته بالتصغير المسد الذي فتل من الحبال اي انها تحمل تلك الحزمة فتلا شديدا من ليف كان او جلدا وغيرهما قال

ومسد امر من ايانق

ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها تصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال

ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي ام ما تعير من حمالة الحطب
غراء شادخة في المجد غرتها كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله تعالى بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد هو ضمير الشان والله احد هو الشان كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له فان قلت ما محل هو قلت الرفع على الابتداء والخبر الجملة فان قلت فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدأ فاين الراجع قلت حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدأ في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد وقرأ عبد الله وابي هو الله احد بغير قل وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو وقال من قرأ الله احد كان بعدل القران وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم لم يلد لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة سألوه ان يصفه لهم فاوحي اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها

وفي طي

وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله لم يلد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يولد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به فان قلت الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في افصح كلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واحقه بالتقديم واحراه وقرئ كفوا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء فان قلت لم كانت هذه السورة عدل القران كله على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ان علم التوحيد من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق وهي خمس ايات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد

الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمان من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فراى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والماثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله تعالى في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين اذا امتلأت دمعا وغسقت الجراحة اذا امتلأت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث لما راى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن عائشة اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه

دخوله في الكسوف واسوداده ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه لملابسته من حدوثه فيه النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير لذلك اللهم الا اذا كان ثم اطعام شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبأون به فان قلت فما معنى الاستعاذة من شرهن قلت فيها ثلاثة اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد واللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كانهن يسحرنهم بذلك اذا حسد اي اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره اثره فان قلت قوله من شر ما خلق تعميم لكل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد قلت قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كانما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرفت النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد الا في اثنين وقال ابو تمام : وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال : ان العلى حسن في مثلها الحسد . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى كلها .

سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس قرئ قل اعوذ برب الناس بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة من الطير فان قلت لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم فان قلت ملك الناس اله الناس ما هما من رب الناس قلت هما عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون

الاضمار

ان يراد كالوهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال : ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر . والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رايت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا فان قلت هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم قلت كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره قوله تعالى

الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون

الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم فان قلت قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته

استهانة به واذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون فان
قلت ما سجين اصفة هو ام اسم قلت بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس
فيه الا سبب واحد وهو التعريف الذين يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان
الفاسق الخبيث كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها
وهو ان يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب
بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران
فيه النوم رسخ فيه وران به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام اجود
واميلت الالف وفخمت كلا ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف
بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون
عندهم قال اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس من بين مرجوب ومحجوب
وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي مليكة محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي
نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه
مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون كلا ردع عن التكذيب
وكتاب الابرار ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء
الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي
الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي
ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة
على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل
العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه
لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين الارائك الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاؤوا مد اعينهم اليه من مناظر
الجنة والى ما اولاهم الله من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن
الادراك نضرة النعيم بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه وقرئ تعرف
على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه مختوم ختم اوانيه من
الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اذا شرب وقيل يمزج
بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع فليتنافس المتنافسون
فليرتغب المرتغبون تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب
في الجنة واما لانها تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم وعينا نصب
على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة
ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم
انقلبوا فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين ان الذين اجرموا يعني
هم مشركو مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب
وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزئون بهم وقيل جاء علي رضي الله عنه في نفر من المسلمين
فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا راينا اليوم الاصلع فضحكوا منه
فنزلت قبل ان يصل علي رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا

ويشيرون

ويشيرون باعينهم فكهين ملتذين بذكرهم والسخرية منهم لضالون اي ينسبون المسلمين الى الضلال وما
ارسلوا على المسلمين حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون
برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم او هو من جملة قول الكفار وانهم اذا راوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون
وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك
فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون
على الارائك ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار
بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك امنون وقيل يفتح للكفار باب
الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها اغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم ثوبه واثابه

فاذا وصلوا اليها ح

بمعنى اذا جازاه قال اوس سأجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي
وقرئ بادغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله
من الرحيق المختوم يوم القيامة

سورة انشقت خمس وعشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض
مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب
او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء
انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه اذا انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن
علي رضي الله عنه تنشق من المجرة اذنت له استمعت له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء كاذنه
لنبي يتغنى بالقران وقول جحاف بن حكيم اذنت لكم لما سمعت هريركم والمعنى انها فعلت في انقيادها
لله حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع انصت له واذعن ولم يأب
ولم يمتنع كقوله اتينا طائعين وحقت من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد
ولا تمتنع ومعناه الايذان بان القادر الذات يجب ان يتاتى له كل مقدور ويحق ذلك مدت من مد الشيء
فامتد وهو ان تزال جبالها واكامها وكل امت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال تعالى
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد
زال كل انثناء فيه وامت واستوى او من مده بمعنى امده اي زيدت سعة وبسطة والقت ما فيها و
رمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها
كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة
وتكلفا فوق ما في طبعهما واذنت لربها في القاء ما في بطنها وتخليها يا ايها الانسان انك كادح الى ربك
كدحا فملاقيه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا
واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا انه كان في اهله مسرورا انه ظن
ان لن يحور بلى ان ربه كان به بصيرا الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده
اذا خدشه ومعنى كادح الى ربك جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء
فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح حسابا يسيرا لا
يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها
هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول
الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب الى اهله الى عشيرته ان كانوا مؤمنين

او الى فريق المؤمنين او الى اهله في الجنة من الحور العين وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله
وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره يدعو ثبورا يقول
يا ثبوراه والثبور الهلاك ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويُصلّى بضم الياء والتخفيف كقوله
ونصليه جهنم انه كان في اهله فيما بين ظهرانيهم او معهم على انهم كانوا جميعا مسرورا يعني انه كان في
الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم امر الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن
كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ظن
انه لن يحور لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال
لبيد يحور رمادا بعد اذ هو ساطع وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول
لبنية لها حوري اي ارجعي بلى ايجاب لما بعد النفي في لن يحور اي بلى ليحورن ان ربه كان به بصيرا
باعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة بن عبد الاسد
واخيه الاسود بن عبد الاسد فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا
عن طبق فما لهم لا يؤمنون الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت
المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما روي عن ابي حنيفة رحمه الله في احدى الروايتين انه
البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه وما
وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا
ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى اليه
من الدواب وغيرها اذا اتسق اذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة لتركبن على خطاب الانسان في يا
ايها الانسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس
وليركبن بالياء على ليركبن الانسان والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق كذا اي لا يطابقه ومنه
قيل للغطاء الطبق ولطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله
عز وعلا طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع
طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن
احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة و
اهوالها فان قلت ما محل عن طبق قلت النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير
في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين
عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله اعلم
بما يوعون فبشرهم بعذاب اليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
لا يسجدون لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب
فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة على
وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت
فيها الا بعد ان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان
فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة الذين كفروا اشارة الى المذكورين بما يوعون بما يجمعون في صدورهم
ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون
لانفسهم من انواع العذاب الا الذين آمنوا استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج

سورة البروج اثنان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود هي البروج الاثنا عشر
وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا
لظهورها وقيل ابواب السماء واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود يعني وشاهد في
ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما
في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما احضرت كانه قيل
وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام في الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود
لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت اقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد صلى الله
عليه وسلم ويوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
وقيل امة محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة
ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم
الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم
القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اين جواب القسم
قلت محذوف يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون
يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم
على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى
وصبرهم وثباتهم حتى ياتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله
بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل اصحاب
الاخدود وقتل دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره وقرئ قتّل بالتشديد والاخدود الخد في
الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه في اخاقيق جرذان
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان
في طريق الغلام راهب فسمع منه فراى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم
ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي
من الادواء وعمي جليس للملك فابراه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه
فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به
الى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه
فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني
على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه
فوضع يده عليه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في
افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست ان
تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وقيل قال لها ما هي
الا غميضة فصبرت وعن علي رضي الله عنه انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا
متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم
وطلب المخرج فقالت له ان المخرج ان تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان الله احل نكاح الاخوات ثم

تحطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم
السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله بقوله قتل
اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم
ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثنى عشر الفا في الاخاديد وقيل
سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنى عشر ذراعا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء النار بدل اشتمال من الاخدود وذات الوقود
وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم اذ
ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود
كقوله وبات على النار الندى والمحلق كما تقول مررت عليه تريد مستعليا لمكان يدنو منه
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك
السموات والارض والله على كل شيء شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم
عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار
ذلك الفوز الكبير ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم
لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم شهود
على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون وما نقموا منهم وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
وكما قال ابن الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرا ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح
هو الفتح وذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا
منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما يحق عليه عبادته و
الخشوع له تقريرا لان ما نقموا منه هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي وان الناقمين اهل
لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا
وهو مجازيهم عليه يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين امنوا المطروحين في
الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الاخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب
الحريق وهي نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المؤمنين او لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم
عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين
اي بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في الاخرة لكفرهم ولفتنتهم
ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل
اتيك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قران
مجيد في لوح محفوظ البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة
والظلمة واخذهم بالعقاب والانتقام انه هو يبدئ ويعيد اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم
في الدنيا والاخرة او دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما
ابداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدا الودود الفاعل باهل طاعته
ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا وقرئ ذي العرش صفة لربك وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش
ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه فعال لما يريد خبر مبتدا محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد
ويفعل في غاية الكثرة فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون اياه وآله كما في قوله من فرعون وملائهم

والمعنى

والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب اي
تكذيب واستيجاب العذاب والله عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم
مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الاضراب ان امرهم اعجب من امر اولئك
لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم وراوا اثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم
بل هو اي بل هذا الذي كذبوا به قران مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب في نظمه واعجازه وقرئ قران
مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد وقرا يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء
السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقران عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون
في الدنيا عشر حسنات صدق رسول الله

سورة الطارق سبع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم
الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب
والترائب النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل درى لانه يدرؤه اي يدفعه
ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق الجني اي يصكه والمراد جنس
النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها فان قلت ما يشبه قوله وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب
الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فائدة تحته قلت اراد الله عز من قائل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما
له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه
وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما ادريك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار لفخامة
شانه كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وروي ان ابا طالب كان عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو اية من ايات الله فعجب ابو طالب فنزلت فان قلت ما جواب
القسم قلت ان كل نفس لما عليها حافظ لان ان لا يخلو فيمن قرا لما مشددة بمعنى الا ان تكون نافية وفيمن
قراها مخففة على ان ما صلة ان تكون مخففة من الثقيلة وايتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن
عليها رقيب وهو الله عز وعلا وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا وقيل ملك يحفظ
عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون
ملكا يذبون عنه كما يذبون عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته
الشياطين فان قلت ما وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله قلت وجه اتصاله به انه لما ذكر ان على كل نفس
حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في اول امره ونشاته الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته
وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته مم خلق استفهام جوابه
خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن
والتامر او الاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما
حين ابتدئ في خلقه من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث
يكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه اربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب
قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة
انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع

انه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان ذلك الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا لقادر لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله انني لفقير يوم تبلى منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الاحليل الى حالته الاولى نصب الظرف بمضمر السرائر ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر فقال ما اغفله عما في والسماء والطارق فما له من قوة فما للانسان من قوة من منعة في نفسه تمنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه والسماء ذات الرجع سمي المطر رجعا كما سمي أوبا قال ربا سماء لا ياوي لقلتها الا السحاب والا الاوب والسبل تسمية بمصدري رجع وآب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا التفؤل فسموه رجعا واوبا ليرجع ويؤوب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء كالرجع في المدجنة السارية والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات

انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا

انه الضمير للقرآن فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح وان يلقي ذهنه الى ان جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم يتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله على المشركين ذلك في قوله وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والغوا فيه انهم يكيدون كيدا يعني اهل مكة يعملون المكايد في ابطال امر الله واطفاء نور الحق واكيد كيدا واقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا اي امهالا يسيرا او كرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه ع القصيبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى

تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في اسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وان يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب والاسم وقرأ علي رضي الله عنه سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت خلق فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعة حكيم قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله وهدايات الله للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم

والطيور

والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الاعلى وقرئ قدر بالتخفيف احوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء احوى دريا اسود ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حويه سنقرئك فلا تنسى بشره الله باعطاء آية بينة وهي ان يقرأ عليه جبريل ما يقرأ من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه الا ما شاء الله فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله او ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل مأمور بان يقرأه عليك قراءة مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان او قال الا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي انه اسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة انه يعلم الجهر يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا نكفيك ما تخافه او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسي من الوحي ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء

ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى

ونيسرك معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة فان قلت كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على وجهين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض عنهم وقل سلام وذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكورين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون سيذكر سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل ان يقبلوا منك ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة النار الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه تزكى تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلوة او تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء او تفعل من الزكوة كتصدق من الصدقة فصلى فصلى الصلوات الخمس نحو قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة وعن ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن علي رضي الله عنه انه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله قد افلح من تزكى اي اعطى زكوة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلوة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على

وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل وعن ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيد بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاول قراءة ابن مسعود بل انتم تؤثرون والاخرة خير وابقى افضل في نفسها وانعم وادوم وعن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الاخرة الا كنفجة ارنب ان هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلثون صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحائف والتورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابرهيم عليه السلم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد وكان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن عباس يقولان ذلك وكان النبي يحبها فقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل عم

سورة الغاشية ست وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعني القيمة من قوله يوم يغشيهم العذاب من فوقهم وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش يومئذ يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبا في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الاخرة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الاخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم تصلى نارا تدخلها وقرئ تصلى بضم التاء وتصلّى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر وعلى المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا من عين آنية متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ليس لهم طعام الا من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة الضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذؤيب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا بان عنه النحائص وقال قتيبة انيس وحبسن في هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود فان قلت كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه

وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا او يتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ما ادّاهم اليه من الكرامة والثواب عالية من علو المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه لاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء فيها عين جارية يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم الدائم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح ايما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او مفرقة في المجالس افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدره شاهدا بتدبير مدبره حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب وتنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان يكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان يكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماءها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا ترعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت ما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما رأى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد وكيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها وقرأ علي رضي الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هرون الرشيد انه قرأ سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار

وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من تولى استثناء
منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر
الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى
فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا من تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه
يعذبه وقرأ ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب
او ان يكون اصله اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد فان
قلت ما معنى تقديم الظرف قلت معناه التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام
وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر ثلثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر
هل في ذلك قسم لذي حجر الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد

اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلوة الفجر واراد بالليالي العشر
عشر ذي الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر
بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة
قلت لو فعل ذلك لم يستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن ان يكون اللامات متجانسة
ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها ويجوز ان
يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانها تاسع ايامها وذاك عاشرها وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه فسرهما بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه
وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه وبعد ما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم اذا يسرى
اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر في
العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن ابي عمرو وقد قرئ والفجر
والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد
وليال ايام عشر وياء يسرى تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى
يسرى يسرى فيه هل في ذلك اي فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق عنده
ان تعظم بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر
العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط
وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه
قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب بعاد ارم عطف بيان لعاد قيل لعقب عاد بن عوص بن
ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم
ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما فارم في قوله بعاد
ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة
ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله وسئل القرية ولم ينصرف قبيلة كانت او ارضا
للتعريف والتانيث وقراءة الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ
بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد

وذات

وذات العماد اسم المدينة وقرئ بعاد ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك
وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه
قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة
للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد
وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري
عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها
من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته
فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه
خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث
الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على
حاجبه وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل لم يخلق
مثلها مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة
العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير
لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله مثلها وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين
طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول
ربي اهانن جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول
من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة فرعون ذي الاوتاد
قيل له ذو الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته وبآسية
الذين طغوا احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين
طغوا او مجرورا على وصف المجرورين المذكورين عاد وثمود وفرعون فصب عليهم يقال صب عليه السوط
وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله عليهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما
اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه
الاية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها المرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال
من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب انه
قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمه الله انه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه
الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذا النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله
دره اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه فان قلت
بم اتصل قوله فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة
والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه
وينعمه فيها فان قلت فكيف توازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله واما اذا ما ابتلاه ربه
وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما الانسان فكفور واما الملك فشكور واما اذا
احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اساءت اليه فهو مسيء اليك قلت هما متوازنان من حيث ان
التقدير واما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك ان قوله فيقول ربي اكرمن خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول
الفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان

فقائل ربي اكرمن وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثاني خبر المبتدأ واجب تقديره فان قلت كيف سمى
كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء قلت لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله
ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى
ونبلوكم بالشر والخير فتنة فان قلت هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان البسط
اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل
لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا وغير مكرم ولا مهين واذا اهدى
لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا لم يهد لك فان قلت فقد قال فاكرمه
فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه كما انكر قوله اهانن وذمه عليه قلت فيه وجهان
احدهما انه انما انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته وهو
قصده الى ان الله اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا ومستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم
عندهم كقوله انما اوتيته على علم عندي وانما اعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة
مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة
من اجلها والثاني ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربي اهانن يعني انه اذا تفضل عليه بالخير واكرم به اعترف
بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر
الاكرام في قوله فاكرمه وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك
اليا في الدرج مكتفيا منها بالكسرة كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين وتاكلون
التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء
يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب
عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد كلا ردع للانسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله
يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض اهله على طعام
المسكين ويأكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون به وقرئ يكرمون وما بعده بالياء وقرئ تحاضون
اي يحض بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين
الحلال والحرام قال الحطيئة اذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا يعني انهم يجمعون
في اكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون
تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك قيل في الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز
ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه وياكله اكلا
واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون حبا جما
كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر
تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا ينفع الحسرة ويومئذ بدل من اذا دكت الارض وعامل النصب فيهما يتذكر
دكا دكا اي دكا بعد دك كقوله حسبته بابا بابا اي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا فان قلت ما معنى
اسناد المجيء الى الله والحركة والانتقال انما يجوزان على من كان في جهة قلت هو تمثيل لظهور آيات اقتداره
وتبيين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة
والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم صفا صفا تنزل ملائكة
كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وروي
انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا

رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقيل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي
غيرك فتلا عليه الاية فقال علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام
فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع اي يتذكر ما فرط فيه او يتعظ وانى له الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى
لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يومئذ يتذكر وبين وانى له الذكرى تناف وتناقض قدمت لحياتي هذه
وهي حياة الاخرة او وقت حياتي في الدنيا كقوله جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا ابين دليل على ان
الاختيار كان في ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على
المعاصي كمذهب اهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر قرئ بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن ابي عمرو انه رجع اليها في آخر عمره والضمير للانسان الموصوف وقيل هو ابي بن خلف
اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده او لا يحمل
عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله
احد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه
يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي يا ايتها النفس على ارادة
القول اي يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى صلوات الله عليه او على لسان ملك
والمطمئنة الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة او المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين
فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة فان قلت متى يقال
لها ذلك قلت اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعي الى موعد ربك راضية
بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم وادخلي جنتي
معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي وقرأ ابن عباس فادخلي في عبدي وقرأ ابن مسعود
في جسد عبدي وقرأ ابي ائتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل
في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول
وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحوله والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد عشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما
ولد لقد خلقنا الانسان في كبد ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا اقسم سبحانه
وتعالى بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم
والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد يعني ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام
كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك
وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من
حالهم في عداوتهم او سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من
مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل به في المستقبل
تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا
احلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة
وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم
الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها

ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا
وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فان قلت اين نظير قوله وانت حل في معنى الاستقبال
قلت قوله عز وعلا انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد يقول لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم
محبو وهو في كلام الله تعالى اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا
على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة عن وقت نزولها فما بال
الفتح فان قلت ما المراد بوالد وما ولد قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو
مسقط راسه وحرم ابيه ابرهيم عليه السلام ومنشأ ابيه اسماعيل عليه السلام وبمن ولده وبه فان قلت
لم نكر قلت للابهام المستقل بالمدح والتعجب فان قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت
اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان وقيل هما ادم وولده وقيل كل والد وولد الكبد اصله
من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة
ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه واصله كبده اذا اصاب كبده قال لبيد بن ربيعة
يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد اي في شدة الامر وصعوبة الخطب والضمير
في ايحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى اظن
هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامته ولن يقدر على الانتقام منه وعلى
مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل
الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس
وافتخارا بينهم يعني ان الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز ان يكون الضمير للانسان على ان يكون المعنى اقسم
بهذا البلد الشريف ومن شرفه انك حل به مما يقترفه اهله من المآثم متحرج بري فهو حقيق بان اعظمه
بقسمي به لقد خلقنا الانسان في كبد اي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم
حين خلقهم انهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذي يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو الاشد
كان قويا يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع
قدميه وقيل الوليد بن المغيرة لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا
بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد ايحسب ان لم يره احد الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين و
هديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة الم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمائره
وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين اي
طريقي الخير والشر وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من
فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر
بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار
فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا الاية فان قلت قلما تقع لا الداخلة على الماضي الا مكررة
ونحو قوله فاي امر سيئ لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في الكلام الافصح قلت هي مكررة في المعنى لان
معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج
قوله ثم كان من الذين امنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك ولا امن والاقتحام الدخول والمجاوزة
بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الاعمال الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة
ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك

الرقبة

ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر
من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة
فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما
تحت وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض
القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
قفاه لانه يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات لبعدي
عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه فان قلت فما تقول فيما روي عن
سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر وكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في
رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا
انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد
اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذا الا الحقيقة وهي غير مراده
قلت اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح
عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب
ويعزم على فعله اذا استوضح المراد منه ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل جواز النية بالنهار
في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون
فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم
ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف
وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع الى المسجد
فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد
دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه
في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها
فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله
والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك
فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا
عن الطرف فضلا عن ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن
رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه
ومناهيه خصوصا لقوله تعالى ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ولا ياكل بعضكم مال بعض
بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام
لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم
بان المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم
الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا
فانما اقضي له قطعة من النار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما
ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى الحكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم

داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية
مع العلم بها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر
بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون
روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم
يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت
بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد
حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرفون بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا
ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما
يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر
بر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن
الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وجل لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده
فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان
يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت الحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون
هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من ترك باب البيت ودخله من ظهره والمعنى ليس البر وما
ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال
وأتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد
وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا
اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم
واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم المقاتلة في سبيل الله
هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا
يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة
من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقا
تلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان
لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت واطلق لهم القتال
الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال
او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجأة
من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة
ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث اخرجوكم
اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل
اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت
قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول العالم

المعنى م

قتل

قتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك
اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز
ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم فلا تبالوا بقتالهم
وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان
قال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام
بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا
الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله
يحب المحسنين حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك
فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله لان مقاتلة المنتهين
عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء
الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء
كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر بذلك الشهر و
هتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة يجري
فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا
بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في
حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم ولا تعتدوا الى ما لا يحل لكم الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده
للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم
وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي
عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع
عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا
من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن
اعلم بهذه الآية وانما نزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد
وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا
الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد
وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول ابي عبيدة
على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة
والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلّك فابدلت
من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي
ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية من
صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد
فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري
المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما كاملين
تامين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا
على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما

من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما
سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما
للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة
قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر
باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر باداءهما بدليل قراءة من قرا واقيموا
الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا
ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة
مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه صلى الله عليه وسلم الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد
روي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة
مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت
واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر
والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر
فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع
من الصلوة والدليل الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك
صم شهر رمضان وستة من شوال في انك تامره بفرض وتطوع وقراءة علي وابن مسعود والشعبي والعمرة
لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا
منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة شعر
وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول • وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او
سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع
في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة كل منع عنده
من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي منع العدو وحده
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي فما
تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج
جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون
بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدي
المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امارة و
عندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه
ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين اي ولا تحلوا حتى تعلموا
ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه
وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة فان قلت فان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر قلت كان
محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وآله
نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به
مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلثة
ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلثة ايام

او اطعم

او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول فيّ نزلت هذه الاية وروي انه مر به وقد قرح راسه
فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرا الحسن رحمه الله
او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي
استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع
بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر
من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا
يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلثة
ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة
والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزئه الا الدم وعند
الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقراءة ابن ابي عبلة لا تصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله
في الحج وسبعة اذا رجعتم يعني اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع
الى اهاليهم وقرا ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله تعالى
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فان قلت ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك
جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم
الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد
العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد اخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا
يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تامره به وكان منك بمنزل
الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة ابي فصيام ثلثة ايام متتابعات
ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه ولا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن
تمتع منهما او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الافاق فدمهما
دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم
شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم
على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره
واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى • قوله سبحانه وتعالى
الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله و
تزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران
والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة
يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من
افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه
مكروه فان قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد
بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضع السؤال لو قيل ثلثة اشهر
معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون
سنة او اكثر وانما رآه في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت
قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان
يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهل

الحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة
الى اخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف ما
عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة
وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود
الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما
امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب
في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلث
بالنصب وبالرفع وقرأ ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والاخير بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي
كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف
في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا
يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله
تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله
صلى الله عليه وآله وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا
من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان
الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم
حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة
اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن
نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام
الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب
تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم
من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين
فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج
واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء
الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم
وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل
عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكرى في هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن
عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج
وقرأ ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة
الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا
وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه وقال افاضوا في الحديث وخضبوا
فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتانيث
قلت لا يخلو التانيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست
للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها
بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها

بالمؤنث

بالمؤنث كتاء التانيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما ابصرها
عرفها وقيل ان جبريل عليه السلام حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم
وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة
لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان
الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج
فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء والمشعر الحرام
قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي
عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر
ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر
وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك
للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها
في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن
عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا
لان آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان
يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله تعالى اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او
كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه
وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم
فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا
وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض
الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم
عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس
بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم
لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة
من عرفات قال ثم افيضوا التفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين
امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احدهما صواب والثانية
خطأ وقيل ثم افيضوا من افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ
من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم من قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني
ان الافاضة من عرفات شرع قديم لا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم
فاذا قضيتم مناسككم اي فاذا فرغتم من عبادتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكر الله
وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر ابائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد
بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل ابائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف
اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على
اباءكم بمعنى او اشد ذكرا من ابائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله

ودعائه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين
اتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وماله في الاخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو
النصيب او ماله في الاخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان ما هو طلبة الصالحين
في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الاخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة
في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء اولئك الداعون بالحسنتين
لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او
من اجل ما كسبوا كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب
مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الاخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب
بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع
الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الاخرة او وصف نفسه بسرعة
حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب
الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات
فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون الايام المعدودات ايام التشريق
وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى
فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر واستعجل النفر وتعجل واستعجل
يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة
اوفق لقوله ومن تاخر كما هي كذلك في قوله فلم يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
لاجل المتاني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا
فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل
طلوع الفجر ومن تاخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة
وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتاخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل و
التاخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا فان قلت اليس التاخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل
والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فرقتين
منهم من جعل المتعجل اثما ومنهم من جعل المتاخر اثما فورد القران بنفي الماثم عنهما جميعا لمن اتقى اي
ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان
احدهما يرهق صاحبه اثاما في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج
على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبا بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج
وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله تعالى ذلك خير للذين يريدون وجه الله
ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام من يعجبك
قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا
حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله
اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلو السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق
قوله في الحيوة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من
حظوظ الدنيا ولا يريد به الاخرة كما يراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم
فكلامه اذا في الدنيا لا في الاخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك في الدنيا

ولا يعجبك في الاخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام حتى يعجبك
كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ
ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين
وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام
المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل الخصام
جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى سعى في الارض ليفسد
فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم
ولبئس المهاد واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها
كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض وباهلاك
الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك
الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل وقيل يظهر الظلم والرفع للعطف على سعى وقرا الحسن بفتح
اللام وهي لغة نحو ابى يابى وروي ويهلك وللبناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا
اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته
ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات
الله والله رءوف بالعباد يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان
انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم يشري نفسه
يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان
اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان
كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رءوف بالعباد
حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرا الاعمش بفتح السين واللام
وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل
هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم امنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم امنوا بالسنتهم
ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من انفاسها جرع على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة
دون طاعة او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام انه استاذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرا من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف
كانهم كفوا ان يخرج احد منهم باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج
والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز حكيم غالب لا يعجزه الانتقام منكم
حكيم لا ينتقم الا بحق وروي ان قارئا قرا غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرا القران وقال ان كان هذا
كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرا ابو السمال زللتم بكسر اللام
وهما لغتان نحو ضللت وضللت هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي
الامر والى الله ترجع الامور سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد
ما جاءته فان الله شديد العقاب اتيان الله اتيان امره وباسه كقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا ويجوز
ان يكون الماتي به محذوفا بمعنى ان ياتيهم الله بباسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في ظلل جمع
ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون

الا اتيانهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام فان قلت لم ياتيهم العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله تعالى قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضى الامر وتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير فيهما سل امر للرسول او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسال الكفرة يوم القيمة كم اتيناهم من اية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من اية في الكتب الشاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله اياته وهي اجل نعمة من الله تعالى لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها ليكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا ايات الكتب الدالة على دين محمد صلوات الله عليه فان قلت كم استفهامية ام خبرية قلت يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف **زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب** المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله تعالى قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا وتدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين امنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما تطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون احق بها منكم فان قلت لم قال من الذين امنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك **كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم** كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس انه كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وانزل معهم الكتاب يريد الجنس

مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه من الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تنفقوا من خير فان الله به عليم** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجي البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لاياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استئناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم الباساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر بالشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمع وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجي البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية فان قلت كيف طابق الجواب السوال في قوله قل ما انفقتم وهم قد سالوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان يقع موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون** وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعلى قوله وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك **يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم**

عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا
والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن
عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان
ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن
فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على
اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العير والاسارى
وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون
عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على
تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اي ذنب كبير
وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر
الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ واكبر خبره يعني وكبار قريش من صدهم عن سبيل الله وعن
المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون
اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن والفتنة
الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به فان قلت كيف
صح العطف قبل الفراغ من المعطوف عليه وقد منعوا من ذلك قلت وكفر به بمعنى الصد عن سبيل الله فاتحادهما
هو الذي سوغ ذلك كانه لا فصل وكانه قيل وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام هذا وجه والوجه الثاني
ان موضع قوله وكفر به عقيب قوله والمسجد الحرام الا انه قدم لفرط العناية به كما في قوله ولم يكن له
كفوا احد كان من حق الكلام ان يقال ولم يكن احد كفوا له الا انه قيل ولم يكن له كفوا فقدم قوله له لفرط
العناية به فكذلك هنا ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم
كي يردوكم ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو
واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده اليه فيمت
على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من
ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الاخرة وبها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط
الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين آمنوا والذين هاجروا
روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر
فنزلت اولئك يرجون رحمة الله وعن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء
كما يسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب **يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع**
للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا
في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا

عبد الرحمن

عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت
لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا
افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله
فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اوذن
عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو
الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو
حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه
ونصيب الشيطان منه وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة وعن
بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام ولان اخر من السماء فاتقطع
قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب
وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت بالمصدر من خمره
خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه
من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن
عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني اي يفعلون بي ما يفعل
الياسرون بالميسور فان قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام الفذ
والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم
من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد لكل
واحد ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربح واساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم والتوأم
سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي
خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح
من ذوات الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم
وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اياكم وهاتين
الكعبتين الموسومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين
كل شيء فيه خطر فهو الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم
في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات
الفتيان ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وعطاياهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على
الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون
فيهما الآثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ
الوسع قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض
عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتاه من جانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من جانب الايسر
فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله
كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والاخرة اما ان يتعلق بتتفكرون
فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو اصلح لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة

او يتفكرون في الدارين فتوثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما ليتفكروا في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا حتى لا يختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم
واما ان تعلق بيبين على معنى يبين لكم الايات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون **في الدنيا والاخرة ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم** لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامورهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح اي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الاصلاح اليهم وقرئ لعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون** ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اي لا تتزوجوهن او لا تزوجوهن والمشركات الحربيات ولاية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاستامره فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال والله يدعوا الى الجنة يعني واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره **ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل المجوس واليهود فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه واله وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن فلا يبالون

بالحيض

بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف اوجبا اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة رضي الله عنها ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امراتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطهرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقراءة عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فيجتمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن من حيث امركم الله من الماتى الذي امركم الله تعالى به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يبدر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش وان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك **نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم** حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذر وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان يكون الماتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها في كتاب الله اداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتادبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطي واتقوا الله فلا تجترؤا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين المدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله يعني ان الماتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا او ازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا من الماتى الذي يتعلق به هذا الغرض فان قلت ما بال يسالونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدا وسالوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه يقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الاية على الاولى ان الرجل كان يحلف على ترك بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان

عن

الحاجة او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا
الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء
مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر
والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت بم تعلقت اللام في لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا
حجازا ويجوز ان تتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا
ويجوز ان يكون اللام للتعليل وتتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة
لان تبروا ومعناها الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل
فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله تعالى غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه
في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم **لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
والله غفور حليم** اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل
لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء
يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر
ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة
وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت
قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين
الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت
اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو
في ايمانكم **للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق
فان الله سميع عليم** قرا عبد الله آلوا من نسائهم وقرا ابن عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي
بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم
مولين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المراة
ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما
دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول
ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة
عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق
وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن فان الله غفور
رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون
على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة
وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اضرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول
الشافعي معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء
مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل
يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى اخره والا لم اقم الا ريثما اتحول

فان قلت

خبر مبتدا محذوف معناه لانا اقسم قالوا لو حضره الله في الامام رضي الله عنه بالنفس اللوامة المتقية التي تلوم
النفوس فيه اي في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان
وعن الحسن ان المؤمن لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي تتلوم يومئذ
على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هي نفس ادم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت
به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن وقرأ قتادة ان لن
يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما
سفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد
حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم
لم اصدقك يا محمد ولم اومن به او يجمع الله العظام فنزلت بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكانه قيل بلى
نجمعها وقادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمع العظام قادرين على تاليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول
الى ان نسوي بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته
على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه
بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمع العظام قادرين على تاليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول
الى ان نسوي بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على
ونحن قادرون على ان نسوي اصابع يديه ورجليه اي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها
فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا مما يعمل باصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض
والتاتي لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون اي نحن قادرون **بل يريد الانسان ليفجر امامه يسأل ايان يوم
القيمة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى
ربك يومئذ المستقر** بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب
عن مستفهم عنه الى اخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات
وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف
اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على شر احواله واسوأ اعماله يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام
الساعة في قوله ايان يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا الوعد برق البصر تحير فزعا واصله من برق الرجل
اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق اي لمع من شدة شخوصه وقرأ ابو السمال بلق اذا انفتح
وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته وخسف القمر وذهب ضوءه او ذهب بنفسه وقرئ وخسف
على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل
يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله
الكبرى المفر بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما كلا ردع عن طلب
المفر لا وزر لا ملجا وكل ما التجات اليه من جبل او غيره وتخلصت به فهو وزرك الى ربك خاصة يومئذ
مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه او الى حكمه ترجع
امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او
نار اي مفوض ذلك الى مشيئته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار **ينبؤا الانسان يومئذ بما
قدم واخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه
وقرآنه فاذا قراناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة** بما قدم من عمل

عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من
سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه بصيرة
حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار في قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة
والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزي عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق
بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء بكل معذرة
يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو ارخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار
فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما يمنع المعذرة عقوبة المذنب فان قلت اليس قياس المعذرة ان تجمع معاذر
لا معاذير قلت المعاذير ليس بجمع معذرة وانما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر لا تحرك به الضمير في به
للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة
الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه
ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل عليه السلام يقرأ
لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك و
اثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه جعل قراءة جبريل قراءته والقرآن القراءة فاتبع قرآنه فكن مقفيا له
فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك
شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا
تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار
لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني آدم
لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقرئ بالياء وهو
ابلغ فان قلت كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر القيامة قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه
الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة
تظن ان يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق
الوجه عبارة عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم الى ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره
وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور
واليه ترجعون والى الله المصير عليه توكلت واليه انيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم انهم
ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة
ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا
اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر
ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل: واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما
وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول عيينتي نويظرة
الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون
الا اياه والباسر الشديد العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع
ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناظرة ان يفعل بها
كل خير كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي
عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر
لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم: اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء التراقي العظام المكتنفة لثغرة
النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو اول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا
زهوقها وقال حاضرو صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام
ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وظن المحتضر انه الفراق ان هذا الذي
نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة ماتت رجلاه
فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان الساق مثل في الشدة
وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في اكفانه المساق اي يساق الى الله والى حكمه قوله عز وجل
فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب
الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر
والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فلا صدق يعني الانسان في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه
الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله يسأل ايان يوم القيامة اي لا يؤمن بالبعث
فلا صدق بالرسل والقرآن ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في ابي جهل يتمطى
يتبختر واصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث
اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعني كذب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء
عليه بان يليه ما يكره فخلق فقدر فسوى فعدله فجعل منه من الانسان الزوجين الصنفين اليس ذلك الذي انشأ
هذا الانشاء بقادر على الاعادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له انا وجبريل يوم القيامة
انه كان مؤمنا بيوم القيامة

سورة الانسان احدى وثلثون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة
والاصل أهل بدليل قوله: اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم. فالمعنى أقد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي اتى
على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا غير مذكور
نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر
طائفة من الزمان الطويل الممتد فان قلت ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من الانسان
كانه قيل هل اتى عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا يجزي والد عن ولده
وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها تمت اراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق
ولم يكلف نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات
للافراد ويقال ايضا نطفة مشج قال الشماخ: طوت احشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين
ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى
من نطفة قد امتزج فيها الماآن وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد
انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك
مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى حال فسمي
ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التأخير

يعني فجعلناه سميعاً بصيراً لنبتليه وهو من التعكيس **إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً إنا أعتدنا**
للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب
بها عباد الله يفجرونها تفجيراً شاكراً وكفوراً حالان من الهاء في هديناه أي مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعاً
أو دعوناه إلى الإسلام بأدلة العقل والسمع كان معلوماً منه أنه يؤمن أو يكفر لإلزام الحجة ويجوز أن يكونا
حالين من السبيل أي عرفناه السبيل إما سبيلاً شاكراً وإما سبيلاً كفوراً كقوله وهديناه النجدين فوصف
السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة في أما وهي قراءة حسنة والمعنى أما شاكراً فبتوفيقنا
وأما كفوراً فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلاً
بالتنوين وفيه وجهان أحدهما أن يكون هذه النون بدلاً من حرف الإطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف
والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف الأبرار
جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر والكأس الزجاجة إذا
كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كأساً مزاجها ما تمزج به كافوراً ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها
في بياض الكافور ورائحته وبرده وعيناً بدل منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل
تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور وعيناً على هذين القولين بدل من محل من
كأس على تقدير حذف مضاف كأنه قيل يشربون فيها خمراً خمر عين أو نصب على الاختصاص فإن قلت لم وصل
فعل الشرب بحرف الابتداء أولاً وبحرف الإلصاق آخراً قلت لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته وأما العين
فبها يمزجون شرابهم فكأن المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث
شاؤوا من منازلهم تفجيراً سهلاً لا يمتنع عليهم **يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً و**
يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً
إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً وجزاهم
بما صبروا جنة وحريراً يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم
بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى مستطيراً
فاشياً منتشراً بالغاً أقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر
على حبه الضمير للطعام أي مع اشتهائه والحاجة إليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وعن الفضيل بن عياض على حب الله وأسيراً عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالأسير
فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة
العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام ولا تصرف إليهم الواجبات وعن قتادة كان أسيرهم
يومئذ المشرك وأخوك المسلم أحق أن تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الأسير من أهل القبلة وعن أبي سعيد
الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيراً فقال غريمك أسيرك فأحسن
إلى أسيرك إنما نطعمكم على إرادة القول ويجوز أن يكون قولاً باللسان منعاً لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر لأن
إحسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافأة الخلق وأن يكون قولهم لطفاً وتفقيهاً وتنبيهاً على ما ينبغي أن
يكون عليه من أخلص لله وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول
ما قالوا فإذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصاً عند الله ويجوز أن يكون ذلك بياناً
وكشفاً عن اعتقادهم وصحة نيتهم وإن لم يقولوا شيئاً وعن مجاهد أما إنهم ما تكلموا به ولكن علم الله منهم
فأثنى عليهم والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر إنا نخاف يحتمل إن إحساننا إليكم للخوف من
شدة ذلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم وإنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة

ووصف

ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء كقولهم نهارك صائم
روي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبه في شدته وضرره
بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج
يقال اقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة
قال أسد بن ناعصة: واصطليت الحروب في كل يوم ... باسل الشر قمطرير الصباح ولقاهم نضرة أي
أعطاهم بدل عبوس الفجار نضرة في الوجوه وسروراً في القلوب وهذا يدل على أن اليوم موصوف بعبوس
أهله وجزاهم بما صبروا بصبرهم على الإيثار وعن ابن عباس أن الحسن والحسين رضوان الله عليهم مرضا
فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي
وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم
شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت
خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل
بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا
إلا الماء وأصبحوا صياماً فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه وباتوا لم يذوقوا
إلا الماء وأصبحوا صياماً فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم
أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين رضوان الله عليهم وأقبلوا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد
ما يسوؤني ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها
فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة فإن قلت ما معنى
ذكر الحرير مع الجنة قلت المعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري بستاناً
فيه مأكل هني وحريراً فيه ملبس بهي **متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ودانية**
عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً يعني أن هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي وفي
الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب أنه في لغة طيئ وأنشد
وليلة ظلامها قد اعتكر ... قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر
فإن قلت ودانية عليهم ظلالها علام عطف قلت على الجملة التي قبلها لأنها في موضع الحال من المجزيين وهذه
حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها إليهم في عليهم إلا أنها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين
فيها شمساً ولا زمهريراً ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم كأنه قيل وجزاهم
جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية عليهم بالرفع على أن ظلالها مبتدأ
ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً والحال أن ظلالها دانية عليهم ويجوز
أن تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز أن يكون ودانية معطوفة على جنة أي وجنة أخرى
دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لأنهم وصفوا بالخوف إنا نخاف
من ربنا فإن قلت فعلام عطف وذللت قلت هي إذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية وإذا
نصبتها على الحال فهي حال من دانية أي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم أو معطوفة عليها على
ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وإذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها ألا ترى أنك لو قلت
جنة ذللت قطوفها كان صحيحاً وتذليل القطوف أن تجعل ذللاً لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا أو تجعل ذليلة لهم
خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل إذا كان قصيراً **ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت**

قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا قواريرا قواريرا قرئا غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من الف
الاطلاق لانها فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة وهي مع بياض الفضة
وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها فان قلت ما معنى كانت قلت هو من يكون في قوله كن فيكون اي تكون
قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان
في قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير قدروها صفة لقوارير من فضة
ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال على حسب شهوتهم فجاءت كما
قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليه قوله ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو
اللذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا يفيض ولا تغيض وقرئ قدروها
على البناء للمفعول ووجهه ان يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا
جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا سميت العين
زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها
وأريا مشورا * وقال المسيب بن علس * وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر *
وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني انها في طعم الزنجبيل وليس فيه لذعه ولكن نقيض
اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة
خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ
سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتانيث وقد عزوا الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان معناه
سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا اليها وهذا
غير مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تابط شرا وذرى حبا
وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف
وابتداع وعزوه الى مثل علي ابدع وفي شعر بعض المحدثين سلسبيلا فيها الى راحة النفس براح كانها سلسبيل
وعينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا القول ابدلت
من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او منصوبة على الاختصاص **ويطوف عليهم ولدان
مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب
سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا** شبهوا في حسنهم
وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المامون ليلة زفت اليه بوران
بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه
منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس كانه ابصر هذا حيث يقول
كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه
لانه احسن واكثر ماء ورايت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كانه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم
ومعناه ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير وثم في موضع النصب على الظرف
يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطا لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة
كبيرا واسعا وهنيا وروي ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى
ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم وقرئ عاليهم
بالسكون على انه مبتدا وخبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على

انه حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب
او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد رايت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع
والنصب على ذلك وعليهم وخضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب والجر على السندس وقرئ واستبرق
نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة تدخله حرف التعريف تقول الاستبرق
الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح
على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره وحلوا
عطف على ويطوف عليهم فان قلت ذكر هاهنا ان اساورهم من فضة وفي موضع اخر انها من ذهب
قلت هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون
بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع الحلي وتجمع بينها وما احسن
بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا
لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة
وتدوسه الاقدام ولم يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها او لانه لا يؤول الى النجاسة
لانه يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك **ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن
نزلنا عليك القران تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم اثما او كفورا** ان هذا كان لكم جزاء
اي يقال لاهل الجنان هذا وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ملجوزيتم به على اعمالكم وشكر به
سعيكم والشكر مجاز انا نحن نزلنا تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص الله
بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على اي وجه نزل
الا حكمة وصوابا كانه قيل ما نزل عليك القران تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا
لكل ما افعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة الى ان اتزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل
عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور
بالمصالح وتاخيره نصرتك على اعدائك من اهل مكة ولا تطع منهم احدا قلة صبر منك على اذاهم وضجرا
من تاخير الظفر وكانوا مع افراطهم في العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان يرجع عن امره ويبذلون
له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله اثما او كفورا
قلت معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه
الى مساعدتهم على فعل ما هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهي ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل
الاثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للماثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا في
الكفر شديد الشكيمة في العتو فان قلت معنى او ولا تطع احدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما
جميعا قلت لو قيل ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما
عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهي ان تقول لابويه اف علم انه منهي عن ضربهما على طريق الاولى قوله سبحانه تعالى
**واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة و
يذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا**
بكرة واصيلا ودم على صلوة الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له يعني صلوة المغرب والعشاء
وادخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد
له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الاخرة
كقوله بل تؤثرون الحيوة الدنيا وراءهم قدامهم او خلف ظهورهم لا يعباون به يوما ثقيلا استعير الثقل

لشدته وهو له من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض الاسر الربط والتوثيق
ومنه أسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس ماسور الخلق وترس ماسور بالعقب والمعنى
شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة
الخلق ومجدولته واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في شدة الاسر يعني النشأة الاخرى وقيل
معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجيء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
ان يشأ يذهبكم **ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله ان الله كان**
عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما هذه اشارة الى السورة او الى
الايات القريبة فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخذ الى ربه سبيلا الى الله عبادة
عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤن الطاعة الا ان يشاء الله تيسيرها عليهم ان الله
كان عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاؤن بالتاء فان قلت
ما محل ان يشاء الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود
الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان معه يدخل من يشاء هم المؤمنون ونصب الظالمين بفعل يفسره اعد
لهم نحو اوعد وكافأ وما اشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين عطفا على اعد للظالمين وقرأ ابن الزبير
والظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع
مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة
وحريرا

سورة المرسلات خمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات
نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا انما توعدون لواقع اقسم سبحانه بطوائف من
الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تخففا في امتثال امره وبطوائف منهم
نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالكفر
والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او اقسم
برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا
او بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر الله وبين من يكفر كقوله لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم
فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة الله في الغيث
ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر
لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت فان قلت ما معنى عرفا قلت متتابعة كشعر العرف
يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر
وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا بالتثقيل
نحو نكر في نكر فان قلت قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا قلت ان لم يكن
معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم فان قلت ما العذر و
النذر وبما انتصبا قلت هما مصدران من عذر اذا محى الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر
والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر
واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له واما على الوجه الثالث
فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقرئا مخففين ان الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا
ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات قوله سبحانه وتعالى

فاذا

فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت لاي يوم اجلت ليوم
الفصل وما ادريك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين طمست محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ويحق
ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور فرجت فتحت فكانت
ابوابا قال الفارجي باب الامير المبهم نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت
الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست و
فرجت ونسفت مشددة وقرئ اقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت
الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم والتاجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت
لاي يوم اجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل
فيه بين الخلائق والوجه ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيمة واجلت
اخرت فان قلت كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله ويل يومئذ للمكذبين قلت هو في اصله مصدر منصوب
ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه
سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا قوله سبحنه وتعالى
الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين قرأ قتادة نهلك
بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم بالرفع على الاستئناف
وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بامثالهم من الاخرين مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم
لانهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك
ومعناه انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الاخرين من قوم شعيب ولوط وموسى
كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره
الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل
يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم
ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين الى قدر معلوم الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به
وهو تسعة الاشهر او ما دونها او ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون فنعم المقدرون
له او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول اولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد ولقوله
من نطفة خلقه فقدره الكفات من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع
لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا
او بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل بعض
اصحاب الشافعي رضي الله عنه على قطع النباش بان الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها
حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز فان قلت لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء و
الاموات جميعا قلت هو من تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون على ان
احياء الانس وامواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا
فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس فان قلت فالتنكير في رواسي شامخات وماء فراتا
قلت يحتمل افادة التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات ايضا
بل هي معدنه ومصبه وان يكون للتفخيم **انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب**
لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالت صفر ويل يومئذ للمكذبين
اي يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي

اخبارا بعد الاخر عن عليهم بوجيه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه الى ظل يعني دخان جهنم
كقوله وظل من يحموم ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب
وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فيظلهم حتى يفرغ من
حسابهم والمؤمنون في ظل العرش لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني في محل
الجر اي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا بشرر وقرئ بشرار كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور
في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق
الابل واعناق النخل نحو شجرة وشجر وقراء ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقراء
سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج وجمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت بالقصور
ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهي
قلوص الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم
وهي القلس وقيل صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان
الخارجي دعتهم باعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وقال ابو العلاء المعري
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في
العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء
في صدر بيته بقوله حمراء توطية لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله
له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت احمر وعلى ان في التشبيه بالقصر
وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات
وهي القلوس تشبيه من ثلث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فابعد الله اغرابه في طرافه
وما نفخ شدقيه من استطرافه **هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين**
هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون
قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش اي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيامة طويل ذو مواطن
ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران في القرآن او جعل نطقهم كلا
نطق لانه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم
اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه
لا محالة جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء
والاشقياء وبين الانبياء واممهم فلا بد من جمع الاولين والاخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم فان
كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة
ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك
نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا
قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون كلوا واشربوا في موضع
الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك وكلوا وتمتعوا
حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا فان قلت كيف يصح ان يقال لهم ذلك
في الآخرة قلت يقال لهم ذلك في الآخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله
تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته
قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم احقاء في حيوتكم بان يدعى لكم بذلك

وعلل

وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك
ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستانفا خطابا للمكذبين في الدنيا اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا
له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون
على استكبارهم وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في
دين ليس فيه ركوع ولا سجود بعده بعد القرآن يعني ان القرآن من بين الكتب المنزلة اية مبصرة ومعجزة باهرة فحين
لم يؤمنوا به فباي كتاب بعده يؤمنون وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ اربعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه
مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون عم اصله عما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في
قراءة عكرمة وعيسى بن عمر وقال حسان بن ثابت على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد
والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان كانه قال عن اي شيء
يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شيء خفي عليك جنسه
فانت تسال عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اي شيء هو من الاشياء
هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية يتساءلون يسال بعضهم
بعضا او يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير
لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبإ العظيم
بيان للشان المفخم وعن ابن كثير انه قراه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان
يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبإ العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشيء
يبهم ثم يفسر فان قلت قد زعمت ان الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون قلت
كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا
جميعا يسالون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه
القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء كلا ردع للمتسائلين
هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه
وتكرير الردع مع الوعيد تشديد عليهم في ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد
الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا
وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا فان قلت كيف اتصل به قوله
الم نجعل الارض مهادا قلت لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة
الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا
ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت
بالمصدر او بمعنى ذات مهد اي ارسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد سباتا موتا والمسبوت الميت
من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل النوم
موتا جعل اليقظة معاشا اي حيوة في قوله وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون
في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له

بكذب

او اخفاء ما لا يحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور ۝ قال وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية
سبعا شدادا سبع سموات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يوثر فيها مرور الازمان
سراجا وهاجا متلألئا وقادا من توهجت النار اذا تلظت فتوهجت بضوئها وحرها قوله سبحانه
وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ان يوم الفصل كان ميقاتا
يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا
ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا
حميما وغساقا المعصرات السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان يعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع
اذا حان له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وقرا عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان
ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحاب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول
اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة
هي السموات وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن
منه فان قلت فما وجه من قرا من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح
قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح ان تجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى
يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان
انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه
ان يريد اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث
افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا يعني يثج
الكلام ثجا في خطبته وقرا الاعرج ثجاجا ومثاجج الماء مصابه والماء ينثج في الوادي لنخرج به حبا ونباتا
يريد ما يتقوت به من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا انعامكم
والحب ذو العصف والريحان وجنات الفافا ملتفة ولا واحد لها كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد
لف وقال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي   جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر
وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار
ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها كان ميقاتا كان في تقدير الله وحكمه حدا
توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ بدل من يوم الفصل او عطف بيان فتاتون
افواجا من القبور الى الموقف امما كل امة مع امامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضي الله عنه انه سال
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف
من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها
وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا
من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لاصقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات
من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربوا واما العمي فالذين
يجورون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص
الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على
جذوع من النار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات
ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت قرئ بالتشديد والتخفيف

والمعنى

والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون
تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء فكانت سرابا
كقوله فكانت هباء منبثا يعني انها تصير شيئا كلا شيء لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها المرصاد الحد
الذي يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم او هي
مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين
وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة وقرأ ابن يعمر ان جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام
الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء قرئ لابثين ولبثين واللبث
اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك
منه احقابا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه اخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا
حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى حقيبة الراكب والحقب الذي وراء
التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز ان يراد لابثين فيها احقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا الا حميما
وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس اخر من العذاب وفيه وجه اخر وهو
ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب
فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له
والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم
ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وانشد   فلو شئت حرمت النساء سواكم
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا   وعن بعض العرب منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتخفيف
والتشديد وهو ما يغسق اي يسيل من صديدهم جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا
كذابا وكل شيء احصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وفاقا وصف بالمصدر او ذا وفاق وقرا
ابو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش في كلام الفصحاء من العرب
لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر اية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر
كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعني و
معنى ؟ كذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى
المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين
كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل
من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون
الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي
تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرا ابو السمال وكل شيء احصيناه بالرفع على الابتداء كتابا مصدر في
موضع احصاء او احصينا في موضع كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل او يكون
حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم كقوله احصاه الله ونسوه
وهو اعتراض وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات وهي اية في غاية الشدة
وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريق
الالتفات شاهدا على ان الغضب قد تبالغ وعن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية اشد ما في القرآن على
اهل النار ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا
جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا   مفازا فوز

وظفروا بالبغية وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وفسر المفازة بما بعده والحدائق البساتين فيها
انواع الشجر المثمر والاعناب الكروم والكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد والاتراب اللدات
والدهاق المترعة وادهق الحوض ملأه حتى قال قطني وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب
بعضهم بعضا ولا يكذبه او لا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه انه قرأه بتخفيف الاثنين جزاء مصدر
مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب
المفعول به اي جزاهم عطاء وحسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي
وقيل على حسب اعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك
بمعنى المدرك قرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن او رب السموات مبتدأ
والرحمن صفة ولا يملكون خبرا وهما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على انه
خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض اي ليس في ايديهم
مما يخاطب به الله وياء مرية في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون
فيه او ينقصون منه او لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب
لهم ذلك ويأذن لهم فيه **يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال
صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا** يوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين
هم افضل الخلائق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين
يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم و
اقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا اعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة
وهم يأكلون وقيل جبرئيل هنا شرطان ان يكون المتكلم منهم مأذونا لهم في الكلام وان يتكلم بالصواب
فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا
قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم يعني ما قدمت يداه من الشر كقوله وذوقوا
عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز ان يكون استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه
وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخص
منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا
اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله
وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار
وخلقته من طين ۵ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله
برد الشراب يوم القيامة صدق رسول الله

سورة النازعات ست واربعون آية مكية

**بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا** اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح
من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التي
تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم
او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها

اواقسم

او انهم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من
دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق
الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع
من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج
من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق وتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات
ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف
وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة **يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب
يومئذ واجفة ابصارها خاشعة يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة قالوا
تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة** ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر
والراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها
تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان يكون الرادفة من قوله تعالى
عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي
رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة
السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها اثر ذلك فان قلت ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف
تابعتها الرادفة فان قلت كيف جعلت يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف
وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان خاشعة ذليلة فان قلت
كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة
خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت معناه
ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت فان قلت ما
حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها
بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر الاكال في اسناخها والخط المحفور
في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهارك صائم ثم قيل
لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى طريقته وحالته الاولى ۵ ل
احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار يريد رجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة
يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرأ ابو حيوة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت
اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة دليل على ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة يقال
نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف
الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب بمحذوف تقديره ائذا كنا عظاما نرد ونبعث كرة خاسرة
منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا
استهزاء منهم فان قلت بم يتعلق قوله فانما هي زجرة واحدة قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها
فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانها سهلة هينة في قدرته ما هي الا
صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها من قولهم
زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها
من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس
وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن

قتادة رحمه الله فاذا هم في جهنم هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى
فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاريه الاية الكبرى
اذهب على ارادة القول وفي قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول هل لك في كذا وهل لك
الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه الى ان تزكى الى ان تتطهر من الشرك وقرا اهل المدينة
تزكى بالادغام واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة الله وانبهك عليه فتعرفه فتخشى لان الخشية
لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك
الامر من خشي الله اتى منه كل خير ومن امن اجترا على كل شي ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدا مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما تقول الرجل
لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة
من عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا الاية الكبرى قلب العصا حية لانها كانت المقدمة
والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك او اراد هما جميعا الا انه جعلهما
واحدة لان الثانية كانها من جملة الاولى لكونها تابعة لها فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى
فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ءانتم اشد خلقا
ام السماء بناها رفع سمكها فسواها فكذب بموسى عليه السلام والاية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا
وعصى الله بعد ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه ثم ادبر يسعى اي لما راى الثعبان ادبر مرعوبا
يسعى يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا او تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته
او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشا يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف
بالاقبال فحشر فجمع السحرة كقوله فارسل فرعون في المدائن حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا
فيه معه او امر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس
كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والاخرة انا ربكم الاعلى نكال هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله
كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق
في الدنيا والاحراق في الاخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الاخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى والاولى وهي
قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون ءانتم اشد خلقا الخطاب
لمنكري البعث يعني اانتم اصعب خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال
رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها
مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان
امر فلان واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها
والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم غطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا
اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها وابرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد
وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف الشمس والليل الى
السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها ماءها عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها رعيها
وهو في الاصل موضع الرعي ونصب الارض والجبال باضمار دحا وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير
وقراهما الحسن مرفوعين على الابتداء فان قلت هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية
امر الماكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها

اوتادا

اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت
صدورهم واراد بمرعاها ما ياكل الناس والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله
نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي ولهذا قيل دل الله سبحانه وتعالى بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق
به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء قوله متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم
لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان
ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى
الوادي فطم على القرى وهي القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية وقيل الساعة
التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر بدل من اذا جاءت يعني اذا راى اعماله
مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه الله ونسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية
وبرزت واظهرت وقرا ابو نهيك وبرزت لمن يرى اي للرائين جميعا اي لكل احد يعني انها تظهر اظهارا بينا
مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم كقوله قد بين الصبح لذي عينين يريد لكل من له بصر وهو مثل
في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد وقرا ابن مسعود لمن راى وقرا عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله
اذا راتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها
فيم انت من ذكريها الى ربك منتهيها انما انت منذر من يخشيها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا
عشية او ضحيها فاما جواب فاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى فان الجحيم ماواه كما تقول للرجل
غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب الماوى وانه
لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في الماوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي
فصل او مبتدا ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر
والتوطين على ايثار الخير وقيل الايتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا
عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه ايان مرسيها متى ارساؤها
اي اقامتها اراد متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة
مستقرها حيث تنتهي اليه فيم انت في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكرها
لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة و
يسال عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها و
السؤال عنها والمعنى انهم يسئلونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها ثم قال الى ربك
منتهيها اي منتهى علمها لم يؤته احدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل
انت من ذكريها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء واخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكرها
وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى
لسؤالهم عنها انما انت منذر من يخشيها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه
وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون من انذارك لطفا له في الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل
والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد
امس اي كانهم لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور الا عشية او ضحيها فان قلت كيف صحت اضافة الضحى
الى العشية قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد فان قلت فهلا قيل الا عشية او ضحى وما
فائدة الاضافة قلت الدلالة على ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه

فلما ترك اليوم اضافها الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلوة المكتوبة ٥

سورة عبس اثنتان واربعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لوي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح وكلّح ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك وقرئ ءان جاءه بهمزتين وبالف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بأدب الله في هذا أدبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء وما يدريك واي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى اي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض اوضار الاثم او يذكر او يتعظ فتنفعه ذكراك اي موعظتك فتكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك او تذك ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره تصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصّدى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ ابو جعفر تُصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة تلهى تتشاغل من لهي عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ ابو جعفر تُلهى اي يلهيك شأن الصناديد فان قلت قوله فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا قلت نعم ومعناه انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة اي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره اي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ في صحف صفة لتذكرة يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة مطهرين سفرة

كتبة

كتبة ينتسخون الكتب من اللوح بررة اتقياء وقيل هي مصاحف الانبياء كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل الانسان دعاء عليه وهي من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها وما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله ولا ترى اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى ان انتهى وما هو مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر من اي شيء خلقه من اي شيء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا

ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا نصب السبيل باضمار يسّر وفسّره بيسّره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين له سبيل الخير والشر فاقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره الميت اذا امره ان يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج اقبرنا صالحا انشره انشأه النشأة الاخرى وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله حتى يخرج عن جميع اوامره يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم في نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الانسان الى طعامه فلينظر الى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا امره انا صببنا الماء صبا يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما انى صببنا بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء شققنا من شق الارض بالنبات ويجوز ان يكون من شقها بالكراب على البقر واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم الحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقضاب ارضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة وحدائق غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلباء يريد تكاثفها وكثرة اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اي عظاما غلاظا والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي كرب

يمشي بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين من الكحيل جلالا

والاب المرعى لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام اخوان قال

جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع

وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الاية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه فان قلت هذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته قلت لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الاية مسوقة في الامتنان على الانسان بطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الاية ان الاب بعض ما انبته الله للانسان متاعا له او لانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية

الى ان تبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من مشكلات القرآن
فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها
قترة اولئك هم الكفرة الفجرة يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان
الناس يصخون لها يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا وبدأ بالاخ
ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه
بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان
قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من
اخيه هابيل ومن ابويه ابرهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقيل
يغنيه اي يهمه ووجوه يومئذ مسفرة مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس من قيام
الليل لما روي في الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول
ما اغبرت في سبيل الله ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار يعلوها قترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش
من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكان الله عز وعلا يجمع الى سواد
وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس
جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر صدق الله وصدق رسوله

سورة التكوير تسع وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال
سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت في التكوير وجهان ان يكون من كورت العمامة اذا
لففتها اي يلف ضوؤها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهو عبارة عن ازالتها والذهاب
بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف او يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لان
الثوب اذا اريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله يوم نطوي السماء وان يكون من طعنه فجوره وكوره اذا القاه
اي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار فان قلت ارتفاع الشمس على الابتداء او الفاعلية
قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا تطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط انكدرت
انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم انها تطرح في جهنم ليراها من عبدها
كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم سيرت اي عن وجه الارض وابعدت او سيرت في الجو تسيير
السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب والعشار في جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي اتى على حملها عشرة
اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما تكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مسيبة
مهملة وقيل عطلها اهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف حشرت جمعت من كل
ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور
لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس
واموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموؤدة
سئلت باي ذنب قتلت سجرت قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور اذا ملاه بالحطب اي ملئت وفجر
بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها
فلا يبقى فيها قطرة زوجت قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها واعمالها
وعن الحسن هو كقوله وكنتم ازواجا ثلثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين وأد

يئد

يئد مقلوب من آد يؤد اذا اثقل قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما لانه اثقال بالتراب كان الرجل اذا ولد
له بنت فاراد ان يستحييها ألبسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية وان اراد
قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر
لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى
تستوي البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا
رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته فان قلت ما حملهم على وأد البنات قلت الخوف من لحوق العار بهم
من اجلهن او الخوف من الاملاق قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة
بنات الله فالحقوا البنات به فهو احق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فيه افتخر الفرزدق في قوله
ومنا الذي منع الوائدات فاحيا الوئيد فلم توأد فان قلت ما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به
وهلا سئل الوائد عن موجب قتله قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى
أانت قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وقرئ سألت اي خاصمت عن نفسها وسألت
الله او قاتلها وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت او
كلامها حين سألت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على
ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤدة
من الذنب فما اقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنشي عنده
فعل المبكت من العذاب السرمد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية ٥
واذا الصحف نشرت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت
نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب
عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيمة فلينظر رجل ما يملي في صحيفته وعن
عمر رضي الله عنه انه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال
نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم وعن
مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة
عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال
كشطت كشفت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء وقرأ ابن مسعود قشطت و
اعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور سعرت اوقدت ايقادا شديدا
وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله وخطايا بني آدم وازلفت ادنيت من المتقين
كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست في الآخرة
علمت هو عامل النصب في اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه فان قلت كل نفس تعلم ما احضرت كقوله
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس قلت هو من عكس كلامهم
الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه
معنى كم وابلغ منه وقول القائل قد اترك القرن مصفرا انامله ويقول لبعض قواد العساكر كم عندك
من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي
في تكثير فرسانه ولكنه اراد اظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان يتزيد
فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان قارئا قرأها

عنده فلما بلغ علمت نفس ما احضرت قال وانقطاع ظهرياه فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا
عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما
صاحبكم بمجنون الخنس الرواجع بينا ترى النجم في اخر البرج اذ كر راجعا الى اوله والجواري السيارة و
الكنس الغيب من كنس الوحشي اذا دخل كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة
والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها
تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في
اماكنها كالوحش في كنسها عسعس الليل وسعسع اذا دبر قال العجاج

حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل عسعس اذا اقبل ظلامه فان قلت ما معنى تنفس
الصبح قلت اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح انه
الضمير للقرآن رسول كريم هو جبريل عليه السلام ذي قوة كقوله شديد القوى ذو مرة لما كانت
حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش على انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون
عن امره ويرجعون الى رايه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة وما
صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان
جبريل وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد صلوات الله عليه اذا وازنت بين
الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين و
بين قوله وما صاحبكم بمجنون وقوله عز وعلا ولقد راه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو
بقول شيطان رجيم فاين تذهبون ولقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل بالافق المبين بمطلع
الشمس الاعلى وما هو وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحي اليه وغير ذلك بظنين
بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير
مبلغه او يسال تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابي بالضاد وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ
فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل
حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان عمر رضي الله عنه اضبط يعمل بكلتا
يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها من
طرف اللسان واصول الثنايا العليا وهي احد الاحرف الذولقية اخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما
ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق
والتركيب فان قلت فان وضع المصلي احد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء
مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين اخواتهما وما هو وما القرآن بقول شيطان
الرجيم اي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون استضلال لهم
كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق
وعدولهم عنه الى الباطل ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاءون الا ان يشاء
الله رب العالمين لمن شاء منكم بدل من للعالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين شاءوا الاستقامة بالدخول
في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا وما تشاءون
الاستقامة يا من يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاءونها انتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله و
الجائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته
صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم

سورة الانفطار

سورة الانفطار ثمان عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت
واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت يا ايها الانسان ما غرك بربك
الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك انفطرت انشقت فجرت فتح بعضها
الى بعض فاختلط العذب بالملح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض
تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف
وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان
البغي والفجور اخوان بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى
بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين فان قلت ما معنى قوله ما غرك
بربك الكريم الذي وكيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله
عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وامني
من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه قلت معناه ان حق الانسان
ان لا يغتر بكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه
فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه
منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي
الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي وقال له افعل
ما شئت فربك الكريم تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك اخرا حتى ورطه وقيل للفضيل
بن عياض ان اقامك الله يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا
وهو متفضل عليك اخرا ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ
في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك
الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما اغرك
اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون
واغره غيره جعله غارا فسواك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق
من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها
اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر وجعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك
بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك
فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق
او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات ما في ما شاء مزيدة اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته
من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه
فان قلت هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان قلت بم يتعلق الجار قلت يجوز
ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور
ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في
صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا بل تكذبون بالدين
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها
يوم الدين وما هم عنها بغائبين كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة

اي عكسهما الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملئكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها من اية على الغافلين وما هم بغائبين كقوله وما هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل اخبر الله في هذه السورة ان لابن ادم ثلث حالات حال الحيوة التي يحفظ فيها عمله وحال الاخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين

وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله

يعني ان امر يوم الدين بحيث لا يدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا امر الا لله وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يكون فتحه لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة المطففين ست وثلثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون

التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله ما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن علي انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معاشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالبايع فيقول اتق الله واوف الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل والسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير في كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان

ولا

في قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت الخطيئة التي اهبط بها ادم ان كانت كبيرة فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبية من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء الماثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون

اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابرهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمية وقرئ اسرائل واسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على ابائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلوات الله عليه المبشر به في التورية والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان والطاعة كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة التخصيص من اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهدوه عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم اول كافر به اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التورية موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

خلاص

الي

قوله ... كما اشترى ... [illegible]

فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير
فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم
الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب من الشرائع وكان ملوكهم
يدرون عليهم الاموال ليكتموا او يحرفوا ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب
افلا تعقلون الباء التي في بالباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى
ولا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا تميز بين حقها وباطلكم وان
كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه
وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس
الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين
حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل
ما ذكرنا من كتبتهم في التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد او حكم كذا
او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في
حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلوة يعني صلوة
المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل الركوع الخضوع
والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان
تصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين يعني الجماعة لا منفردين اتامرون
الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير
ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله
عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا
فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا
باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من
البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد صلى
الله عليه وسلم او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى
افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا العقول
لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة
وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة
اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب
وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم
بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسال فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وامر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عندها
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم وهو
في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول
واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر

ويجوز

ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه
وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله
اذكروا نعمتي الى قوله واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم — هم
اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين
على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه
ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون
على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة
خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة زائدة
على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاو — لته
بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعلت قرة عيني
في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة
واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا
نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس
يراد الكثرة واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم
ينصرون يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزي
عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله
ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء
وقرأ ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت
فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي ه
تروحي اجدر ان تقيلي اي مكانا احرى بان تقيلي فيه ومنهم من ينزله فيقول اتسع فيه فاجرى مجرى المفعول
به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي
عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القاطع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا
يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منها صرف ولا عدل اي توبة
ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة
وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة
لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها
شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى
الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة
شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم يقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا
ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير
بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلاثة انفس واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه همزة
الفا وخص استعماله باولي الخطر والشأن كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم
لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر
وفي ملح بعضهم قد جاء الموسى الكلوم فزاد في افقي تفرعنه وفرط عرامه وقرئ انجيناكم ونجيتكم يسومونكم

من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم ❊ اذا ما الملك سام الناس خسفا ❊ ابينا ان نقر الخسف فينا
واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء
يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده و
افظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره ويذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاعف
قول الذين كفروا وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرا عبد الله يقتلون
وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يديه هلاكه كما انذر نمروذ فلم
يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون و
النعمة ان اشير به الى الانجاء واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون واذ
واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك
لعلكم تشكرون فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا
يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما
معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق
بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى
فرقناه ملتبسا بكم كقوله ❊ تدوس بنا الجماجم والتريبا ❊ اي تدوس بها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل
قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم قال اللهم
اعني على اخلاقهم السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا
وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد
هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله تعالى وعده
الوحي ووعد المجيء الى الطور للميقات من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم
حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم هو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة
في العفو عنكم واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا
منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود
والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه
فرقانا وضياء وذكرا او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات
او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله
يوم الفرقان يريد يوم بدر واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى
بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم حمل قوله فاقتلوا انفسكم
على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل
كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا
يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم فياخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم
اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون امين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى
وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من
ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب
التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم

ويجوز ان

ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة
بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم
واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم
بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه
تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة
ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور
حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم
واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم
من بعد موتكم لعلكم تشكرون قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة الاف منهم
جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي
يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء
بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر
وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون
في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام والاعراض فرادوه بعد بيان
الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على اولئك
القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل
الصعقة كما سلط على اولئك وقيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل
الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن
غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون وقرا علي عليه السلام
فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رايتم باس الله في رميكم
بالصاعقة واذاقتكم الموت وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وظللنا وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب
يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى و
ينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب
فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول اي قيل لهم كلوا وما
ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ٥
واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم
خطاياكم وسنزيد المحسنين القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه
والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى
امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين
ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين
على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدا محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك حطة
والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله ❊ صبر جميل فكلانا مبتلى ❊ ٥

والاصل صبرًا على اصبر صبرًا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه
القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز ان ينصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة
قلت لا يبعد والاجود ان ينصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ تغفر لكم على البناء
للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنًا منكم كانت تلك الكلمة سببًا في زيادة ثوابه ومن
كان مسيئًا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزًا
من السماء بما كانوا يفسقون فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولًا غيرها يعني انهم امروا بقول
معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض
انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ اخر لانهم لو جاؤا بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا
به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا
وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء
منهم بما قيل لهم وعدولًا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا
زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا
عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك
الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في
الارض مفسدين روي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا عطشوا
في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم
فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرًا مربعًا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلث اعين لكل
سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا
وقيل اهبط ادم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه
ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل عليه السلام يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه
قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره
ان يضرب حجرًا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست
فيها حجارة فحمل حجرًا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا
ان فقد موسى عصاه متنا عطشًا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من
رخام وكان ذراعًا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى
وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت
او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ
عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على ارادة
القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع
والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم
كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجعوا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء
واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فان لكم ما سألتم وضربت
عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت

هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان
على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعامًا واحدًا
يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معًا من طعام اهل
التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة
كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر
والمراد به اطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها
بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم تدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله
عنه وثومها وهو للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارًا
والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن
عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي ادنأ بالهمزة
من الدناءة اهبطوا مصرًا وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا
نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخًا في ثمانية
فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه
كقوله ونوحًا ولوطًا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرًا من
الامصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل
هو مصراييم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما
يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط
فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم
خيفة ان يضاعف عليهم الجزية وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقًا بان
يقتل به لمساواته له ومكافأته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة
والمسكنة والخلافة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا
وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم
بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم
فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجهًا يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي
رضي الله عنه يقتلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم
حدود الله في كل شيء مع كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار
بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا
حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا قوله سبحانه
ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم
المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد
والجمع هود والنصارى وهم جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة لم تحنف
والياء في نصراني للمبالغة ليست للنسبة كالتي في احمري سموا به لانهم نصروا المسيح والصابئين من
صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من
آمن من هؤلاء الكفرة ايمانًا خالصًا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحًا فلهم اجرهم

الذين يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم
والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني
فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم
بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم
من الخاسرين واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التورية ورفعنا فوقكم حتى قبلتم واعطيتم الميثاق
وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فراوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة
وكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرئيل عليه السلام فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم
موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد و
عزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم
تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم ثم اعرضتم
عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا
واذكروا ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا
لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت
وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد
وذلك ان الله تعالى ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا
مضى تفرقت كما قال اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك
نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم
الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية
والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل
القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت
في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من
القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها
وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها قوله سبحانه
واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون
كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه
فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان
هزؤ او اهل هزؤ او مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزؤ في مثل
هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاء نحو قوله كفؤا وكفأ وقرأ
حفص هزوا بضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واحد وفي قراءة عبد الله سل لنا ربك
ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا
عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال
خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكأنها سميت فارضا
لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف وقال نواعم بين ابكار وعون
وقد عونت فان قلت بين تقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين

حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة
الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا
عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما
تقول له ما احسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة
في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كأنها
وان اردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال اردت كأن ذاك ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة
تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع
ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير او امركم بمعنى مأموركم
تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها
بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد
اصفر فاقع وارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر
ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك رداني فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع
توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع
الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها
فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم
للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك
مجنون وعن وهب رضي الله عنه اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها
والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل
همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري رحمه الله صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد
ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها يعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال
الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال
عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا
ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله تعالى عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض
الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما
ابدأ فقال ان قلت لك بقطع الشجر سألتني باي نوع منها ابدأ وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان
تعطي فلانا شاة سألتني اضأن ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء
ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم
لاجل مسألته قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون
ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه
بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة وقرأ محمد ذو الشامة ان
الباقر يشابه بالياء والتشديد جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد لو لم يقولوا
ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها
وما كادوا يفعلون لا ذلول تثير الارض صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة
الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد

الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقى على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة و
ساقية وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان
توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم
وقرئ تسقى بضم التاء من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه
كقوله اومعبر الظهر ينبي عن وليته ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون من سلم له
كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الالوان لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون اخر سوى
الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط
بلونه لونا اخر ومنه ثور موشي القوائم الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال
في امرها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا
يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم
ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل
وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل
شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت
وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت
البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت كانت البقرة التي
تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا
المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل
الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع
الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص قوله تعالى
واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم
فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه
او تدافعتم بان طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع
او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل
لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكي ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ
كما حكي الحاضر في قوله باسط ذراعيه بالوصيد وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما
ادارأتم وفقلنا فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون
والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه
من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها
اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين
الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام
باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم
يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى
وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم آياته دلائله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية
عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا
البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت هلا فعل احياءه ابتداء

ولم شرط في احيائه ذبح البقرة من التقرب وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم وفوائد
وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن
تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد
والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم
بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه
ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب
به وان يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق من ينظر اليه وان يغالي
بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان
النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الى البداء وليعلم بما امر من مس الميت
بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين
لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل
والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه
ببعضها قلت كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم
عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من
التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال
وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة
الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع
ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استيناف قصة براسها ان وصلت بالاولى دلالة على
اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع
الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تاخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع
الى البقرة ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون
معنى ثم قست استبعاد للقسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون
وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة
الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة
او اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا
اشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه و
يعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من
عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال
هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب
قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه اخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف
القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل
عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة
في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي تلزمها
اللام الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر ويشقق

يتشقق وبه قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير
ومنها ما يتشقق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ
بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء
لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد **افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد
كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** افتطمعون الخطاب لرسول
الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فامن له لوط يعني اليهود
وقد كان فريق منهم طائفة في سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية ثم يحرفونه
كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا
كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا
هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه
وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى
ان كفر هؤلاء وحرفوا التورية فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا يعني اليهود قالوا قال منافقوهم
امنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الى الذين
نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد صلى الله عليه
او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم
شيئا في كتابهم فينا فيقوله المؤمنين وبما فيقوله اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل
ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو
في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد **اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون و
منهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون** يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن
ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا
ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم و
يرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم من
ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها
على التقليد وقال اعرابي لابن دأب في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي وقيل الا ما
يقرؤن من قوله تمنى كتاب الله اول ليله والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه و
يحرز ما يتمناه وكذا المختلق والقارئ يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع
وقرئ اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين
قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد
والظن وهو متمكن من العلم **فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به
ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون** يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز
التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من الرشى
**وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على
الله ما لا تعلمون** اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد رضي الله عنه كانوا يقولون
مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره ان
اتخذتم عنده عهدا فلن يخلف الله عهده وام اما ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان

العلم

العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان يكون منقطعة **بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون** بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله
هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت
عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل في الاحاطة كان ذنبه
اغلب من طاعته وسأل رجل الحسن عن الخطيئة المحيطة فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري
ما الخطيئة انظر في المصحف وكل اية نهى الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة
المحيطة **والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ اخذنا ميثاق بني
اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون** لا تعبدون اخبار في معنى النهي
كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع
الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول و
يدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا
وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا
تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل
عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة وان تكون ان مع الفعل
بدلا عن الميثاق ثم نقضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم
عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية **واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم
من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون** لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم
ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه
ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه
بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق
**ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان و
ان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله
بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**
ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم و
شهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا
لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله
ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون
باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى و
هو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض
اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان كل فريق يقاتل
مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وعيرتهم

العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكن نستحيي
ان نذل حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم
ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وقرئ يردون وتعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم العذاب
عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم وكذا عذاب الاخرة والكتاب التورية
اتاه اياها جملة واحدة ويقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعني اذا م
وارسلنا على اثره الكثرة من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون
وداود وسليمن وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل
عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول
رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية
كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم بدلا من الياء اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد
ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها به
بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقرب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا
ارحام الطوامث وقيل بجبرئيل وقيل بالانجيل كما قال في القران روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي
كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد اتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما اتيناهم افكلما جاءكم رسول منهم بالحق
استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويحتمل ان
يريد ولقد اتيناهم ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت
هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في
النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم
ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت
ابهري **وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون** غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة
باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله
لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا
بذلك لمنع الالطاف التي يكون للتوقع ايمانهم وللمومنين فقليلا ما يومنون فايمانا قليلا يومنون وما مزيدة
وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي
قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين ٥
ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما
عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين كتاب من عند الله هو القران مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه
وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصصت فصح انتصاب
الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما
اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي
المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان
نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان
نبيا يبعث منهم وقد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر

او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة
على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام
للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا **بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل**
الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب
مهين ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان
يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا او ان ينزل لان ينزل اي على
ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله
فباؤا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا
بمحمد عليه السلام بعد عيسى ع وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع
كفرهم **واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا**
لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب
قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتورية ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية
وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التورية فقد
كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية لا يسوغ قتل الانبياء
ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم
العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ٥
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في
قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة
ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك
فان قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل و
طاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته
كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم العجل بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا
بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يامركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة
الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم
مومنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له خالصة نصب على الحال من الدار الاخرة والمراد الجنة
اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
الناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها
وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والخلاص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي
كان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن رضي الله عنه ما هذا
بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام سقط عليه الموت وعن حذيفة رضي الله عنه
انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين
الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي عليه السلام
لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا
من موجبات النار من الكفر بمحمد عليه الصلوة والسلام وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر و
العصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت

ما ادريك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب
ومن غيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس احد منهم نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال
القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي
بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم
قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين
من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه ومما لا محمل له الا الكذب
البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان
يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق
مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه
من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون ولتجدنهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم
وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص الناس فان قلت لم قال على حيوة بالتنكير قلت لانه اراد
حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحيوة ومن الذين
اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس
قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف
لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحيوة
الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان
حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم
صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون
لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا
كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين
اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل
بمزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما
وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة
حرصهم على طريق الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هي حكاية لوداده ولو
في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن
قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي
فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان
بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان
ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل
النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود
فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم
ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد عليه السلام وارى آثاره في كتابكم ثم
سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل

يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله فقالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره
وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لا احدهما
كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر رضي الله عنه فوجد جبريل قد سبقه بالوحي
فقال النبي عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر
وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال
بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل
معناه عبد الله الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه
حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي
حفظه اياك وفهمك باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت على
حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت
كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا
وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم
ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم
وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك
ان عاداك فلان فقد اذيته واسأت اليه **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله**
عدو للكافرين افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل
منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل
وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء
بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما
بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب **ولقد انزلنا اليك آيات**
بينات وما يكفر بها الا الفاسقون الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن رضي الله عنه اذا
استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام
في الفاسقون للجنس والاحسن ان تكون اشارة الى اهل الكتاب **اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم**
بل اكثرهم لا يؤمنون الواو في اوكلما للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأه
ابو السمال بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا
عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله
الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه فريق
منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء
فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق**
من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على
ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت
وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق

ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون
ع

كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله
القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان
علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما
يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤنه ولكنهم نبذوا
العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه
واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت
تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون
الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا
ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمن وما تم لسليمن ملكه الا
بهذا العلم وبه تسخر الانس والجن والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان
من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون
الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل
على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما
والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او
تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه • كما ابتلى قوم طالوت
بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرأ الحسن رحمه الله على الملكين بكسر اللام على ان
المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلمان الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة
اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد
اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين
الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء
منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله
عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان
اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علم هؤلاء اليهود ان من
اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا
به انفسهم اي باعوها وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر
وجهه فيما بعد وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل
منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة وما يعلمان من
اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمزة والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج
واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل
بينهما بالظرف فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا
من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم
في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه •
ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ولو انهم آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما
هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومشوبة
لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت

الجملة

الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل
عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من
الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم
واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير يا ايها الذين آمنوا لا
تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه
ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين
راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو
في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرأ ابي رضي الله عنه انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ
وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين
من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه
قولهم راعينا وكانوا سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة
وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا و
عصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي
ان سعد بن معاذ رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن
سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت
وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله
اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل
عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم
اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا ما ننسخ من آية او ننسها نأت
بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما
لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر
بالايمان فقد ضل سواء السبيل ما ننسخ من آية او ننسها روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد
يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما
ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننسأها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها
على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها بضم
النون من انسخ او ننسأها ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يأمر
جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان تذهب
بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من
ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نأت بآية خير منها للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك
على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والارض فهو يملك

امورکم ویدبرها ویجریها علی حسب ما یصلحکم وهو اعلم بما یتعبدکم به من ناسخ ومنسوخ لما بین لهم انه
مالك امورهم ومدبرها علی حسب مصالحهم من نسخ الایات وغیره وقررهم علی ذلك بقوله الم تعلم اراد
ان یوصیهم بالثقة به فیما هو اصلح لهم مما یتعبدهم به وینزل علیهم وان لا یقترحوا علی رسولهم ما اقترحه
اباء الیهود علی موسی من الاشیاء التی کانت عاقبتها وبالا علیهم کقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغیر
ذلك ومن یتبدل الکفر بالایمان ومن ترك الثقة بالایات المنزلة وشك فیها واقترح غیرها فقد ضل سواء
السبیل **ود کثیر من اهل الکتاب لو یردونکم من بعد ایمانکم کفارا حسدا من عند انفسهم من بعد
ما تبین لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتی یاتی الله بامره ان الله علی کل شیء قدیر واقیموا الصلوة واتوا
الزکوة وما تقدموا لانفسکم من خیر تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصیر** روی ان فنحاص بن
عازوراء وزید بن قیس ونفرا من الیهود قالوا لحذیفة بن الیمان وعمار بن یاسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابکم
ولو کنتم علی الحق ما هزمتم فارجعوا الی دیننا فهو خیر لکم وافضل ونحن اهدی منکم سبیلا فقال عمار کیف
نقض العهد فیکم قالوا شدید قال فانی قد عاهدت ان لا اکفر بمحمد ما عشت فقالت الیهود اما هذا فقد صبا
وقال حذیفة واما انا فقد رضیت بالله ربا وبمحمد نبیا وبالاسلام دینا وبالقران اماما وبالکعبة قبلة وبالمؤمنین
اخوانا ثم اتیا رسول الله صلی الله علیه وسلم فاخبراه فقال اصبتما خیرا وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق
قوله من عند انفسهم قلت فیه وجهان احدهما ان یتعلق بود علی معنی انهم تمنوا ان ترتدوا عن دینکم
وتمنیهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدین والمیل مع الحق لانهم ودوا ذلك من
بعد ما تبین انکم علی الحق وکیف یکون تمنیهم من قبل الحق واما ان یتعلق بحسدا ای حسدا متبالغا منبعثا
من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلکوا معهم سبیل العفو والصفح عما یکون منهم من الجهل والعداوة
حتی یاتی الله بامره الذی هو قتل بنی قریظة واجلاء بنی النضیر واذلالهم بضرب الجزیة علیهم ان الله علی
کل شیء قدیر فهو یقدر علی الانتقام منهم من خیر من حسنة صلوة او صدقة او غیرهما تجدوه عند الله تجدوا
ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصیر عالم لا یضیع عنده عمل عامل **وقالوا لن یدخل الجنة الا من کان هودا
او نصاری تلك امانیهم قل هاتوا برهانکم ان کنتم صادقین بلی من اسلم وجهه لله وهو محسن فله
اجره عند ربه ولا خوف علیهم ولا هم یحزنون** الضمیر فی وقالوا لاهل الکتاب من الیهود والنصاری المعنی
وقال الیهود لن یدخل الجنة الا من کان هودا وقالت النصاری لن یدخل الجنة الا من کان نصاری فلف بین القولین
ثقة بان السامع یرد الی کل فریق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادی بین الفریقین وتضلیل کل واحد
منهما لصاحبه ونحوه وقالوا کونوا هودا او نصاری والهود جمع هائد کعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت
کیف قیل کان هودا علی توحید الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم علی لفظ من والخبر علی معناه کقراءة الحسن
رحمه الله الا من هو صالوا الجحیم وقوله فان له نار جهنم خالدین وقراءة ابی بن کعب الا من کان یهودیا او نصرانیا
فان قلت لم قیل تلك امانیهم وقولهم لن یدخل الجنة امنیة واحدة قلت اشیر بها الی الامانی المذکورة
وهی امنیتهم ان لا ینزل علی المؤمنین خیر من ربهم وامنیتهم ان یردوهم کفارا وامنیتهم ان لا یدخل
الجنة غیرهم ای تلك الامانی الباطلة امانیهم وقوله قل هاتوا برهانکم متصل بقوله لن یدخل الجنة الا
من کان هودا او نصاری وتلك امانیهم اعتراض او ارید امثال تلك الامنیة امانیهم علی حذف المضاف
واقامة المضاف الیه مقامه یرید ان امانیهم جمیعا فی البطلان مثل امنیتهم هذه والامنیة افعولة من
التمنی مثل الاضحوکة والاعجوبة هاتوا برهانکم هلموا حجتکم علی اختصاصکم بدخول الجنة ان کنتم صادقین
فی دعواکم وهذا اهدم شیء لمذهب المقلدین وان کل قول لا دلیل علیه فهو باطل غیر ثابت وهات صوت
بمنزلة هاء بمعنی احضر بلی اثبات لما نفوه من دخول غیرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له

لا یشرك

لا یشرك به غیره وهو محسن فی عمله فله اجره الذی یستوجبه فان قلت من اسلم وجهه کیف موقعه قلت یجوز
ان یکون ردا لقولهم ثم یقع من اسلم کلاما مبتدا ویکون من متضمنا لمعنی الشرط وجوابه فله اجره وان یکون
من اسلم فاعلا لفعل محذوف ای بلی یدخلها من اسلم ویکون قوله فله اجره کلاما معطوفا علی یدخلها من اسلم
**وقالت الیهود لیست النصاری علی شیء وقالت النصاری لیست الیهود علی شیء وهم یتلون الکتاب کذلك
قال الذین لا یعلمون مثل قولهم فالله یحکم بینهم یوم القیمة فیما کانوا فیه یختلفون** علی شیء علی شیء
یصح ویعتد به وهذه مبالغة عظیمة لان المحال والمعدوم یقع علیهما اسم الشیء فاذا نفی اطلاق اسم الشیء علیه
فقد بولغ فی ترك الاعتداد به وهذه مبالغة عظیمة الی ما لیس بعده وهذا کقولهم اقل من لا شیء وهم یتلون
الکتاب الواو للحال والکتاب للجنس ای قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للکتب وحق من حمل التوریة
او الانجیل او غیرهما من کتب الله وامن به ان لا یکفر بالباقی لان کل واحد من الکتابین مصدق للثانی شاهد
بصحته وکذلك کتب الله جمیعا متواردة فی تصدیق بعضها بعضا کذلك ای مثل ذلك الذی سمعت به
علی ذلك المنهاج قال الجهلة الذین لا علم عندهم ولا کتاب کعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لکل
اهل دین لیسوا علی شیء وهذا توبیخ عظیم لهم حیث نظموا انفسهم مع علمهم فی سلك من لا یعلم وروی ان
وفد نجران لما قدموا علی رسول الله صلی الله علیه وسلم اتاهم احبار الیهود فتناظروا حتی ارتفعت اصواتهم
فقالت الیهود ما انتم علی شیء من الدین وکفروا بعیسی والانجیل وقالت النصاری لهم نحوه وکفروا بموسی
والتوریة فالله یحکم بین الیهود والنصاری یوم القیمة بما یقسم لکل فریق من العقاب الذی استحقه وعن
الحسن حکم الله بینهم ان یکذبهم ویدخلهم النار **ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان یذکر فیها اسمه
وسعی فی خرابها اولئك ما کان لهم ان یدخلوها الا خائفین لهم فی الدنیا خزی ولهم فی الاخرة عذاب
عظیم** ان یذکر ثانی مفعولی منع لانك تقول منعته کذا ومثله وما منعنا ان نرسل بالایات وما منع الناس
ان یؤمنوا ویجوز ان یحذف حرف الجر مع ان لان اصل الکلام من ان یذکر وان تنصبه مفعولا له بمعنی
منعها کراهة ان یذکر وهو حکم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذکر الله مفرط فی الظلم والسبب
فیه ان النصاری کانوا یطرحون فی بیت المقدس الاذی ویمنعون الناس ان یصلوا فیه وان الروم غزوا
اهله فخربوه واحرقوا التوریة وقتلوا وسبوا وقیل منع المشرکون رسول الله صلی الله علیه وسلم ان یدخل
المسجد الحرام عام الحدیبیة فان قلت فکیف قیل مساجد الله وانما وقع المنع والتخریب علی مسجد واحد
هو بیت المقدس او المسجد الحرام قلت لا باس ان یجیء الحکم عاما وان کان السبب خاصا کما تقول لمن اذی
صالحا واحدا ومن اظلم ممن اذی الصالحین وکما قال الله تعالی ویل لکل همزة لمزة والمنزول فیه الاخنس
بن شریق وسعی فی خرابها بانقطاع الذکر او بتخریب البنیان وینبغی ان یراد بمن منع العموم کما ارید بمساجد
الله ولا یراد الذین منعوا باعیانهم من اولئك النصاری او المشرکین اولئك المانعون ما کان لهم ان
یدخلوها ای ما کان ینبغی لهم ان یدخلوا مساجد الله الا خائفین علی حال التهیب وارتعاد الفرائص من المؤمنین
ان یبطشوا بهم فضلا ان یستولوا علیها ویلوها ویمنعوا المؤمنین منها والمعنی ما کان الحق والواجب الا ذلك
لولا ظلم الکفرة وعتوهم وقیل ما کان لهم فی حکم الله یعنی ان الله قد حکم وکتب فی اللوح انه ینصر المؤمنین
ویقویهم حتی لا یدخلوها الا خائفین وروی انه لا یدخل بیت المقدس احد من النصاری الا متنکرا مسارقة
وقال قتادة لا یوجد نصرانی فی بیت المقدس الا انهك ضربا وابلغ الیه فی العقوبة وقیل نادی رسول الله
صلی الله علیه وسلم الا لا یحجن بعد هذا العام مشرك ولا یطوفن بالبیت عریان وقراءة عبد الله الا خیفا
وهو مثل صیم وقد اختلف الفقهاء فی دخول الکافر المسجد فجوزه ابو حنیفة رحمه الله ولم یجوزه مالك
وفرق الشافعی رحمه الله بین المسجد الحرام وغیره وقیل معناه النهی عن تمکینهم من الدخول والتخلیة بینهم

وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية **ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم** وهو المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا اي ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضي الله عنه نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطا رحمه الله عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرا الحسن رحمه الله فاينما تولوا انفصالا من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة **وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون** وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع منهم شيء على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس مكوناته ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا **بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون** يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الشيء فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثمة كما لا قول في قوله اذا قالت الانساع للبطن الحق وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في قوله وقرا المنصور بالنصب على المدح قوله سبحانه **وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم يوقنون** وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تاتينا اية جحودا لان يكون ما اتاهم من ايات الله ايات واستهانة بها تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الايات لقوم يوقنون فيوقنون انها ايات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها **انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم** انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يهتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا نسالك عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا

بعد ان

بعد ان بلغت وبذلت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسال على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تساله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسال ويعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسال وقراءة ابي رضي الله عنه وما تسال **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير** كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريق اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة **الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون** والذين اتيناهم الكتاب هم مؤمنو اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين** ابتلى ابرهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرا ابو حنيفة وهي قراءة ابن عباس ابرهيم ربه رفع ابرهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل في القراءة المشهورة في الفعل في التقدير فتعلق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابرهيم فاما ابتلى ابرهيم ربه او ابتلى ربه ابرهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابرهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابرهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراءتين لابرهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابرهيم الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابرهيم في قوله رب اجعل هذا بلدا امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى واما اذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استئناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ... وقيل في الكلمات هن خمس في الراس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه من شرائع الاسلام بثلثين سهما عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات

وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف
والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكواكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه
والنار والهجرة والامام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالازار لما يؤتزر به اي يأتمون بك في دينهم
ق ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما
يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون اي من كان ظالما من ذريتك
لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان
الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا
يقدم للصلوة وكان ابو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضي الله عنه وحمل المال اليه
والخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه
وقالت له امرأة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني
مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وعن
ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب
من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم واذ جعلنا البيت مثابة للناس و
امنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين و
العاكفين والركع السجود واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن
منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير
والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة للناس ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه
ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا موضع امن كقوله حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة
لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا
منه موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد او لا نؤثره لفضله بالصلوة فيه تبركا
به وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى
مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابرهيم
وعن عمر رضي الله عنه انه سأل المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فأراه
موضعه اليوم وعن عطا مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن
النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مقام ابرهيم
الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها عهدنا الى ابرهيم امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا
او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء
لا يغشيه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد
بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين و
المصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي اي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله
عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله
خاصة ومن كفر عطف على من امن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص ابرهيم صلوات الله عليه

المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن
ينصح للمرعي وابعد الناس من النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة
له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا
للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع
مما اضطر اليه وقرأ ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس
فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك فان قلت فكيف تقدير
الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير ابرهيم اي قال ابرهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق
ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرأ ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة
مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي تدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي

قوله سبحانه واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ح

حروف ضم شغر يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة
غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي اسأل الله ان يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البناء
عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز
ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد
رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم
ما قعد من البيت اي استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي
انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة
له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم
من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام و
حج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء
الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة
سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا
ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق
عنه وقد خبئ فيه ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل
كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد
اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا
فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما
ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم مسلمين لك اي مخلصين لك اوجهنا
من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال سلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا
اخلاصا او اذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع
لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين
امنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم
نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوا على الخير الا ترى ان
اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من ورائهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا منقول من رأى
بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج او عرفناها وقيل مذابحنا

وقرئ وارنا بسكون الراء قياسًا على فخذ في فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة
دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ ابو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا
ما فرط منا من الصغائر او استتابا لذريتهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا
منهم من انفسهم روى انه قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام
قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم عم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم
ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان
الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث
ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه في
محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد
سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على
التمييز نحو غبن رايه والم راسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله فما قومي بثعلبة
ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني
مقيم اي في ظني والوجه هو الاول لحكم شاهد له بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك
انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في ازالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد
اصطفيناه بيان لخطاء راي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته
وحبيبه في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الاخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته
منه اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار كالسلمة م
اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب
عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر
وعرف وقيل اسلم اذعن واطع وروى ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام
فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى
ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ووصى بها ابرهيم بنيه
ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون وقرئ واوصى وهي في مصاحف اهل
الشام والحجاز والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله
وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل
الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ يعقوب بالنصب
عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على اضمار القول عند البصريين وعند
الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا
بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي رضي الله عنه وابن مسعود
ان يا بني اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا
تموتن معناه ولا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال
الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في حال الصلوة
فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي

لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه الصلوة
والسلام لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك
المعنى في الاية اظهار ان موتهم لا على الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حال م
حق هذا الموت ان لا يحل فيهم ويقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن
بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها
والهاحقه بان يحث عليها ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من
بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ام
المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب
اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به
من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه
وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصهم على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالاية
منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء اذ حضر وجاز ان يكون ام متصلة على ان تقدر قبلها
محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من
بني اسرائيل كانوا مشاهدين اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على
الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء
فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم
ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات ومن جملة ابائه لان العم ام طيب ام غير ذلك من الصفات
اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم
الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية ابائي وقال
ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ ابي واله ابرهيم طرح
ابائك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو ابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان
والنون كما قال وفدينا بالابينا الهنا واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص لا بائك وجعل اسمعيل وهو ح
اي نريد باله ابائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له
ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان يكون جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون
التوحيد او مذعنون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تلك
اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما
كان او متاخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا
باوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا
تسئلون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا
قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين بل ملة ابرهيم بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن
حاتم اني من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اي ملته ملتنا او
امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة والحنيف
المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا
حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ملة
ابرهيم وهو على الشرك قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط م

وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون قولوا خطاب
للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة
ابرهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين
رضي الله عنهما سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر
لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح
دخول بين عليه فان امنوا بمثل ما امنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذا دين اخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان امنوا بذلك
الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان امنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا اخر
مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه
مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا
هو الراي الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد
تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه ويجوز ان لا يكون الباء صلة ويكون باء الالة
كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي امنتم بها و
قراءة ابن عباس وابن مسعود بما امنتم به وقرا ابي بالذي امنتم به وان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فانما
هم في شقاق اي فما هم الا في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء او وان
تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن
لا محالة وان تاخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد
والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما
تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله ومن احسن من الله صبغة
ونحن له عابدون صبغة الله مصدر موكد منتصب عن قوله امنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي
فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر
النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير
لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الان صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا
امنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون
صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة لمن يغرس الاشجار
اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان و
يطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على امنا بالله وهذا
العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه
من فك النظم واخراج الكلام عن التيامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر موكد هو الذي ذكره
سيبويه والقول ما قالت حذام قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون
ام تقولون على الله ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم
ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون قرأ زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا
في شان الله واصطفائه النبي صلى الله عليه وسلم من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونه

احق

احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته
من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة ولنا اعمالنا ولكم
اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها
فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا
تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان يكون النبوة فينا لانا
اهل كتاب والعرب عبدة اوثان ام تقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان يكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا
بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد
بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان يكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن
قرأ بالياء لا يكون الا منقطعة قل ءانتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان
ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة
الله التي عنده من الله اي كتم شهادة الله عنده انه شهد بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل
معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني
انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام
بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان
اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود
لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل
المشركون قالوا رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار
بقولهم قبل وقوعه قلت فائدته ان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب
اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه
وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب اي
بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة
والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة
وسطا خيارا وهو صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والذكر والمؤنث
ونحو قوله عليه السلام انظروا الشجرة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء ووصفا بالثبج وهو وسط الظهر
الا انه الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار
والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا
وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي فقال اعطني من سطا هنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل
بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روى ان الامم يوم القيمة يجحدون
تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق
فيؤتى بمحمد عليه الصلوة والسلام فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم
قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء

الجزء الثاني

شهيدا كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح
الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول شهيدا عليكم يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت
صلة الشهادة اولا وقدمت اخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر
اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله
بالناس لرءوف رحيم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة
التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة
الى الصخرة بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها
الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام
الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين
كفروا الاية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل
الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك
هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس
رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم
ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته
لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب
فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة من الثقيلة التي يلزمها
اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة
ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع
الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم
تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليضيع ايمانكم اي
ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى
الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضايعة وعن ابن عباس رضي الله عنه لما وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرءوف رحيم لا يضيع اجورهم ولا
يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله
ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم
وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا
عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرا اليزيدي
لكبيرة بالرفع ووجهها ان يكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان
زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة
ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب
ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله
قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم

ومزارهم

ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضيها
تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه
قال وأطعن بالقوم شطر الملوك وقرا ابي تلقاء المسجد عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل
قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة
الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد
القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال
عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة
دون العين ليعلمون انه الحق ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه
وسلم انه يصلي الى القبلتين يعملون قرئ بالتاء والياء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك
وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك
اذا لمن الظالمين ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل اية بكل برهان قاطع ان التوجه
الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة
وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا
في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ
بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في
شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى
مطلع الشمس اخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه
بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن
حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن
اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك
لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من ترك الدليل بعد انارته واتبع الهوى وتهييج والهاب
للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت
كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة قوله سبحانه
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من
ربك فلا تكونن من الممترين يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين
غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر
رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال
لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته قد خانت فقبل عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق
له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما
معلوما بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القران او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره
الحديث عن عبد الله بن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الآباء
الزم وبقلوبهم الصق وان فريقا منهم استثناء لمن امن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون
الكتاب الا اماني الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق او مبتدا خبره من ربك و

فيصح ان يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي في
قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره
يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو باطل
فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا
علي بن ابي طالب رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك **ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا**
يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي
ولكل قبلة هو موليها هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ
ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت
ولزيد ابوه ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة
يتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى
اخر وهو ان يراد لكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية
فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا للجزاء من موافق او مخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون
المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات
المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن
حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس
عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون
ومن حيث خرجت اي ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا
المامور به لحق وقرئ تعملون بالياء والتاء وهذا التكرير تاكيدا لامر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة
والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا
ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون
لاحد حجة من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا
لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من
تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو مذكور في نعته
في التورية فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون
المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب
الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرا
زيد بن علي الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا
مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام
محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل
واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة
وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم**
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يا ايها
الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي

عليكم

عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول ولما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول
فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون اموات بل احياء اموات بل هم
احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم
على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوة وعشية فيصل
اليهم الوجع وعن مجاهد رضي الله عنه يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع
الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر
وكانوا اربعة عشر **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين**
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
واولئك هم المهتدون ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون
وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه
البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلايا لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى
الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه
وروي انه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال
نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل
ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك
قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب
في وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام
شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم
فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول
الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة
وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة
واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله **ان الصفا والمروة من شعائر الله**
فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم الصفا والمروة علمان
لجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد
والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان و
اصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل فلا جناح عليه
ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا
في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية
اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان
لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح
وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع
خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وينصره قراءة ابن مسعود
فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء

عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن تطوع
ومن يطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا
واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم اذا الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا
في التورية من البينات من الايات الشاهدة على امر محمد عليه السلام والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه
والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه
على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
الذين يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم
وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم
ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان الذين كفروا
يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن والملائكة
والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو وتريد
من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة فان قلت ما معنى قوله والناس
اجمعين وفي الناس الكافر والمسلم قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم
بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون لا هم من الانظار
اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد فرد في الالهية لا
شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولى يعقلون م
لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه
وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت
باية نعرف بها صدقك ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر
بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما
ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيى
قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل
به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من دابة ويجوز عطفه على
احيى على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف
الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح
وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء
لايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراء هذه الاية اي لم يتفكر منها ولم يعتبرها وقرئ والفلك بضمتين وقرئ
الرياح على الافراد ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ولو
يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اندادا امثالا من الاصنام

وقيل

وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ
تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله
كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه
لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون
اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف
المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم
وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى
غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اي
ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب
دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل
تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى
اذ وقفوا وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اي
ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب
الجنة اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا
لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين
من النار اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد
الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب الواو للحال
اي تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق
على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو في معنى التمني
ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع
يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات
عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة
في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا
تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالسوء م
حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام
او في شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول وقرئ خطوات بضمتين
وخطوات بضمة وسكون وخطوات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوة
بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة
يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به انما يامركم بيان
لوجوب الانتهاء [illegible] باعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز
الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت كيف
كان الشيطان امرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الامر كما تقول امرتني
نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال
ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان

الانسان يطيعها فيما اسمت **واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا**
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة
الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا
يقولون قيل هم المشركون وقيل طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام
فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا
عليه اباءنا اولو كان اباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم
لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء**
ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او
ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا
جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا
دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا اخر ولا تعي كما تفهم العقلاء وتعي
ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت
لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم اباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا
تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق
ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد
عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل
فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا واما نغق الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم
وهو رفع على الذم **يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون**
من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا الله الذي رزقكموها
ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه
ان الله غفور رحيم وقرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم اهل به لغير الله
اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر اخر بالاستئثار
عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احلت لنا ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال
اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الوهم الى الكبد والطحال ولاعتبار
العادة والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتاكلوا
منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا
له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم **ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون**
به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب
اليم في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار
لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان في بطنه الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال
اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقال ياكلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له

ولا يكلمهم

ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم
وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم الله
بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب**
بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب
لفي شقاق بعيد فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة
منهم كما يقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض
لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره
بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان ن
من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله
ذلك بان الله نزل اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في
كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب
للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القران بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال
بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يثبتوا قولا
لما جسروا الا ان يكفروا **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم**
الاخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين
في الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون البر اسم للخير ولكل فعل
مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس س
والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ
خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي
يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر
من امن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرا عبد الله بان تولوا على ادخال الباء
على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من امن على تاويل حذف المضاف اي بر من امن او بتاويل
البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرا القران لقرات ولكن البر بفتح
الباء وقرئ ولكن البار وقرا ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القران على حبه
مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى
اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه
وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك
اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح والمطلق ذوي القربى واليتامى والمراد
الفقراء منهم لعدم الالتباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر وابن
السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف
لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء
على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل
في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال

حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلى هذه الاية ويحتمل ان يكون
ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل
صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من امن واخرج الصابرين
منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ
والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا
كانوا صادقين جادين في الدين يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم
ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو
مذهب مالك والشافعي ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الاية ويقولون هي مفسرة لما
ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون
وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة و
اصحابه انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والانثى ويستدلون
بقوله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة
لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول
على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من
جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء
في معنى المفعول به لان عفي لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه
لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة و
ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت
ان عفي يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن
فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما
جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى
عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لان عفا الشيء بمعنى
تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا
جعلت معناه فمن محي له من جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء
في معنى المفعول به قلت لان عفا الشيء بمعنى تركه من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات
عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها
وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله عز وجل على اختراع لغة
وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار
بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط
القصاص ولم يجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي
جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل
بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة
لان اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص

والدية

والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك
التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل
بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب
الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة
يا اولي الالباب لعلكم تتقون ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص
قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة تعريف القصاص وتنكير الحيوة
لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد
الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع
بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة
الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه
فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء
ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي ولكم في القرآن حيوة
للقلوب كقوله تعالى روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي اريتكم ما في القصاص من
استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم
به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين
والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع
عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم اذا حضر احدكم
الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال
واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة الاف قالت كم عيالك
قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان
مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال
والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما
سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله
اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الاحاد لا
لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم
الايتين وقيل ما هي بمخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين
من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به
الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل
وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله فمن غير
الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على
الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما
بريان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون
اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطاء في
الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع
فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يوثم

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات
فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين
فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء
والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية
ما اخلا الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها
لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء لقوله
صلى الله عليه وآله وسلم فعليه بالصوم فان الصوم وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم
شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان
فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق
عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته
وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صيامها
حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء
وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الآية ومعنى معدودات موقتات بعدد
معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتكثر فيه والكثير يهال
هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر
فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا
ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا
دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك لكل مريض وعن ابن سيرين انه
دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد
او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه
الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل
واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله تعالى لم يرخص لكم
في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر
والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت كيف
قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود
فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤتر عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة
وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع
من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم
ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوقونه بادغام التاء في
الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل
وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما
نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء
الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه
جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له
او الخير وقرئ فمن يطّوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم

تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة
او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه
ويقال لهم صوموه وعنه يتطوقونه
بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ف
يطوقونه صح

طاقتكم

طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي
والصيام خير لكم شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن
شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون الرمضان مصدر رمض
اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن
داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي شهر رمضان قلت
الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا
لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة
سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة
مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان
ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لا من الالتباس كما قال بما اعيا النطاسي
حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام في
قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على
الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله
وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شأنه القرآن
وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزلت
صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع و
عشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفة فات
مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس
قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه
وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي
حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء وكذا
الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر
يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة السهلة
التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض
الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرئ العسر واليسر بضمتين
الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبيينه الا
النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه
قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ولعلكم تشكرون واراده ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد
فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة
او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك و
الاول اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو
التكبير عند الاهلال واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي
وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة

من ساله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى
الله عليه وسلم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا
دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها احل لكم ليلة الصيام الرفث الى
نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم
فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط
الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود
الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء
الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل
فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت
وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه
كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم * وهن يمشين بنا هميسا * ان تصدق
الطير ننك لميسا * فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق
فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان قلت لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى
القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم
من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه
اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمينه معنى الافضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان
ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي *
اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا * فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استيناف
كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن
وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها
من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم
من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا
تباشروا لقضاء الشهوة وحده ولكن لابتغاء ما وضع الله تعالى له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن
العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن
قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الاعمش واتوا وقيل
معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير
الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه
من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود وقال ابو دواد * فلما اضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط انارا *
وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفي به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز
ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت
قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها
فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا التي هي

ابلغ

لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله
هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله عليه السلام والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم
ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك ونحوه قوله تعالى وحرمنا
عليه المراضع اي منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل
كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك قلت عن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية والله
مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما
توجبه الحكمة وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم قوله عز وجل
واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبات به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما
نباها به قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا
عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير بعض ازواجه حفصة
والحديث الذي اسر اليها حديث مارية وامامة الشيخين فنبأت به افشته الى عائشة وقرئ انبأت به واظهره
واطلع النبي صلى الله عليه وسلم عليه على الحديث اي على افشائه على لسان جبريل وقيل اظهره الله الحديث على
النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور عرف بعضه اعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام
وقرئ عرف بعضه اي جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت ومنه اولئك الذين
يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعروف حديث الامامة والمعرض
عنه حديث مارية وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة
التي خص الله بها اباها فان قلت هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه قلت ليس الغرض بيان من المذاع
اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشائه من قبلها وان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى انه لما كان المقصود
في قوله فلما نباها به ذكر المنبأ كيف اتى بضميره ان تتوبا خطاب لحفصة وعائشة على طريقة
الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم ازل حريصا على ان اسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما
كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس
كانه كره ما سالته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل
قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود
فقد زاغت وان تظاهرا عليه وان تعاونا عليه بما يسوؤه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره
وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه اي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة من عزائمه وانه
يتولى ذلك بذاته وجبريل رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته
عنده وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من
النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم فان قلت صالح المؤمنين واحد او جمع قلت هو واحد اريد
به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في
السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله صالحوا المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه
كما جاءت اشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات
من جموعهم بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على
من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه فان قلت قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم

وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المومنين ونصرة الله اعظم واعظم قلت مظاهرة الملئكة من جملة نصرة
الله فكانه فضل نصرته لهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا
وتظاهرا وتظهرا **عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات**
عابدات سائحات ثيبات وابكارا وقرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات
سائحات صائمات وقرئ سيحات وهي ابلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى
ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان يجئ وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد
بن اسلم لم يكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة فان قلت كيف يكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض
نساء خير من امهات المومنين قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعصيانهن له وايذائهن
اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لان القنوت هو
القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فان قلت لم اخليت الصفات كلها عن
العاطف ووسط بين الثيبات والابكار قلت لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في
سائر الصفات فلم يكن بد من الواو **يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**
عليها ملئكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يا ايها الذين كفروا
لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تاخذوهم
بما تاخذون به انفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم
لعل الله يجمعكم معهم في الجنة وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيمة من جهل اهله وقرئ واهلوكم عطفا على
واو قوا وحسن العطف للفاصل فان قلت اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسهم قلت لا ولكن المعطوف
مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده فكانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب
غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا تتقد الا بالناس
والحجارة كما تتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها
وقرئ وقودها بالضم اي ذو وقودها عليها يلي امرها وتعذيب اهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم
غلاظ شداد في اجرامهم غلظة وشدة اي جفاء وقوة او في افعالهم جفاء وخشونة لا تاخذهم رافة في تنفيذ
اوامر الله والغضب له والانتقام من اعدائه ما امرهم في محل النصب على البدل اي لا يعصون ما امر الله اي
امره كقوله تعالى افعصيت امري او لا يعصونه فيما امرهم فان قلت اليست الجملتان في معنى واحد قلت لا فان
معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون
به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه فان قلت قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين
فما معنى مخاطبته به المومنين قلت الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في
دار واحدة فقيل للذين امنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة
ويجوز ان يامرهم بالتوقي من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين امنوا بالسنتهم
وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله على اثره يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي
يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار **يا ايها الذين امنوا توبوا**
الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي
الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل

شئ قدير

شئ قدير توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا
بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقتها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها
نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح الى ان يعود اللبن
في الضرع موطنين انفسهم على ذلك وعن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب
اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء على الماضي
من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان
تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي
يحب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف
واحرق بالنار وعن ابي السماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحيا من الله امام عينك وتستعد لمنتظرك
وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمومنين لان من صحت توبته احب
ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل
خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها
لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرا زيد بن علي توبا نصوحا وقرئ
نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور اي ذات نصوح او تنصح
نصوحا او توبوا لنصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم اطماع من الله لعباده وفيه وجهان احدهما ان
يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني
ان يجئ به تعليما للعباد ووجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الاول وانه في معنى البت قراءة
ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزي
الله نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد للمومنين على انه عصمهم
من مثل حالهم يسعى نورهم على الصراط اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا
وعن الحسن الله متمه لهم ولكنهم تدعون تقربا الى الله كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم
منزلة لانهم يعطون من النور بقدر ما يبصرون مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسالون اتمامه
تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا
فاولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فان قلت كيف يتشفقون والمومنون امنون ام من ياتي امنا يوم القيمة
لا خوف عليهم ولا يحزنهم الفزع الاكبر او كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت اما الاشفاق فيجوز ان يكون
على عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو
حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا **يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماويهم جهنم**
وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالاحتجاج واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة
المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم مثل الله عز وجل حال الكفار
في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمومنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم
لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب او وصلة صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق
وبت الوصل وجعلهم ابعد من الاجانب وابعد وان كان المومن الذي يتصل به الكافر نبيا من الانبياء بحال
امراة نوح وامراة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة

الزواج اغنيا ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين
لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط ومثل حال المؤمنين في
ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا ينقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امراة فرعون ومنزلتها
عند الله مع كونها زوجة اعدى اعداء الله الناطق بالكلمة العليا ومريم ابنت عمران وما اوتيت من كرامة
الدنيا والاخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المؤمنين
المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ
وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة الى ان
حقهما ان يكونا في الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وان لا يتكلا على انهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امراة لوط افشت عليه كما افشت حفصة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا تدق عن تفطن
العالم وتزل عن تبصره فان قلت ما فائدة قوله من عبادنا قلت لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الانسان
كائنا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا فكان المعنى لهما صالحين فذكر
النبيين المشهورين العلمين بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح وحده
اظهارا وابانة لان عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وان ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب
للرجحان عنده فان قلت ما كانت خيانتهما قلت نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامراة نوح قالت
لقومه انه مجنون وامراة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند
كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس ما بغت امراة نبي قط

وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين وامراة فرعون اسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام
امنت حين سمعت بتلقف عصا موسى عليه السلام الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة ان فرعون وتد امراته باربعة
اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحا على صدرها وقيل امر بان تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي
بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب
وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب
في الشمس فتظلها الملائكة فان قلت ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من
عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة وان تكون جنتها من الجنان
التي هي اقرب الى العرش وهي جنات الماوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل
فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم و
التعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة
الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين رب فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي
من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين **ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين** فيه في الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للحملة و
قد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع
في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وصدقت قرئ بالتشديد وبالتخفيف
على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه فان قلت فما كلمات الله و
كتبه قلت يجوز ان يراد بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس وغيره وسماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة

وان يراد

وان يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب
الذي انزل عليه وهو الانجيل فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من
القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها
من اعقاب هرون اخي موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء
الا اربع اسية بنت مزاحم امراة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة
على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام واما ما روي ان عائشة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى
الله المسلمة يعني مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت وما اسمها قال اسم امراة نوح واعلة واسم امراة لوط
واهلة فحديث اثر الصنعة عليه بين ولقد سمى الله جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب
وتركها للبغض لسمى اسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين وابى الله الا ان يجعل للمصنوع المصنع
امارة تنم عليه وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم واسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك ثلثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود
وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه والحيوة
ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك
فيه ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحيوتكم ايها المكلفون ليبلوكم
وسمي علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر فان قلت من اين تعلق قوله ايكم
احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته
ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا فان قلت
اتسمي هذا تعليقا قلت لا انما التعليق ان توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت
ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف
الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا
منطلقا احسن عملا قيل اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص
فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلاها فلما بلغ قوله ايكم احسن
عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله يعني ايكم اتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه
والمراد انه اعطاكم الحيوة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار
العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس داعيا
الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الاية اهم وهو العزيز الغالب الذي
لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة **الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير**
طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او
على طوبقت طباقا من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدوا
وتعهدوا اي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم
التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي وضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن

وهو العزيز الغفور

صف

دني فيقصه متناقض فإن قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هي صفة مشايعة لقوله طباقا وأصلها ما
ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من
التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى
للرسول أو لكل مخاطب وقوله فارجع البصر متعلق به على معنى التسبيب أخبره بأنه لا تفاوت في خلقهن ثم
قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ولا يبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع
وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع
وأمره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا ينقلب إليك أي إن رجعت البصر وكررت النظر
لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب بل يرجع إليك بالخسوء والحسور أي بالبعد
عن إصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالإعياء والكلال لطول الإجالة والترديد فإن قلت
كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين قلت معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك
يريد إجابات كثيرة بعضها في إثر بعض وقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك أي باطلا بعد باطل فإن قلت
فما معنى ثم ارجع قلت أمره برجع البصر ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الأولى وبالنظرة الحمقاء وأن يتوقف
بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة فإنه لا يعثر على شيء من فطور
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير الدنيا القربى لأنها
أقرب السموات إلى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم
ودورهم بإثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح أي بأي مصابيح لا توازيها
مصابيحكم إضاءة وضممنا إلى ذلك منافع أخر أنا جعلناها رجوما لأعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور إلى
الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة السماء ورجوما للشياطين
وعلامات تهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لأحد من أهل
الأرض في السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به
ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين أن الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب
لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها لأنها قارة في الفلك على حالها وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة
لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما
بالغيب لشياطين الإنس والجن وهم المنجمون وأعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا
وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ
كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء
إن أنتم إلا في ضلال كبير وللذين كفروا بربهم أي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس
الشياطين المرجومين مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير إذا ألقوا أي طرحوا
كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله حصب جهنم سمعوا لها شهيقا إما لأهلها ممن تقدم طرحهم
فيها أو من أنفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق وإما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق تفور
تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف
غضبا وغضب فطارت منه شقة في الأرض وشقة في السماء إذا وصفوه بالإفراط فيه ويجوز أن يراد غيظ الزبانية
ألم يأتكم نذير ألم يأتكم نذير توبيخ يزدادون به عذابا إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم وخزنتها مالك وأعوانه
من الزبانية قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأن الله عز وعلا أزاح عللهم ببعثة الرسل وإنذارهم
ما وقعوا فيه وأنهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وإنما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله

وامر به

وأمر به وأوعد على ضده فإن قلت إن أنتم إلا في ضلال كبير من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم
للمنذرين على أن النذير بمعنى الإنذار والمعنى ألم يأتكم أهل نذير أو وصف منذروهم لغلوهم في الإنذار كأنهم ليسوا
إلا إنذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله إنا رسول رب العالمين أي حاملا رسالته ويجوز أن يكون من كلام
الخزنة للكفار على إرادة القول أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا أو أرادوا بالضلال الهلاك
أو سموا عقاب الضلال باسمه أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أي قالوا لنا هذا فلم نقبله وقالوا لو كنا نسمع
أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير إن الذين يخشون ربهم
بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير لو كنا نسمع الإنذار سماع طالبين للحق أو نعقله عقل متأملين وقيل إنما جمع بين السمع
والعقل لأن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب
الحديث أو على مذهب أصحاب الرأي كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكأن سائر أصحاب
المذاهب والمجتهدين قد أنزل الله وعيدهم وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين
من الصحابة عشرة لم يضم إليهم حادي عشر وكأن من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين
فاعترفوا بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا قرئ بالتخفيف والتثقيل أي فبعدا لهم اعترفوا أو جحدوا
فإن ذلك لا ينفعهم ظاهره الأمر بأحد الأمرين الإسرار والإجهار ومعناه ليستوي عندكم إسراركم وإجهاركم
في علم الله بهما ثم إنه علله بأنه عليم بذات الصدور أي بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها فكيف لا يعلم
ما تكلم به ثم أنكر أن لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الأشياء وحاله أنه اللطيف الخبير المتوصل
علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا بمعنى ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي
أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمعه إله محمد
فنبه الله على جهلهم فإن قلت قدرت في ألا يعلم مفعولا على معنى ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر في القلب وأظهر
باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى ألا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف
الخبير لم يكن معنى صحيحا لأن الخلق لا يصح إلا مع العلم قلت أبت ذلك الحال التي هي في قوله وهو اللطيف الخبير لأنك
لو قلت ألا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لأن ألا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت
بنفسه فلا يقال ألا يعلم وهو عالم ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا
في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم
من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير
المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شيء من البعير
وأنبأه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فإذا جعلها في الذل بحيث يمشى في مناكبها لم يترك شيئا وقيل
مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فإذا أمكنكم السلوك في جبالها فهو أبلغ التذليل وقيل
جوانبها والمعنى وإليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم عليكم من في السماء فيه وجهان أحدهما من
ملكوته في السماء لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره
ونواهيه والثاني أنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه في السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه
من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم
بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل إذا رأيته يركب بعض المعاصي
فستعلمون مني ماذا وإنما كيف نذير أي إنذاري إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم
أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير أمن هذا الذي هو جند

ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا
في عتو ونفور افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم صافات باسطات
اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها
جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران
في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار
به على التحرك فجيء بما هو طار غير اصيل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة
كما يكون مع السابح ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الاجسام على شكل
وخصائص قد تأتى منها الجري في الجو انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب امن يشار اليه
من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه امن يشار اليه ويقال
هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم
انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة الهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى ام لهم الهة
تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه يجعل اكب مطاوع
كبه ويقال كببته فاكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء
افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه وانما اكب من باب انفض والام ومعناه دخل في الكب
وصار ذا كب وكذلك اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع فان قلت ما معنى يمشي مكبا
على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم قلت معناه يمشي معتسفا في مكان متعاد غير مستوفيه انخفاض
وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه مكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور والخرور
او مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز ان يراد الاعمى الذي
لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق
المهتدي له وهو مثل المؤمن والكافر وعن قتادة الكافر اكب على معاصي الله فحشره الله يوم القيمة على وجهه وعن الكلبي
عني به ابو جهل ابن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه
قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في
الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير
مبين فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون قل ارايتم ان اهلكني
الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا
فستعلمون من هو في ضلال مبين قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فلما راوه زلفة
الضمير للوعد والزلفة القربة وانتصابها على الحال او الظرف اي راوه ذا زلفة او مكانا ذا زلفة سيئت وجوه الذين
كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من
يقاد الى القتل او يعرض على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية تدعون تفتعلون من الدعاء اي تطلبون
وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد انه
تلاها في اول الليل في صلوته فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلوة الفجر ولعمري انها لوقادة لمن تصور تلك الحالة
وتاملها كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن
مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او يرحم بالنصرة والادالة للاسلام
كما نرجو فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعني انكم تطلبون لنا الهلاك الذي
هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه

او ان اهلكنا الله تعالى بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة
عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على يد نبيا هالك او ان اهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير
الكافرين وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له فان قلت لم اخر مفعول امنا
وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع امنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه
توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متوكلون عليه من رجالكم واموالكم غورا غائرا ذاهبا في الارض
وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضى وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجيء به
الفؤس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى اياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

سورة النون اثنتان وخمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون
وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم قرئ نون والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها
وكسرها كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي ام
شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين وان كان
علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تاليف الكلام فان قلت هو مقسم به قلت وجب ان كان جنسا ان
تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه
وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت واما ان يراد نون من النينان او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون
والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك واقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من
الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون وما يكتب من
كتب وقيل ما يسطره الحفظة وما موصولة او مصدرية ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون
لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة فان قلت بم يتعلق الباء
في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق به عاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا
في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا
ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة
لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل
والشهامة التي يقتضيها التاهيل للنبوة بمنزل وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا
لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس
بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال وانك لعلى خلق عظيم استعظم خلقه لفرط احتماله المضضات
من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امره الله به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين وعن عائشة ان سعيد بن هشام سالها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه
القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين بايكم المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون او لان العرب تزعم
انه من تخييل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة والمفتون مصدر كالمعقول والمجلود اي بايكم الجنون
او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو
تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما وهذا كقوله سيعلمون غدا من الكذاب
الاشر ان ربك هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالعقلاء وهم المهتدون او يكون
وعيدا وعدلا ووعدا وانه اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف

مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وقد ارادوه على ان يعبد الله مدة والهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم ودوا لو تدهن فيدهنون لو تلين وتصانع فيدهنون فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هرون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الراي والتمييز او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وانشدني بعض العرب تشبى تشب النميمة تمشي بها زهرا الى تميم مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كانه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولحمته من اسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس وعنه ابو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الاثام عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان

وانت زنيم نيط في ال هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الاية جعل جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترا على كل معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشي منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين امنوا وقرا الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله **ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على الخرطوم** ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب اياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ اان كان على الاستفهام على الان كان ذا مال كذب او تطيعه لان كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر سنسمه على الخرطوم الوجه اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها على اكرم موضع منه وقد وسم العباس اباعره في وجوهها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده على شربها وهو

كانوا

تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها تطير في الخياشيم

انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون انا بلوناهم اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية من المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني اسرائيل مصبحين داخلين في الصبح مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله فان قلت لم سمي استثناء وانما هو شرط قلت لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد فطاف عليها بلاء او هلاك طائف كقوله واحيط بثمره وقرئ طيف كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل اي احترقت فاسودت وقيل النهار اي يبست وذهبت خضرتها او لم يبق فيها شيء من قولهم بيض الاناء اذا فرغه وقيل الصريم الرمال صارمين حاصدين فان قلت هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم

يغدى عليه بالجفنة ويراح

اي فاقبلوا على حرثكم باكرين يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها ان مفسرة وقرا ابن مسعود بطرحها باضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منها اي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك ههنا الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد قادرين من عكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد اي لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال

اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغله

وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة اي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان فلما راوها قالوا في بديهة وصولهم انا لضالون اي ضللنا جنتنا وما هي بها لما راوا من هلاكها فلما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا **قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض**

يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين اوسطهم اعقلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطني من سطات
مالك ومنه قوله تعالى امة وسطا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم
اعقلهم وخيرهم من قولهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة
الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم
سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة
وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له
وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلوة كانهم كانوا يتوانون في الصلوة والا لنهتهم
عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا سبحان ربنا نسبح الله وننزهه عن الظلم
وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم
من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض
عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون
ان يبدلنا قرئ بالتخفيف والتشديد راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه كذلك العذاب مثل ذلك
العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الاخرة اشد واعظم منه وسئل قتادة عن
اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها
وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان
فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم
كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم
لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم عند ربهم اي في الاخرة جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص
لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا كالمجرمين كانوا صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ
المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن
حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل افنحيف في
الحكم فنجعل المسلمين كالمجرمين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء
مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء تدرسون في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه
لكم كقوله ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت
اللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح وتخير الشيء
واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء
به يعني ام ضمنا منكم واقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك الحكم زعيم اي قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم
المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق
ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم
سالمون شركاء اي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فليأتوا بهم ان كانوا
صادقين في دعويهم اذ لا احد يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله
ولا زعيم لهم يقوم به الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع
والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم الطائي
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال ابن الرقيات
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الامر

يعني بهم

ويتفاقم

ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل
واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه يكشف
الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد
ومعناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيمة ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب
اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن فان قلت فلم جاءت منكرة في التمثيل قلت
للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداعي الى شيء نكر كانه قيل يوم
يقع امر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل بن سليمان وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان
احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والاخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن احس بعظم مضار
فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول
جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم تشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ
تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا
انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف
للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما
بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة فان قلت
لم يدعون الى السجود ولا تكليف قلت لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود وهم
سالمو الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون
يقال ذرني واياه يريدون كله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا به ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني
عالم بما يجب ان يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقران فلا تشغل قلبك بشانه وتوكل
علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمكذبين استدرجه الى كذا اذا استنزله
اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله
ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج
وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم واملي لهم و
امهلهم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان من الله وافضال يوجب عليهم
الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج
وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر وسمي احسانه وتمكينه
كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر
احسانه في التسبب للهلاك المغرم الغرامة اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل
الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا
تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتبيه
ربه فجعله من الصالحين ام عندهم الغيب اي اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به فاصبر لحكم ربك وهو
امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس صلوات الله عليه اذ نادى في بطن الحوت وهو
مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى
ببلائه لولا ان تداركه حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما
تداركته وقرأ الحسن تداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال

كان زيد سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه اي انعم عليه
بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف
الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روي انها نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم
ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه فاجتباه
ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فجعله من الصالحين اي من الانبياء عليهم السلام
وعن ابن عباس رضي الله عنهما رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين ان مخففة من الثقيلة واللام علمها
وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وازلقه بمعنى ويقال زلق الراس وازلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من
زهقت نفسه وازهقها يعني انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون
يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع او
الاكل لفعله قال يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزل مواطئ الاقدام وقيل كانت العين في بني اسد
فكان الرجل منهم يتجوع ثلثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه فاريد بعض العيانين على
ان يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء
الاصابة بالعين ان يقرا هذه الاية لما سمعوا الذكر اي القران لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من
النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القران
وما هو الا ذكر وموعظة للثقلين العالمين فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن اخلاقهم

سورة الحاقة اثنتان وخمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة كذبت
ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء
التي هي اتية لا ريب فيها او التي فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي
تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتدا
وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هي اي شيء هي تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر
لانه اهول لها وما ادريك واي شيء اعلمك ما الحاقة يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم
والشدة بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع الرفع على
الابتداء وادريك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام القارعة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء
بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير
لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل
بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في
الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها
صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وقيل الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم وليس
بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة
من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق لشدة بردها عاتية شديدة العصف والعتو استعارة او
عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم

من مكا

من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ارسل الله سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم
نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد
عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها
الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى
قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى اتت
عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا
فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا او تكون صفة كقولك ذات حسوم او
تكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي
ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم وقرا السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم
مستاصلة وقيل هي ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن
فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر
والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء فيها اي في مهابها او
في الليالي والايام وقرئ اعجاز نخل من باقية من بقية او من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان
وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية انا لما
طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية ومن قبله يريد ومن عنده من
تباعه وقرئ ومن قبله اي ومن تقدمه وتعضده الاولى قراءة عبد الله وابي ومن معه وقراءة ابي موسى
ومن تلقاءه والمؤتفكات قرى قوم لوط بالخاطئة بالخطا او بالفعلة او الافعال ذات الخطا العظيم رابية
شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء يربو اذا زاد لنبعث في اموال الناس حملناكم
حملنا اباكم في الجارية في سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل ابائهم منة عليهم
وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين واغراق الكفرة
تذكرة عظة وعبرة وتعيها تحفظها يقال وعيت الشيء في نفسي واوعيت الشيء في الظرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الاية سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي رضي الله عنه فما نسيت شيئا
بعد وما كان لي ان انسى فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت للايذان بان الوعاة فيهم
قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد
الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي بهم بالة وان ملؤوا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف
شبه تعي بكبد فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة اسند الفعل الى المصدر
وحسن تذكيره للفصل وقرا ابو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا للفعل الى الجار والمجرور فان قلت هما نفختان
فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت فاي النفختين هي قلت الاولى لان عندها فساد العالم
وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روي عنه انها الثانية فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما
هو عند النفخة الثانية قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور
والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من
اوقاته وحملت الارض ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والارض او بخلق من
الملائكة او بقدرة الله من غير سبب وقرئ وحملت بتخفيف الحمل وهو احد الثلاثة فدكتا فدكت الجملتان جملة الارض
وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل

فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية نزلت النازلة وهي القيمة واهية مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة والملك على ارجائها يريد والخلق الذي يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا في قوله فوقهم على المعنى فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة على ارجائها على جوانبها الواحد رجا مقصور يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها من حافاتها ثمانية اي ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم كم هم اثمانية ام ثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق اخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية العرض عبارة عن المحاسبة والمسالة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احواله وروي ان في يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم فاما تفصيل للعرض هاء صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما اشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين واصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره اتوني افرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وافرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها في المصحف وقيل لا باس بالوصل والاسقاط وقرا ابن محيصن باسكان الياء بغير هاء وقرا جماعة باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف ظننت علمت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت راضية منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها عالية مرتفعة المكان في السماء او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور والاشجار قطوفها دانية ينالها القاعد والنائم يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله وروي يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه يا ليتها كانت القاضية الضمير في يا ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها

ولم القَ ما القى او للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ما اغنى نفي او استفهام على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس انها نزلت في الاسود بن عبد الاشد وعن فناخسرة الملقب بالعضد انه لما قال عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الاية وقال ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار ثم في سلسلة سلكه في السلسلة ان تلوى على جسده حتى تلتف عليه اثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينهما وما بين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة انه كان لا يؤمن تعليل على طريق الاستيناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك وفي قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القائل

اذا نزل الاضياف كان عذورا ... على الحي حتى تستقل مراجله

يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم وعن ابي الدرداء انه كان يحض امراته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الاخر وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما ولا طعام الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل الخاطئون الاثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون وعن ابن عباس وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والاخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة ان هذا القران لقول رسول كريم اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه من رب العالمين وقرا ابو السمال تنزيلا اي نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل وما هو بقول شاعر دليل على انه محمد صلى الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال المنقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله

لقتله صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون
اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في
قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف
اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا
بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول
حاجزين في وصف احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد من النساء والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر
احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه او لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه
القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك في قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد على
التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وانه الضمير للقرآن لحسرة على
الكافرين به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين به او للتكذيب وان القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو حق
العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله
واعبده شكرا على ما اهلك له من ايحائه اليك • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة
حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا •

سورة سأل سائل اربع واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا

ضمن سأل معنى دعا فعدي تعديته كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه
ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضي الله عنه هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل
بعذاب للكافرين وقرئ سال سائل وهو على وجهين اما ان يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال
وهما يتسايلان وان يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور
بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سال سائل عن عذاب الله على
من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم فان قلت بم يتصل قوله
للكافرين قلت هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كائن للكافرين او بالفعل اي دعا
للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل اي هو للكافرين
فان قلت فقوله من الله بم يتعلق قلت يتصل بواقع اي واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا
جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في
العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة والروح اليه الى عرشه وحيث يهبط منه اوامره في يوم كان مقداره كمقدار
مدة خمسين الف سنة مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام افرده لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة
على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس فان قلت بم يتعلق قوله فاصبر قلت بسأل سائل لان استعجال النضر
بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو فانما سأل على طريق
التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سال سائل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت
الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع اي يقع في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيمة

اما ان يكون

اما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة
وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل
وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه
وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى
تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى الضمير في يرونه للعذاب الواقع او ليوم القيمة فيمن علق في يوم بواقع اي
يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد
من الامكان وبالقريب القريب منه نصب يوم تكون بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او باضمار يقع
لدلالة واقع عليه او يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت او هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي
الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة في تلونها كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر
مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم
حميما اي لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل احد ما يشغله عن المسألة يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا
يخفون عليهم فما يمنعهم من المسألة ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ
ولا يسأل على البناء للمفعول اي لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال
والطلب فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام مستأنف كانه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره
فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم فان قلت لم جمع الضمير في يبصرونهم وهما
للحميمين قلت المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين
اياهم وقرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ
وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته عشيرته الادنون الذين فصل عنهم تؤويه تضمه انتماء اليها او
لياذا بها في النوائب ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه كلا ردع
للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر
لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر او ضمير القصة ولظى علم للنار منقول
من اللظى بمعنى اللهب ويجوز ان يراد اللهب ونزاعة خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة
او صفة له ان اردت اللهب والتأنيث لانه في معنى النار وهو رفع على التهويل اي هي نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب
على الحال المؤكدة او على انها متلظية نزاعة او على الاختصاص للتهويل والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة
الراس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد وتدعو مجاز عن احضارهم كانما تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة
تدعو انفه الريب وقوله تنادي اللهو بطبيبي فانتجه وتعلل باب النجم احضارهم كانما تدعوهم فتحضرهم وقيل تقول
لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح
ثم تلتقطهم التقاط الحب فيحتمل ان يخلق الله كلاما كما يخلقه في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز
ان يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك قال دعاك الله من رجل بافعى
من ادبر عن الحق وتولى عنه وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكوة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به
عن الدين وزهي باقتنائه وتكبر ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا
المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون
بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون

أولئك في جنات مكرمون أريد بالإنسان الناس فلذلك استثنى منه إلا المصلين والهلع سرعة الجزع عند
مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن أحمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله
بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع و
إذا ناله خير بخل به ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر الفقر والصحة والمرض إذا صح الغني منع المعروف
وشح بماله وإذا مرض جزع وأخذ يوصي والمعنى أن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه
كأنه مجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري كقوله خلق الإنسان من عجل والدليل عليه
أنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولأنه ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا
أنفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه وسلم
شر ما أعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع فإن قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون قلت
معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم أفضل العمل أدومه وإن قل وقول عائشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها أن يراعوا
إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الإحباط باقتراف
المآثم فالدوام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها حق معلوم هو الزكاة لأنها مقدرة معلومة أو صدقة
يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة السائل الذي يسأل والمحروم الذي يتعفف عن السؤال فيحسب
غنيا فيحرم يصدقون بيوم الدين تصديقا بأعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض
بقوله إن عذاب ربهم غير مأمون أي لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الطاعة والاجتهاد أن يأمنه وينبغي أن يكون
مترجحا بين الخوف والرجاء وقرئ بشهاداتهم وبشهادتهم والشهادة من جملة الأمانات وخصها من بينها
إبانة لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها وفي تركها تضييعها وإبطالها قوله سبحانه وتعالى
فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم
كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون
إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادي
أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزي إلى
غير من تعتزي إليه الأخرى فهم مفترقون قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا
وقيل كان المستهزئون خمسة أرهط كلا إنا خلقناهم مما يعلمون فلا أقسم برب المشارق والمغارب
إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم
ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله إنا خلقناهم
مما يعلمون إلى آخر السورة وهو كلام دال على إنكارهم البعث فكأنه قال كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء فمن
أين يطمعون في دخول الجنة فإن قلت من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث قلت من حيث إنه احتجاج عليهم بالنشأة
الأولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون أي من النطف و
بالقدرة على أن نهلكهم ونبدل ناسا خيرا منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض أن
من قدر على ذلك لم تعجزه الإعادة ويجوز أن يراد إنا خلقناهم مما يعلمون أي من النطفة المذرة وهي منصبهم
الذي لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفى إشعارا بأنه منصب يستحيى من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون
التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا
أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها من ليس له إيمان وعمل وقرئ برب

المشرق

المشرق والمغرب يخرجون ويخرجون من الأجداث سراعا بالإظهار والإدغام نصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد
من دون الله يوفضون يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

سورة النوح ثمان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم
عذاب أليم قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخر
كم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون أن أنذر أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل
الفعل وهي أن الناصبة للفعل والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن يكون مفسرة
لأن الإرسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود أنذر بغير أن على إرادة القول وأن اعبدوا نحو أن أنذر في الوجهين فإن
قلت كيف قال ويؤخركم مع إخباره بامتناع تأخير الأجل وهل هذا إلا تناقض قلت قضي مثلا أن قوم نوح إن
آمنوا عمرهم ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى
أي إلى وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون إليه لا تجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف ثم أخبر أنه إذا
جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير
قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم
في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت
لهم وأسررت لهم إسرارا ليلا ونهارا دائبا من غير فتور مستغرقا به الأوقات كلها فلم يزدهم دعائي جعل
الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى أنهم ازدادوا عنده فرارا لأنه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا إلى
رجسهم فزادتهم إيمانا لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون
أقبح لإعراضهم عنه سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم
ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله
ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم الإصرار من أصر الحمار على العانة إذا صر
أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للإقبال على المعاصي والإكباب عليها واستكبروا وأخذتهم العزة
من اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم فإن قلت ذكر أنه دعاهم
ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب أن يكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف
قلت قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد
فالأشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان
ومعنى ثم الدلالة على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما
وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لأن الدعاء أحد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد
لكونها أحد أنواع القعود أو لأنه أراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا
أي مجاهرا به أو مصدرا في موضع الحال أي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد
خلقكم أطوارا أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم إليهم الموعد بما هو أوقع
في نفوسهم وأحب إليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الإيمان وبركاته والطاعة و
نتائجها من خير الدارين كما قال وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم وأن لو استقاموا على

على الطريقة لاسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم
اربعين سنة وروي سبعين فوعدهم انهم ان امنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله
الله [عنه] خرج ليستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي
يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطي وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال
استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع
بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسالون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له الاية والسماء المظلة
لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز ان يراد السحاب او المطر من قوله اذا نزل السماء بارض قوم
والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امرأة معطار ومتفال
جنات بساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما والمعنى ما لكم لا تؤمنون بالله والحال
هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا
ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم خلقا آخر او لا تخافون لله حلما وترك معاجلة العقاب
فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور
وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن
نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل
لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا نبههم على النظر في انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه
منهم ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات
والارض والشمس والقمر فيهن في السموات وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق
فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في [بعض] جهاتها وعن ابن عباس
وابن عمر ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض وجعل الشمس سراجا يبصر
اهل الدنيا في ضوءها كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور
لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور
والله انبتكم استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة ادل على الحدوث
لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث
مذهبهم في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى انبتكم فنبتم نباتا
او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين ثم يخرجكم يوم القيامة واكده بالمصدر كانه
قال يخرجكم حقا ولا محالة والله جعل لكم الارض بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل
على بساطه فجاجا واسعة منفجة قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا
ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد
اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا قال نوح واتبعوا رؤساءهم المقدمين اصحاب الاموال والاولاد و
ارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في
الدنيا زائدة خسارا في الآخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم سمة التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم
واولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه وقرئ وولده وولده
بضم الواو وكسرها ومكروا معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم
الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاهم وصدهم عن الميل اليه والاستماع
منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح مكرا كبارا قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير

والكبار

في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب
محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال
المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له
ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه
الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الى الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير
وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى
في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله تعالى
وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها
الله تعالى ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة
اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها
الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فاطفاها الله تعالى
وخيب امانيهم فان قلت كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج
على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت قلت
ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء
ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات و
الظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة
مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب
قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح وفرق
بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به
معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء
والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقراءة اليماني
اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين
كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله
وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي
النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية
وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون
من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير
متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون فان قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد
قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت واين الاضاءة في حال المنافق وهل
هو ابدا الا حائر خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على
السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب
السرمدي ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين
المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو
انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار
المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه

ايا هم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم صم بكم عمي فهم لا يرجعون كانت حواسهم سليمة ولكن لما
سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم
جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا ● اصم عما ساءه سميع
اصم على الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد ● فاصممت عمرا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار
فان قلت كيف طريقه عند علماء البيان قلت طريقه قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا
ان هذا في الصفات وذاك في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعا
تقول رايت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق فان قلت هل يسمى ما في الاية استعارة
قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون
والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه
والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره
لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال
ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء ولبعضهم لا تحسبوا ان في سرباله
رجلا ففيه غيث وليث مسبل مشبل ● وليس لقائل ان يقول طوي ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا
فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج
اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ● ومعنى لا يرجعون لا يعودون الى الهدى بعد ان
باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا
جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤوا
منه او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت
والله محيط بالكافرين ثنى الله سبحانه وتعالى في شانهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف
وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب
عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ ● يرمون بالخطب الطوال وتارة
وحي الملاحظ خيفة الرقباء ● ومما ثني من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات والا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في
قصيدته ● اذاك ام نمش بالوشي اكرعه اذاك ام خاضب بالسي مرتعه ● فان قلت قد شبه المنافق
في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا
شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين
الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما
فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام
بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها
ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى
والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس ● كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي ● قلت كما جاء ذلك صريحا جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة
كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا
فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا

من جملة

من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل
والمذهب الجزل بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها
بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت
حتى عادت شيئا واحدا بشيء آخر مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الاية الغرض تشبيه حال
اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي
الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب
وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر
فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف
وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم
بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد
وبرق وخوف من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو
قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم
في آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي
اولي حرف التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به او لم يله الا ترى الى قوله انما الحياة الدنيا الاية كيف ولي الماء
الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد
وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع ● لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم
في الدنيا وسرعة زوالهم وفناءهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية
فان قلت اي التمثيلين ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخروهم
يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت
او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك
قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان تجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع
منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه
ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة
منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي
يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا قال الشماخ ● وأسحم دان صادق الرعد صيب ●
وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصائب والصيب
ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب
لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد
من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله تعالى واوحى في كل
سماء امرها والدليل عليه قوله ● ومن بعد ارض بيننا وسماء ● والمعنى انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما
جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب
من السماء ينحدر ومنها ياخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه ياخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء
من جبال فيها من برد فان قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد
الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب تضطرب وتنتقض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك
من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه

الا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا
بالابلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل في ظلمات قلت فيه
وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت
برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد
وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف
وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب
كما قال او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه
في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى
ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول
فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم
مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رأس الاصبع هو الذي يجعل في الاذن
فهلا قيل انا ملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا
وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا في ذكر
الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ
مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون
اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها
شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه
الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته
الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا
وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا كان
كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على راسه وصقع الديك صاح وخطيب مصقع مجهر بخطبته
ونظيره جذب في جبذ ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او
للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرا ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب
على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت فساد بنية الحيوان
وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط به المحيط حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا
فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير
والخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن
الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي
رضي الله عنه يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استيناف
ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين
بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق
خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه
بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء
اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في

ما الاصبع التي تسد بها الاذان
اصبع خاصة فلم ذكر الاسم
العام دون الخاص قلت لانه
السبابة فعالة من السب فكان
اجتنابها اولى بادب القران
الا ترى انهم قد استبشعوها
فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة
والمهللة والدعاءة قاله

مطرح

مطرح نوره وملقى ضوءه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد
فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على
وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتاتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف
والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد
له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر ابي تمام حبيب بن اوس
هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في
اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة
فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق
اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب
بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في
الشيء المستغرب نحو قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله
ان يتخذ ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرا ابن ابي عبلة
لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه
قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التانيث من التذكير
الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما
ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات
وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل و
فعل قادر اخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر
القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه
منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فان قلت مم اشتق
القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز ه
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون لما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين
والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها
ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله تعالى
اياك نعبد واياك نستعين وهو من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك
حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث
فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك
ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك وحديثك وحركت
به من صنف الحث يستفتح الاذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابرهيم
عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين امنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا
ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء
القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي
به القريب المفاطن فذاك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان قلت فما بال الداعي يقول
في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه
واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها

بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه واتبهاله واي وصلة الى نداء
ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو
اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى
يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان
ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب
من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء
ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة فان قلت لم كثر في كتاب الله
النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان
كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم
الدارجة عليهم وغير ذلك مما نطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها
ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالاكد الابلغ فان قلت
لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المومنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي
عن علقمة والحسن فالمومنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل
فلو اني فعلت كنت من تسأله وهو قائم ان يقوم واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه
قلت المراد بعبادة المومنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فشرط فيها
ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المامور بالصلوة والزكوة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما
وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم يفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي
مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا
متناولا لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا اخر فان قلت
ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية الهتهم فان خصوا بالخطاب
فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والالهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم
صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه
على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق
ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرا ابو عمرو وخلقكم بالادغام
وقرا ابن السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة و
وجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله
يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف و
المضاف اليه في لا ابا لك ولعل للترجي او الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى
لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين امنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل
الاطماع في مواضع من القران ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة يجري اطماعه
مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت اليك
وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم
على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة
او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز
بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العز والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد

كقوله

كقوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعل التي في
الاية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل
على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى
ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الاية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم
بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع
في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم
وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله
عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء
امرهم على الاختيار فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم
قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على
ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت
ليست التقوى غير العبادة حتى تؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده
فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما
لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو
قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع قدم سبحانه وتعالى من موجبات عبادته وملزمات
حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة
والشكر وغيرهما الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا
لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم
احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما
ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه
ثم خلق السماء التي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين
المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان
الثمار رزقا لبني ادم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرضون
بمقابلتها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات
كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات
له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا
كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرا يزيد
الشامي بساطا وقرا طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون
ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة
وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح
او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان
متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي
به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى
انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا

الا٤

اسباب ولا مواد كانشاء نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال
ناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها الملائكة والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا
وافكارا صالحة وزيادة طمانينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من
غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض لشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله تعالى
فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل
انزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى
لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون
للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت بم انتصب رزقا قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه
بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت فما بال الخرج بماء السماء كثيرا جم فلم قيل
الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان
ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر
متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائهما في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات
وثلثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق
ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا
قلت فيه ثلثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد
وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه
بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي حفكم هذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة
والبراهين الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي
قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا
اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم
باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا اليها
وعظموها وسموها الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل
لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة
لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه اربا واحدا ام الف رب
ادين اذا تقسمت الامور وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه
وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال
والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم
من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون
متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه اكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما
انتم عليه في امر دياناتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر
وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله
كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل
الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى

على ما

على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض
الشبهة في كون القران معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون
بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا
على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي
وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة
بعد سورة وآيات عقيب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر
من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات
السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله
خلاف هذه العادة جملة واحدة قال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فقيل ان ارتبتم
في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه
سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات وهذا غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا
يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته والسورة الطائفة من القران المترجمة التي اقلها ثلث آيات
وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القران محدودة
محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة
على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها
بمطار لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مترتبة
طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها
قطعة وطائفة من القران كالسورة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه فان قلت ما فائدة تفصيل القران
وتقطيعه سورا قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التورية والانجيل والزبور وسائر
ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا
موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن
وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في اخر
كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر
انه اذا علم قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء
القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب
الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث
انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وال عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة
افضل ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظائر وملائمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني
ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله
والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى ياتوا بسورة
من ذلك المثل قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا
ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظيره
هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب
اراد من كان على صفة الامير في السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد
الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القران

لا يأتون بمثله ولأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب والكلام مع رد الضمير إلى
المنزل أحسن ترتيبا وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق إليه ومربوط به فحقه أن لا
يفك عنه برد الضمير إلى غيره ألا ترى أن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا
مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وإن
ارتبتم في أن محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولأنه إذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بأن يأتوا
بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم كان أبلغ في التحدي من أن يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما
أتى به هذا الواحد ولأن هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر
أو القائم بالشهادة ومعنى دون أدنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب
إذا جمعها لأن جمع الأشياء إدناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك إذا كان أحط
منه قليلا ودونك هذا أصله خذه من دونك أي من أدنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الأحوال
والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه بالثناء عليه أنا دون هذا
وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي حكم إلى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون
الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين وقال أمية
يا نفس ما لك دون الله من واق أي إذا تجاوزت وقاية الله فلم تنلك لم ينلك غيره ومن دون الله متعلق
بادعوا أو شهداءكم فإن علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم
يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الأعشى
تريك القذى من دونها وهي دونه أي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي أمرهم
أن يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم أو ادعوا شهداءكم
من دون الله أي من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله وهذا من المساهلة و
إرخاء العنان والإشعار بأن شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة
والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الإنسانية والأنفة أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة الفاسد
البين عندهم فساده واستقامة المتقاولة المتناقضة المحال الجلي في عقولهم إحالته وتعليقه بالدعاء في هذا
الوجه جائز وإن علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله
يشهد أن ما ندعيه حق كما يقول العاجز عن إقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين
شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم وأن الحجة قد
بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد إنا لصادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على أنفسهم
بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب أنه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك والحمد
لله في هذا المقام ريبة أو ادعوا من دون الله معناه أن الله شاهدكم لأنه أقرب إليكم من حبل الوريد وهو
بينكم وبين أعناقكم وحلكم والجن والإنس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن
والإنس إلا الله تعالى لأنه القادر وحده على أن يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله
قل لئن اجتمعت الإنس والجن الآية فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
أعدت للكافرين لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرفون أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على
حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فإذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم أنه معجوز
عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على إثبات
النبوة صحة كونه المتحدى به معجزا والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله تعالى فإن قلت انتفاء إتيانهم

بالسورة

بالسورة واجب فهلا جيء بإذا الذي للوجوب دون إن الذي للشك قلت فيه وجهان أحدهما أن يساق
القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه
لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف
بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه إن غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه
تهكما به فإن قلت لم عبر عن الإتيان بالفعل وأي فائدة في تركه إليه قلت لأنه فعل من الأفعال تقول
أتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة
تغنيك عن طول المكنى عنه ألا ترى أن الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته
ونكلت به ويعد كيفيات وأفعالا فيقال له بئسما فعلت ولو ذكرت ما أنبته عنه لطال عليك وكذلك
لو لم يعدل عن لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة
من مثله فإن قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لأنها جملة اعتراضية فإن قلت ما حقيقة لن
في باب النفي قلت لا ولن أختان في نفي المستقبل إلا أن في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا أقيم
غدا فإن أنكر عليك قلت لن أقيم غدا كما تفعل في أنا مقيم وإني مقيم وهي عند الخليل في إحدى الروايتين
عنه أصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونا وعند سيبويه وإحدى الروايتين عن الخليل هي
حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل فإن قلت من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة
قلت لأنهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى
العادة محال لا سيما والطاعنون فيه أكثف عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب
على ما هو به فكان معجزة فإن قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله
قلت إنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل
لهم إن استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك
العناد من حيث إنه من نتائجه لأن من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره أن يقول الملك لحشمه إن أردتم
الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فأطيعوني واتبعوا أمري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب
الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد
بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها والوقود ما
ترفع به النار وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا
عاليا ثم قال والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين
بلده ويجوز أن يكون مثل قولك حيوة المصباح السليط أي ليست حياته إلا به فكأن نفس السليط حياته
فإن قلت صلة الذي والتي يجب أن تكون معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة
قلت لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب أو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو
سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة ~~قلت لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك~~
~~سماع من أهل الكتاب~~ فإن قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة
قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه الآية بالمدينة مشارا بها
إلى ما عرفوه أولا فإن قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه أنها نار ممتازة من غيرها
من النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت
أولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما

يحرق ويحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بلا نار اشتعلت بها النار واستعلت وارتفع
لهيبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة
قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم
نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا
وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة
معهم وقودا قلت لانهم قرنوا انفسهم بها في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها
من دونه قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الاية مفسرة لما نحن فيه فقوله
انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار
في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون
المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا
في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها
من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو
تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت هيئت
لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة **وبشر الذين امنوا وعملوا
الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون** من عادته عز وعلا في كتابه
ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط
عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا
بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر
بالثواب فان قلت من المامور بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون كل
احد كما قال عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يامر بذلك واحدا
بعينه وانما كل احد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يوذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه
محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه
عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف
هو جملة وصف ثواب المومنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب
الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف
على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة
زيد بن علي وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال
العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره
بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد
وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء
الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه
قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة شعر
كيف الهجاء وما تنفك صالحة من ال لام بظهر الغيب تاتيني والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل
العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع

قلت

قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت
على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس
وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام
قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المومن في مواجب التكليف والجنة البستان
من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب
دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره
كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا
قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى ادم وحواء الجنة ومجيئها في القران على
نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة و
تنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات
العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان و
العمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة
وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة
بمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله المثوبة عليه والثناء اذا لم يتعقبه ما يفسده و
يذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه عليه السلام وهو اكرم الناس
عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمومنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم
كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جري الانهار من تحتها
قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود
وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري
من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت انق شيء واحسنه لا تروق النواظر
ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور
الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله بذكر الجنات مشفوعا بذكر
الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على
سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة
العالية نهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم
بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير
الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب
والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف
الاضافة كقوله واشتعل الراس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير
اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الاية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر
مبتدا محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات
اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا
اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك
كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك لو قع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا
من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غيرها رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية

كلما مما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله
تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فيقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فيقول
من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدا من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات
مبتديا من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد
النوع من انواع الثمار ووجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا تريد
انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي
رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا
مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة
تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير الى المتكلم به فقيل اولى به على
التوحيد فان قلت لاي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر قلت
لان الانسان بالمالوف آنس والى المعهود اميل واذا راى ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه
اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف وراى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا
بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه
وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا
كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم ان
الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا
في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما راوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون
الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور
وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا
القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة
وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان عن مسروق نخل الجنة
نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في
غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة
اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم
بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم
مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة
الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو
فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما
فعل ورأى من الراي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه
ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنسا
من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر
من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق السوء
والمناصب الردية والمناشي المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت
فهلا جاءت الصفة مجموعة كما جاء الموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن
فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الكتاب

قوله واتوا به قلت الى المرزوق
في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله
هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته
ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره
قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى
بهما اي بجنسي هذا الذي رزقنا الغني
والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على
الجنسين ولو رجع الضمير صح

واذا

واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى جماعة ازواج مطهرة وقرا زيد
بن علي مطهرات وقرا عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله
فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في
طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم
كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس ۝ الا انعم صباحا ايها الطلل البالي ۝
وهل ينعمن من كان في العصر الخالي ۝ وهل ينعمن الا سعيد مخلد ۝ قليل الهموم ما يبيت باوجال ۝
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من
ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
وما يضل به الا الفاسقين سيقت هذه الاية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد
والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار
والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب و
ادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به
كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى
نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له
بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الالهة التي جعلها
الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت
اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل
للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه
محتذ على مثال ما يحكيه ويستدعيه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل
والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة
بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطاء حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغضهم
على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف
والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار
وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف
انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض والحشرات والهوام
وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا
اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد واصرد من جراد واضعف من فراشة واكل من السوس
وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال
في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل
بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا يغني استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج
المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن
اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا
وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا
ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله تعالى هذه الاية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب

به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء
جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحيوة كما يقال فلان هلك حياء من كذا
ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فان قلت
كيف جاز وصف القديم سبحنه وتعالى به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما
صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه
صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله سبحانه ان الله
لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان يقع هذه
العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة
واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام
من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة
فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة الشهادة ع
المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل
واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد
مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد
وقرا ابن كثير في رواية شبل يستحيي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون
استحييت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب
الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا
قرنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما كان اوصلة للتاكيد كالتي في
قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت بعوضة فان
رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي
احسن ووجه اخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم
بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها
كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار ودينارين والمعنى ان الله يتمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر ان ع
منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى وبما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم
كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء
وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم والمشهود له بالفصاحة
وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته
وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا
مفعولين لجري ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه
البعوض وانشد لنعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لانه قطعة
منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها
وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس
وانذلهم هو فوق ذاك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في
الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما

تقول

تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يتبجح بادنى شيء فقال فلان بجل بالدرهم والدرهمين ونحوه في الاحاديث
ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابرهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون
فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة
ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه السلم
ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد منها كالشوكة
والوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر
قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة
لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها
وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر
بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما
تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم يا من يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك
يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه
لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره
مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي
ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين
واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء
والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج
وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولين
اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني
منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني
منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد يجوز عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رايت خير اي المرئي خير
وفي جواب ما الذي رايت خيرا اي رايت خيرا وقرئ قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع
والنصب على التقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه
قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد
اختلفوا في ارادة الله تعالى فبعضهم على ان الباري مريد بمثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو امر زائد على
كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته
دال ع لافعال غيره انه امر بها والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال
واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك
لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله
هذه ناقة الله لكم اية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما
وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من

من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة
التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل
من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت
اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا
فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا ان
ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل
الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن
دينار انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك
راسه فراى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت
القيود على رجلك وقرا زيد بن علي يضل به كثيرا وكذلك وما يضل به الا الفاسقون والفسق الخروج عن
القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة
وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل
بن عطا وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين
وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس
والزيدية ان الصلوة لا تجزي خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب
الله عز وجل بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون
**الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في
الارض اولئك هم الخاسرون** النقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال
العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه
قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك
واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا
اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف
منه الناس واذا تزوجت امراة فاستوثقها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر
وعلى المراة بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط
عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار
جميعا فان قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه
عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى واخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث
اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم
كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى عليه السلام سانزل عليك كتابا فيه نبا بني اسرائيل
وما اريته اياهم من الايات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي
اليهم وحسن صنعي للذين قاموا بميثاقي واوفوا بعهدي ونصري اياهم وكيف انزلت باسي ونقمتي
بالذين غدروا ونقضوا ميثاقي ولم يوفوا بعهدي لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه
من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم
على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية
ادم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين

ولا ينق

ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله
من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة
ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من اياته وكتبه وانذار
رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء
من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل
ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه
بامر امر به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له شان والشان الطلب والقصد
يقال شانت شانه اي قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل
والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها **كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم
اليه ترجعون** معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان
وهو الانكار والتعجيب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير
جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت
قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت قد تبين امر الهمزة
وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال
التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان
انكار حال الكفر لانها تبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى
لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك
عن حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني
والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير
ولكن وقد قام الا ان تضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون
كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثم
يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي
والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع
حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة باولها واخرها فان قلت فقد
ال المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة باولها واخرها فان قلت فما وجه صحة قلت قد
ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل
ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم
يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول
العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال
كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما تصح فيه الحيوة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة
ميتا واية لهم الارض الميتة احييناها اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح
ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور
وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان
الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ

عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع
الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الا انها مشتملة
على ايات بينات تصرفهم عن الكفر امر على نحو جبا مرحتها ان تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الامرين جميعا لان
ماعدده ايات وهي مع كونها ايات بينات تصرفهم عن الكفر امر على نحو جبا مرحتها ان تشكر من اعظم النعم
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم
لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما
فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالاخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله
على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية
وعلى اسباب المشقة والوحشة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم
والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل
خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض
وما فيها وجه صحيح قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية
جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء
الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا
قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته
ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو
كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل
الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن
تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن
خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم
فان قلت ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة قلت ثم هاهنا
لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين
امنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعرضت به لان المعنى انه قصد الى السماء لو يحدث فيها
بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر فان قلت اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها
قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في
موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات
وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق
واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان
ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمال والحاق التاء لتانيث الجمع وجاعل
من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قولك في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه
مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم
فيها ادم وذريته فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت اريد بالخليفة ادم عليه السلام واستغنى
بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلقا يخلفكم
فوحد لذلك وقرئ خليفة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان ادم عليه السلام كان خليفة الله في ارضه

وكذلك

وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسالوا ذلك السؤال
ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في
وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم
ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف
مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين
عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار من الله تعالى او من جهة اللوح او
ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل شيء سواهم ليسوا على صفتهم او
قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك
بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان
وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض
والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين
بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من
المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال
الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعد ذلك بعض ما اتبعه
من قوله وعلم ادم الاسماء كلها **وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين** واشتقاقهم ادم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس
من الدرس وابليس من الابلاس وما ادم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كاذر وعازر وعابر
وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا
عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الراس فان قلت هلا
زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم ادم مسميات الاسماء قلت
لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما
انبأهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق
التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا
اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من
المنافع الدينية والدنياوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم
وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف
في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية
التي هي اصول الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل
من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ
وعلم ادم على البناء للمفعول وقرا عبد الله عرضهن وقرا ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن
او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وروي انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة

بهما السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابوا يوسف و
اخوته له ويجوز ان يختلف الاحوال والاوقات فيه وقراء ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع
ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثنا
واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة
الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه وقلنا يا آدم اسكن انت و
زوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان
عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى
حين السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه
ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق
لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حيث لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع
الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة
للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر
الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرههما وقال تقرا بها برابر مكة وسودانها من الظالمين
من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب النهي الضمير في عنها للشجرة
اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن
مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة
او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقراءة عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان
الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد
ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة
ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند
الباب فناداهما وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل
اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما
كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم
لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس
من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض عدو يدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد
الى يوم القيمة وقيل الى الموت فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها
جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها — اصحاب م
وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هن قلت قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا الاية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله غيرك الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت
وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر
توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها

۲۸/۹/۷۹